

عبد العزيز الشناوي - نبيل خالد

تحقيق
الشيخ / كامل عويضة

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع
أسسها حسن البدوي - نبيل خالد

●● سلسلة كتاب ابن لقمان ●●

❖❖ نبوءات الرسول ﷺ ومستقبل الأمة ❖❖

●● الكتاب الأول: نبوءات الرسول ﷺ بقلم/ عبد العزيز الشناوى

●● الكتاب الثانى: انتصارات الأمة الإسلامية بقلم/ كامل عويضة

●● الكتاب الثالث: مستقبل الأمة بقلم/ نبيل خالد

●● تليفون ـ ٠١٢/٣٧٤٠٥٦٧ ـ ٠١٠/١١٢٤٣٨٧ ـ ٠١٢/٤٨٤٠٥٣٩

●● رقم الإيداع: ١٨٥٥٠/ ٢٠٠٢

●● الترقيم الدولى: 4 - 77 - 6039 - 477

كتاب ابن لقمان

رئيس مجلس إدارة السلسلة

حسن البــدوى

ت ٠١٠١١٢٤٣٨٧

فكرة السلسلة ورئيس التحرير

نبيل خـــالد

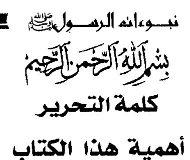
ت ٠١٢٣٤٥٦٧

المراسلات مصر- المنصورة ٣٥٥١١

ص ب ٩٥ ت ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧

المدير الإدارى/ سمير البدوى

ت ٠١٠٤١٣٢٢٩٩



كلمة التحرير

أهمية هذا الكتاب

شئت أم أبيت قريبا ستنتقل من خانة المتفرجين على الأحداث إلى خانة المشاركين فى الأحداث وإذا لم تنتبه صرت كمن يشحذ السكين للجزار لينحره. وهذا الكتاب يحرض عقلك على التفكير ولا يحرض لسانك على الصراخ عبر المظاهرات والفضائيات.

فهذا وقت العمل لا وقت الكلام وما يبغيه عدوك هو الفوضى ليحقق مآربه بسهولة.

وأمام الأحداث الجسام قابلت أخى وصديقى الأديب والمفكر الإسلامى عبد العزيز الشناوى واقترحت عليه أن نشترك فى تجهيز كتاب مع ابن عمى وصديقنا العالم الجليل فضيلة الشيخ كامل عويضه ليشارك بالتحقيق والإعداد ليكون موثقا وبعيدا عن شبهة الخيال العبثى الذى يخدر بالأمانى الكاذبة ليزداد العقل خمولا. بل يكون كتابا يجمع النبوءات والدراسة والتحليل والتحذير والاقتراحات وهو جهد لا يذكر إذا قورن بجهد الآخرين لكنه يحرض فقط على المزيد من التفكير.

وهذا الكتاب يثير موضوعات منها **حرب المخابرات وأسلوب إثارة الفتن بين الحكام والمحكومين وبين الأحزاب والفصائل المتعارضة لإشاعة الفوضى وخروج المارد من قمقمه بعد احتلال العراق وحرب الجيوش لتغيير الأنظمة الحاكمة والاحتلال المباشر وتسرب أسر إسرائيلية كاملة لداخل الدول المحتلة لتندس على أنها عربية مسلمة من خلال مصلحة الأحوال المدنية وتكرر نفس السيناريو التركى وكيف سيتم تقسيم دول المنطقة وما الحروب الإقليمية وكيف سيكون الانهيار الاقتصادى الرهيب الذى سيجعل الأحياء يتمنون الموت وتحريض مصر للدخول فى حروب إقليمية تستهدف جيرانها وتوطين الفلسطينيين وعمليات إرهابية تستهدف قناة السويس فى الصحراء الغربية وأسلوب نسف المسجد الأقصى وما يعقبه وموقف المسلمين والمسلمات فى أوروبا وأمريكا وصراع الحكم فى الجزيرة العربية ومصير الشام وكيف سيموت تسعة وتسعون**

شـخصـا من كل مائة واحـتراق آبار النـفط وإزالة الجبـال والحروب النووية بين القـوى العـالميـة ودخـول إيران النادى النووى وأحـداث أخرى سـيـتناولهـا الكتـاب بالدراسـة والتحليل والاستنتاج والتحذير والمقترحات لمواجهة المحن وسيجمع الكتاب بين نبوءات حدثت قديما وستحدث مستقـبلا جذور المشاكل والمهدى المنتظر والمسيح الدجال وعودة السيد المسيح والنهايات الغير متوقعة.

وأرجو من القـارئ الكريم والقارئة الكريمة ألا يهملا أى كلمـة فى هذا الكتاب بل يقـرؤه حرفا حـرفا ويـتذكر دائـما أن هذا **وقت الوحـدة بين الحكام والمحكومين فكلنا ساهمنا بأخطائنا للوصـول إلى هذا المأزق الخطير** ووقت الوحدة بين المختلفين أيدلوجيا أو أى خلاف آخر لننجو بوطننا وتذكر دائما أن المتصارعين فى سفينة توشك على الغرق يتعاونون على إنقاذها ألا هل بلغت اللهم فاشهد. وننوه أن **المقصود باليهود والنصارى فى هذا الكتاب ليس على وجـه التعميم بل هم الصـهاينة وأتباعهم من اليـمين المسيحى المتطرف** الذين يحاربون الله ورسله والبشر ومن هم على شـاكلتهم قديما وحديثا بل إن من المسلمين من يستغلهم الصهاينة لتـحقيق أهدافهم الشريرة **ولا نقصد أى شريف من المنتمين لأى دين سـماوى لأن هذا يخالف تعاليم الدين الإسـلامى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

نبيل خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أما بعد: فهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ الكريم يتضمن ثلاثة أجزاء:

الأول وهو: كتاب النبوءات من إعداد الكاتب الإسلامى عبد العزيز الشناوى.

والثانى هو: كتاب مستقبل الأمة من إعداد الكاتب الأديب نبيل خالد.

والثالث هو: كتاب المهدى المنتظر والمسيح الدجال وانتصارات الأمة الإسلامية للشيخ/ كامل عويضة.

وهو كتاب يتكون من ثلاثة أقسام يمكن لكل جزء أن يكون كتاباً مستقلاً. كما قمت بتحقيق هذه الكتب جميعها وتصحيح أحاديثها والحكم عليها كما ترجمت لبعض الأعلام وعزو الآيات القرآنية الكريمة لسورها فى المصحف الشريف كما قمت بشرح ما يحتاج إلى بيان لزيادة الفائدة للأخ المسلم والأخت المسلمة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ﷺ: « **تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدى إلا هالك**»[1]. وقال فيما صح عنه: « **ما بعث من نبى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**» [2].

قال أبو ذر رضى الله عنه: لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علمًا. ومن لوازم محبة العبد لله تعالى أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً فى أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١] كما أن من لوازم محبة الله للعبد أن يكثر العبد التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل كما قال النبى ﷺ فيما بلغ عن ربه: « **وما تقربَ إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضت عليه. ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه**» [3].

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى والإكثار من ذكره فإن المحبة بدون معرفة الله ناقصة جداً بل غير موجودة وإن وجدت دعواها ومن أحب الله أكثر من ذكره وإذا أحب الله عبدًا قبل منه اليسير من العمل وغفر له الكثير من الزلل.

وليس للخلق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس فى الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله كما فى الآية الكريمة.

اللهم ارزقنا حبك وألهمنا ذكرك وشكرك وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت أنا وصديقى العزيز الكاتب الإسلامى عبدالعزيز الشناوى وصديقى وابن عمى الأديب الروائى نبيل خالد عويضه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. **وكتبه،**

كامل عويضه

مصر - المنصورة - ٢٠ ش جامع نصر الإسلام بعزبة الشال.

---

(١) أورده الزبيدى فى « إتحاف السادة المتقين» (١/ ١٨٢).
(٢) أورده ابن كثير فى « التفسير» (٢/ ٤٢٦).
(٣) صحيح. رواه البخارى فى (الرقاق، ح/ ٦٥٠٢) فتح البارى (١١/ ٣٤١) والبيهقى فى « الكبرى» (٣/٣٤٦، ١٠/ ٢١٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

الكتاب الأول: نبوءات الرسول ﷺ

بقلم عبد العزيز الشناوى

الواجب علينا نحو الرسل تصديقهم فيمـا جاءوا به من عند الله سبحانه وتعالى وما أمروا به وبينوه بـياناً واضحـاً شافيـاً كافيـاً لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليـه جهله ولا يحل خلافه.

قال الله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقـرة: ٢٨٥]. ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر وأمـا الصغائر فقد تقع منهم. والكتاب والسنة يدلان على ذلك ولكن لا يقـرون عليه بل يوفقـون للتوبة منه ويجب احتـرامهم وأن لا يفرق بينهم.

قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠]: يتوعـد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسـله من اليهود والنصارى حـيث فرقوا بين الله ورسله فى الإيمان فآمنوا ببـعض الأنبياء وكفـروا ببعض بمجرد التـشهى والعـادة وما ألفوا علـيه آباءهم لا عن دليل قادهم إلـى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما السلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ.

والمقصود أنَّ من كفر بنبى من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبى بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو للعصبية أو للتشهى تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنَّما هو عن غرض وهوى وعصبية.

ويجب الاهتداء بهـديهم والاقتداء بأمرهم والكف عـما نهوا عنه ويجب الاعتقاد أنهم أكمـل الخلق علماً وعمـلاً وأصدقـهم وأبرهم وأكملهم أخـلاقاً وأنَّ الله خـصهم بفضائل لا يلـحقهم فيهـا أحد وبرأهم من كل خلق رذيل **ويجب محـبتهم وتعظيـمهم ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم.**

ويجوز في حقهم شرعاً وعقلاً النوم والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشي والضحك وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية.

فهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر أفراده فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام وتمتد إليهم الظلمة وينالهم الاضطهاد وقد يقتل الأنبياء كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾** [آل عمران: ١١٢].

ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾** [الفرقان: ٢٠]. وقال عز من قائل: **﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾** [المائدة: ٧٥].

وقال ﷺ: « **لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء** »[1]. وكان ﷺ يمرض ويتألم ويشتكي وكان يصيبه الحر والبرد والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه.

وأما الأدلة على صدق الرسل فكثيرة. أعظمها شهادة الله تعالى لهم بأنهم صادقون قال تعالى: **﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** [الزمر: ٣٣] وقال عز شأنه: **﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** [يس: ٥٢] وقال عز من قائل عن إسماعيل عليه السلام: **﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾** وقال عن إبراهيم: **﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾** [مريم: ٤١] وقال: **﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الصافات: ١٨٠].

فسلم سبحانه وتعالى على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب إلى غير

---

(١) صحيح. رواه البخاري في (النكاح، ١/ ٥، ح/ ٥٠٦٣ ـ باب الترغيب في النكاح) فتح الباري (٩/ ٥) ولفظه:

« حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ: « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم لله. لكني أصوم وأفطر. وأصلي وأرقد. وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنَّتي فليس مني** ».

ذلك من الأدلة. فهم أصدق الخلق على الإطلاق عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم فى دعواهم الرسالة أعجز الورى كلهم. ومثل انشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء إلى سدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام. وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس وإجابة دعائه وإعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة.

فالقرآن جاء به ذكر عن آدم ونشأته وما وسوس به إليه إبليس وما وقع له من الهبوط إلى الأرض بعد أن كان فى الجنة وحدثنا عن نوح عليه السلام وما لقيه من قومه من أذى وسخرية وما دعا الله به وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه وإنجائه وأصحاب السفينة ودعوته لابنه وعصيانه له وانهمار السماء وتفجر الأرض عيوناً وغرق الكافرين ونجاة المؤمنين.

وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام وما تم عند ولادته وما وقع له فى مصر وما حدث له فى مدين وما رآه فى جبل الطور وما كلف به من أعباء الرسالة وما دار بينه وبين فرعون من حوار وما جرى من السحرة وما انتهى إليه أمر فرعون وملئه وموسى وقومه. وأخبر القرآن الكريم عن عيسى وأمه عليهما السلام وما وقع لهما من الخوارق وما صنعه لهما بنو إسرائيل من مكائد وأخبر عن غيرهم من الأنبياء.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [القصص: ٤٤].

وأخبر ﷺ بأمور غيبية عن القرآن. قال الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة: **هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاه عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد. وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم** وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة: فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها.

وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم

وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشة الذى تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة بل زادت وكثرت ففتح أبو بكر رضى الله عنه جزيرة العرب وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس بقيادة خالد بن الوليد[1] الذى فتح الله تعالى على يديه أجزاءً منها.

وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نصره الله تعالى وأيده فتم على يديه فتح بلاد الشام بقيادة أمير الجيش أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ومصر بقيادة الصحابى الجليل عمرو بن العاص[2] رضى الله عنه.

وفى زمن الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلى البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكة بالكلية.

وفى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه جمع الأمة الإسلامية على حفظ القرآن. ولهذا ثبت فى الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما ذوى لى منها** » [3].

فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عنا.

روى الإمام مسلم بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى سيف الله يكنى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح. وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين (تقريب: ١/ ٢١٩).

(٢) **عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد السهمى أبو محمد الأمير له تسعة وثلاثون حديثاً اتفقا على ثلاثة وانفرد البخارى بطرف حديث ومسلم بحديثين** وعنه ابنه عبد الله وقيس بن أبى حازم. أسلم عند النجاشى وقدم مهاجراً فى صفر سنة ثمان فأمره النبى ﷺ على جيش ذات السلاسل. مات سنة ثلاثة وأربعين ودفن بالمقطم .(خلاصة تهذيب الكمال: ص/ ٢٩٠).

(٣) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١٩) وأبو داود (ح/ ٤٢٥٢) والترمذى (ح/ ٢١٧٦) وأحمد فى (المسند، ٤/ ١٢٣، ٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) والصحيحة (ح/ ٢، ٤/ ٢٥٢، ٣٠٣).

ﷺ يقول:

« **لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني فسألت أبي : ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال: قال: كلهم من قريش** » [1].

وفى هذا الحديث دلالة على أنه لابد من وجود اثنى عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثنى عشر فإن كثيراً من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء. فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يولون فيعدلون ولا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم فى الأمة متتابعاً ومتفرقاً. وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضى الله عنهم.

ومنهم المهدى الذى اسمه يطابق اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً. وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً** » [2].

وقال الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ [النور: ٥٥] قال: كان النبى ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراً وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد الهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون فى السلاح ويصبحون فى السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله.

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الإمارة، باب «١»، ح/٦) فتح البارى (١٣/ ٢١١).

(٢) إسناده حسن. رواه الترمذى (ح/ ٢٢٢٦) وأحمد فى (المسند، ٥/ ٢٢١) وابن حبان (ح/ ١٥٣١) والمشكل (٤/ ٣١٣) وقال الترمذى: « وفى الباب عن عمرو عن عليّ قالا: لم يعهد النبى ﷺ فى الخلافة شيئًا». وقال: « وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلاَّ من حديث سعيد بن جمهان» ولفظ الترمذى:

« حدثنا أحمد بن منيع. حدثنا سريج بن النعمان. حدثنا حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان قال: حدثنى سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: « الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك».

ثم قال لى سفينة: أمسك خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان. ثم قال لى: أمسك خلافة عليّ قال: فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إنَّ بني أمية يزعمون أنَّ الخلافة فيهم. قال: كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك من شرِّ الملوك».

ثم إن رجلاً من الصحابة قال: **يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: « لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتسباً ليست فيه حديدة»** [(١)] وأنزل هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح.

وقال تعالى: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾** [الفتح: ٢٧ ـ ٢٨].

كان رسول الله ﷺ قد رأى فى المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع فى نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شىء.

حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال له فيما قال: **أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: « بلى، أخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟» قال: لا.** قال النبى ﷺ: « **فإنك آتيه ومطوف به**» وبهذا أجاب الصديق رضى الله عنه أيضاً حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾** [(٢)] هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء فى شىء.

وصدق الله ورسوله فإن المسلمين دخلوا البيت الحرام وفتحوا مكة آمنين مستقرين حتى أنَّ الرجال والنساء والولدان جلسوا فى الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه.

فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدى قد بعثه إلى ذى طوى وهو راكب ناقته القصواء التى كان راكبها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الأنصارى آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول:

باسم الذى لا دين إلا دينه   باسم الذى محمد رسوله

---

(١) انظر: تفسير سورة [النور: ٥٥] لابن كثير.

(٢) انظر: تفسير سورة [الفتح: ٢٧ ـ ٢٨] من تفسير ابن كثير.

خلوا بنى الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تأويله
كم ضربناكم على تنزيله	ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله	قد أنزل الرحمن فى تنزيله
فى صحف تتلى على رسوله	بأن خير القتل فى سبيله

يا رب إنى مؤمن بقيله

وقوله تعالى: **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾** [الأنفال: ٧].

ورد فى تفسير ابن كثير من حديث بدر: أنه لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليه. وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار. **ويسأل من لقى الركبان تخوفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك** فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة وخرج رسول الله ﷺ فى أصحابه حتى بلغ واديا يقال له: ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن.

ثم قام المقداد [1] بن عمرو فقال: **يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك. والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»** ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إن معكما مقاتلون. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى «برك الغماد» يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى الكندى حلفا أبو عمر بن الأسود صحابى تبناه عبد يغوث. له اثنان وأربعون حديثا. اتفقا على حديث وانفرد مسلم بثلاثة. وعنه ابن عباس وعبيد الله بن عدى بن الخيار وجماعة. كان فارس المسلمين يوم بدر باتفاق وهاجر إلى الحبشة وشهد المشاهد. قال النبى ﷺ: « أمرنى الله بحب أربعة فذكر منهم المقداد» مات سنة ثلاث وثلاثين. (خلاصة: ص/ ٣٩٨).

رسول الله ﷺ خيرًا ودعا لهُ بـخير ثم قال رسول الله ﷺ: « **أشيروا عليَّ أيها الناس**» وإنما يريد الأنصار.

وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: **يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا** وصلت إلينا فـأنت فى ذمامنا نمنعـك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنـا. وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليـها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه. وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قال له [1] **سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال:« أجل» قال: فقد آمنا بك وصـدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عـهـودنا ومواثيـقنا على السـمع والطاعـة** فامض يا رسـول الله لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فـخضته لخضناه مـعك ما يتخلف منَّا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا إنَّا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء.

ولعلَّ الله أن يريك منَّا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله.

فـسر رسـول الله ﷺ بقول سـعد ونشطه ذلك ثم قـال:«**سـيروا على بركـة الله. وأبشـروا فإن الله قـد وعدنـى إحدى الطائفـتين** [2] **والله لكأنى الآن أنظر إلى مـصـارع القوم**».

وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] أى سيـتفرق شملهم ويغلبون. روى البخـارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهمـا أنَّ النبى ﷺ قال وهو فى قبـة له يوم بدر: « **أنشـدك عهـدك ووعدك الـلهم إن شئت لم تعـبـد بعد اليـوم فى الأرض أبدًا**» [3].

فأخذ أبو بكر رضـى الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسـول الله ألححت على ربك

---

(١) سعد بن معاذ بن النعـمان بن امرئ القيس بن يزيد بن عبد الأشهل الأوسى أبو عمرو سـيد قومه. شهد بدرًا وأحدًا. وقال النبى ﷺ: « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» وقال: « مناديل سعد فى الجنة خير من هذه الحلة». استشهد زمن الخندق. له حديث موقوف. روى عنه ابن مسعود. (خلاصة: ص/ ١٣٥).

(٢) إسناده صـحـيح. رواه الطبرى (٩/ ١٢٤) والـبيـهـقى فى (النبـوة، ٣/ ١٠٧) وأورده ابن كثـيـر فى (التفسير، ٣/ ٥٥٨).

(٣) صحيح. رواه البـخارى (٦/ ١٧٩) والبيهـقى فى (الكبرى، ٩/ ٤٦) وأورده القرطبى فى (التفـسير، ١٧/ ١٤٦).

فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: ٥٣].

قال ابن كثير: أى ستظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقًا منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

ويحتمل أن يكون المراد على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك آيات الله تعالى فى الكون الأعلى والدراسات التكنولوجية الحديثة وأبحاث الفضاء تبرهن على صدق هذه الآية **بل هناك قوانين عليا لم يكتشفها الإنسان بعد.**

والدراسات النفسية والطبية تكشف فى الإنسان علوماً ليس لها حد ومعرفة الإنسان دائماً هى معرفة القانون الذى خلقه الله ويجهله الإنسان فهل كان رسول الله ﷺ يقول هذا من عند نفسه؟

إنه لوحى الله المعصوم.

قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أى لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم.

أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا فى مقام الحشر: الملائكة محدقة بالخلائق سبعة صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب إلا بأمر الله تعالى.

وهذه الآية الكريمة تصريح بأن الخروج من أقطار السموات والأرض ممكن ولكن لابد من سلطان وعلم. وقد صعد الإنسان على القمر وتلك مرحلة ابتدائية لما جاء فى الآية. فإن الآية الكريمة تقول: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والقمر واحد صغير فى السماء إن كان فى السماء فأبعاد العمل فى الآية فسيحة غير محدودة فهل كان ذلك من وحى الله؟ أو كان كلام محمد ﷺ:

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢] قال ابن كثير: شرع تبارك وتعالى فى بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً أى مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسى الشامخات.

والسماء بناء وهو السقف كما قال فى الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ويفرق العلم بين البناء والبنيان فالبناء ليس مادياً تحكمه الجاذبية. والبنيان: مادى له مادة معينة وهذا ما قرره القرآن الكريم لأنَّه من عند الله فكوَّن الله سبحانه وتعالى السماء بنظام متماسك كنظام البناء وسوى أجرامها على ما نشاهد. وأمسكها حتى لا تقع على الأرض ولا يصطدم بعضها على بعض حتى يأتى اليوم الموعود.

وقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧] أى جعل لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. وقد أثبت العلم الحديث أنَّ اتزان الأرض فى دورانها مرتبط بسلسلة الجبال وتوزيعها على سطح الأرض وأن توزيع الرياح له ارتباط كذلك بتوزيع سلسلة الجبال.

وهذا معنى الوتد فى اللغة العربية لأنه يثبت الشيء فالجبال تثبت الأرض فى دورانها وإلا مادت وارتجت وسقطت ولولا الجبال لكانت الأرض دائمة الاضطراب لما فى جوفها من المواد الدائمة الجيشان فلا تتم الحكمة فى كون الأرض مهاداً لهم.

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] فقد أثبت علم الحشرات الحديث أنَّ التى تبنى عش العنكبوت هى الأنثى والفعل ﴿اتَّخَذَتْ﴾ اتصلت به تاء التأنيث للدلالة على هذه الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]أى فى العسل شفاء للناس أى من أدواء تعرض لهم. قال بعض من تكلم على الطب النبوى: لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء من كل داء. ولكن قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أى يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار. والشيء يداوى بضده.

والدليل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ هو العسل ما رواه الشيخان

في صحيحيهما بإسنادهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ أخى استطلق بطنه فقال: «اسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقا. فقال رسول الله ﷺ: «إذهب فاسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلاً. ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته رعسلاً فما زاده إلا استطلاقًا. فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك. اذهب فاسقه عسلاً فبرئ» (1).

قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلاً وهو حار تحللت فأسرعت فى الاندفاع فزاده إسهالاً. فاعتقد الأعرابى أنَّ هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما: **«أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الحلواء والعسل»** (2).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشفاء فى ثلاثة: فى شرطة محجم. أو شربة عسل. أو كية بنار وأنهى أمتى عن الكى»** (3).

وعن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن كان فى شىء من أدويتكم أو يكون فى شىء من أدويتكم خير: ففى شرطة محجم. أو شربة عسل. أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوى»** (4).

وعن عقبة بن عامر الجهنى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث إن كان فى شىء شفاء: فشرطة محجم. أو شربة عسل. أو كية تصيب ألماً وأنا أكره الكى ولا أحبه»** (5).

---

(1) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٧/ ١٥٩، ١٦٦) ومسلم فى (السلام، باب «٣١»، ح/ ٩١) والترمذى (ح/ ٢٠٨٢) وأحمد فى (المسند، ٣/ ١٩، ٩٢) والصحيحة (ح/ ٢٤٣).

(2) صحيح. رواه البخارى (٧/ ١٤٣، ١٥٩) وابن سعد فى (الطبقات، ١/ ٢/ ١٠٨).

(3) فى صحيح. رواه البخارى (٧/ ١٥٩) وابن ماجة (ح/ ٣٤٩١) وأحمد فى (المسند، ١/ ٢٤٦) والصحيحة (ح/ ١١٥٤)

(4) صحيح. رواه البخارى (٧/ ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣) ومسلم (ص/ ١٧٣٠) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٣٤٣) والبيهقى فى (الكبرى، ٩/ ١٤١).

(5) أورده ابن كثير فى (التفسير، ٤/ ٥٠٢) وتقى الدين الهندى فى (كنز العمال، ح/ ٢٨١٧٣).

قد أكد علماء الطب أن العسل يشفى أنواعاً من الأمراض منها البثور والروماتيزم وأمراض الجلد عموماً وأمراض العين. وقد استعمل العسل للغيار على الجروح حتى السرطانية منها والغرغرينة التى تصيب الأقدام والأيدى فى مرض السكر والتى أوصى الجراحون ببترها.

وقول الله تعالى: ﴿**الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾ [الروم ١ـ٥].

لقد هزمت الفرس دولة الروم وكانت دولة الروم قد بلغت من الضعف حداً يكفى لشللها إلى مدى الحياة ولكن القرآن الكريم أكد انتصار الروم فى بضع سنين على الفرس ثم قرر أن نصر الروم على الفرس سوف يصاحب نصر المسلمين على الكافرين.

ولقد صدقت الأخبار الثلاثة فتم هزيمة الروم من الفرس بإجماع المؤرخين فى أقل من تسع سنين. وجاءت النبوة الصادقة الخالصة بغلبة الروم فى بضع سنين.

وقد روى ابن جرير بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت: ﴿**الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾ قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إنَّ الروم تظهر على فارس فى بضع سنين. قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك. فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شىء ففرح المشركون بذلك. فشق على المسلمين. فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: «**ما بضع سنين عندكم؟**» **قالوا: دون العشر**، قال: «**اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل**» قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس. ففرح المؤمنون بذلك [1].

فماذا كان يملكه محمد ﷺ أن يخضع الزمن لكلامه لو لم يكن هذا من وحى الله تعالى؟ ثم انظر إلى تلك الثقة المطلقة فى وعد الله كما تبدو فى قول أبى بكر رضى الله عنه فى غير تلعثم ولا تردد. والمشركون يُعَجِّبونه من قول صاحبه فما يزيد على أن

(١) أخرجه ابن جرير فى «جامع البيان»: (٢١/ ١٣). غريبه: قوله: نقامرك أى نراهنك.

يقول: صــدق ويراهنونه فيراهن وهو واثق ثــم يتحقق وعـد الله تعالى فى الأجل الذى حدده فى بضع سنين.

وهذه الثقة المطلقة على هذا النحو الرائع هى التى ملأت قلوب المسلمين قوة ويقيناً وثباتًا فى وجه العقبات والآلام والمحن حتى تمت كلمة الله تعالى وحق وعد الله تعالى. وهى عدة كل ذى عقيدة فى الجهاد الشاق الطويل.

والجـدير بالملاحظة فى هذه الآية ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ **فلم يقطع القـرآن بالعـدد ولم يقل عـشـراً أو تسـعاً ذلـك لأن البضـع فى اللغـة من ٣ إلى ٩ والناس فى اصطلاحـهم الحسابى لا يجرون على طريقة واحدة.**

فهنـاك من يحسب بالشـمس ومن يحسب بالقـمر ومن يكمل الكسـور ومنهم من يلغيها. فاقتضى اللفظ القرآنى الإحاطة بكل هذه الاصطلاحات فقال: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ للدلالة على أنه وحى الله تعالى وأنه يمكن أن تفهمه جميع العقليات لو أخلصت القراءة والإدراك والفهم.

****

• علام الغيوب:

قال العليم الخبير: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٥٩].

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما يكون فى غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ، ولا تدرى نفس أى شىء تكسب غدا، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى يجىء المطر إلا الله تعالى** » (رواه الإمام أحمد [١]، والبخارى عن ابن عمر).

وجاء الوارث بن عمرو بن حارثة ـ رجل من أهل البادية ـ النبى الخاتم ﷺ فقال:

ـ إن امرأتى حبلى فأخبرنى ماذا تلد؟، وبلادنا جدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث ـ المطر ؟، وقد علمت متى ولدت فأخبرنى متى أموت؟، وقد علمت ما عملت اليوم فأخبرنى ماذا أعمل غدا؟، وأخبرنى متى تقوم الساعة؟

فأنزل السميع البصير ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (سورة لقمان الآية: ٣٤).

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس [٢]: **هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل**، فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه، **فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه**. ثم إن الأنبياء يعلمون كثيراً من الغيب بتعريف الله تعالى إياهم .

يقول عمر بن الخطاب [٣]:

---

(١) صحيح. روه أحمد فى (المسند، ١٢٢) والبخارى (٦/ ٧١، ١٤٤) والمشكاة (ح/ ١٥١٤) وأورده ابن كثير فى (التفسير، ٣/ ٢٦٠، ٤/ ٣٧٥، ٦/ ٣٥٥).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمى. الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله ﷺ . دعا له النبى ﷺ أن يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل .
توفى ابن عباس بالطائف فى سنة ثمان وستين. (أسد الغابة: ٣/ ٢٩٠)

(٣) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ (مروج الذهب: ٢/ ٣١٢).

إنه كان عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل عليه ثوبان أبيـضان حسن النحو والناحية فقال: ـ أدنو منك يا رسول الله؟

فقال ﷺ:

ـ **«ادن»**

فلم يزل يدنو حتى كانت ركبته عند ركبة رسول الله ﷺ ثم قال:

ـ أسألك؟

قال:

ـ **«سل»**

قال ـ جبريل عليه السلام:

ـ أخبرني عن الإسلام.

قال عليه الـصلاة والسلام: ـ « **شـهادة أن لا إلــه إلا الله وأني رسول الله، وإقـام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان** ».

قال:

ـ فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟

قال ﷺ:

ـ **«نعم»**.

قال الرجل:

ـ صدقت.

يقول عمر: فجعلنا نعجب من قوله لرسول الله ﷺ:

ـ صدقت.

كأنه أعلم منه.

ثم قال:

- يا رسول الله: أخبرني عن الإيمان.

قال ﷺ:

- «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال:

- فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- «نعم».

قال الرجل:

- صدقت، فأخبرني عن الساعة.

قال ﷺ:

- «ما المسئول عنها بأعلم من السائل هن خمس: لا يعلمهن إلا الله: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت...».

فقال الرجل:

- صدقت (رواه الطبراني [1] فى المعجم الكبير عن عمر).

يقول الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود[2]:

- كل شىء أوتى ﷺ غير خمس﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

(١) صحيح. متفق عليه. أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١/ ٤٠) وعزاه إلى «الطبراني» ورواه البخارى (١/ ٢٠، ٦/ ١٤) ومسلم فى (الإيمان، ح/١، /٧) وأبو داود فى (السنة، باب «١٦») والترمذى (ح/ ٢٦١٠) والنسائى فى (الإيمان، باب «٦») وابن ماجه (ح/٦٣، ٦٤، ٤٠٤٤) وأحمد فى (المسند، ١/ ٢٧، ١، ٣، ٢٠٣).

(٢) عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى صحب رسول الله ﷺ وخدمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء المقرئين. وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى. مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وله نحو من ستين سنة. (الإصابة: ٢/ ٣٦٠).

الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ .

وقال تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾** (سورة النمل الآية: ٦٥).

فقد أخفى علام الغيوب غيبه عن الخلق، ولم يطلع عليه لئلا يأمن أحد من عبيده مكره قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ:

- « **إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر ومغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**» (أخرجه ابن ماجه [1] باب من كان مفتاحا للخير عن أنس).

فالله عز وجل عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله بدليل قوله تعالى: **﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾** (سورة آل عمران الآية: ١٧٩).

تخلف المنافقون يوم أحد، ولما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ أظهر المنافقون الشماتة فما كنتم أيها المؤمنون تعرفون هذا الغيب قبل هذا، فالآن قد أطلع الله محمدا ﷺ على ذلك وقال تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾** (سورة الجن الآية ٢٦ - ٢٧).

وقال تبارك وتعالى: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾** (سورة الشورى الآية: ٥١).

فإن الله لا يطلع أحدا على الغيب إلا من يستحق النبوة فهو يختار من رسله لإطلاعه على غيبه، فقد أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده.

*** دلائل النبوة في سمو حياة خاتم النبيين ﷺ :**

بلغت حياة النبي ﷺ من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغ، وكانت حياته قبل

(١) إسناده صحيح. رواه ابن ماجه (ح/ ٢٣٧) وابن المبارك في «الزهد» (٣٤٤) وصححه الشيخ الألباني. انظر: (الصحيحة، ح/ ١٣٣٢).

الرسالة مضرب المثل فى الصدق والكرامة، كما كانت بعد الرسالة كلها تضحية وصبر وجهاد فى سبيل الله تضحية استهدفت حياته للموت مرات، ولولا صدق أبى القاسم ﷺ فى تبليغ الرسالة وإيمانه بما ابتعثه الله به ويقينه المطلق برسالته لرأينا الحياة على مر الدهور تنفى مما قال شيئا.

يقول ابن عباس:

لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء الآية: ٢١٤).

صعد رسول الله على جبل الصفا فقال:

- **«يا معشر قريش»**

فقالت قريش:

- محمد على الصفا يهتف.

فأقبلوا واجتمعوا فقالوا:

يا محمد مالك يا محد؟

قال ﷺ:

- **«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى؟»**

قالوا: - نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط.

قال ﷺ:

- **«فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد».**

«يا بنى عبد المطلب، يا بنى عبد مناف، يا بنى زهرة»

حتى عدد الأفخاذ من قريش قال:

- **«إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبا، إلا أن تقولوا: لا إلـه إلا الله»** (١).

(١) صحيح. رواه البخارى ٦٠/ ٢٢١) وابن سعد فى (الطبقات، ١/١/٢، ١٣٣) ودلائل (١٥١) وشرح السنة (١٣/ ٣٢٧).

ولما خرج صاحب الخلق العظيم ﷺ إلى الطائف عقب موت أبي طالب وخديجة بنت خويلد وذلك في ليال بقيت من شوال سنة عشر من حين نبئ ﷺ ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه [1].

وكلم أبو القاسم ﷺ سادة ثقيف وأشرافهم وهم: عبد ياليل، ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وإلى الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم:

ـ هو ـ يعني نفسه ـ يمرط ثياب الكعبة إن الله كان أرسلك.

وقال الآخر:

ـ أما وجد الله أحدًا أرسله غيرك؟

---

(١) قلت: لم يكن من الممكن إذاً أن تكون مكة بجوها الخانق قاعدة الانطلاق بهذه الدعوة العالمية المباركة. وبالتالي فلا مناص من مغادرتها مؤقتاً للعودة إليها في ظروف مهيأة وبوسائل غلابة.
فيمَّم وجهه شطر الطائف عساه يجد عند أهلها قلوباً ألين وعقولاً أرشد فيحظو بشرف حماية الدعوة وحملها فعرض دعوته على أهلها فإذ به يلقى من سادتها وسفهائها ما لم يخطر له على بل حتى إنه ليرى أن ما لقيه منهم هو أشد ما لقى من الأذى.
عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: « لقد لقيت من قومك ما لقيتُ. وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضت نفسي على عبد ياليل ابن كلال فلم يُجبْني إلى ما أردتُ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني. فنظرت فإذا فيهاجبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم» قال: « فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». صحيح. متفق عليه. رواه البخاري في (بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ٦/ ٣١٢ ـ ٣١٣، (ح/ ٣٢٣١) ومسلم في (الجهاد، باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ٣/ ١٤٢ (١٧٩٥/ ١١). وابن حبان (١٤/ ٥١٦ ـ ٥١٧) والبيهقي في (الدلائل، ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧).
غريبه: قوله: « قرن الثعالب» ويقال له: قرن المنازل: الموضع الذي يحرم منه أهل نجد (النهاية: ٤/ ٥٤) وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير. ومتى زال الوادي يسمى قرنًا. والبلدة تسمى السيل وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية. يبعد عن مكة (٨٠) ميلاً. وعن الطائف (٥٣) ميلاً. معجم المعاجم الجعرافية في السيرة: ص/ ٢٥٤).
وقوله: «الأخشبين» هما جبلان في مكة: قبيس والجبل الذي يقابله.
وعاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة وقد يئس من نصرتهم. وقد ازداد اختناق الدعوة على النحو الذي يصوره دعاؤه غداة عودته من الطائف.

وقال الثالث:

- والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغى أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط - بستان - لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة بن ربيعة وهما فيه.

ورجع صبيان وسفهاء ثقيف عن أبى القاسم ﷺ ومن كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف.

فلما اطمأن النبى الأمى العربى القرشى المكى الهاشمى ﷺ قال:

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى،

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » (1).

فلما رأى عتبة وشيبة ابنا ربيعة ما لقى محمد بن عبد الله ﷺ دعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له: عدّاس فقالا له:

- خذ قطفًا من هذا العنب، فضعه فى طبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه .

---

(1) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» وفيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد: ٦/ ٣٥) وهو من مراسيل الصحابة. فإنَّ عبد الله بن جعفر لم يدرك القصة إذ قد ولد بالحبشة حين كان أبوه مهاجرًا إليها.

وقد روى الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٥٦٧) عن مسلم بن الحجاج أن عبد الله بن جعفر سمع من النبى ﷺ وهو ابن عشر سنين. وعلى كل حال فمراسيل الصحابة مقبولة لأن معظم رواياتهم عن الصحابة أو عن النبى ﷺ كما قرر علماء الحديث.

وهذا الدعاء أخرجه ابن إسحاق - وعنه أصحاب السير - عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى مرسلاً وإسناده صحيح. وفيه أنَّ الشجرة كانت شجرة عنب فى حائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة. وفيه كذلك قصة عداس المشهورة . والحديث بطريقيه قوىّ مقبول إن شاء الله.

ففعل عداس.

ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى ـ أمام ـ رسول الله ﷺ ، فلما وضع حبيب الرحمن ﷺ يده فى الطبق قال:

ـ **«بسم الله»**

ثم أكل

فنظر عداس إلى وجهه وقال:

ـ والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد

فقال له المبعوث للناس كافة ﷺ:

ـ **«ومن أى البلاد أنت ؟ وما دينك؟»**

قال عداس :

ـ أنا نصرانى، وأنا رجل من أهل نينوى ـ قرية بالقرب من الموصل على نهر دجلة بالعراق ـ

فقال له الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ **«من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّي؟»**

فقال له عداس:

ـ وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال كاشف الغمة ﷺ:

ـ **«ذاك أخى، كان نبيا، وأنا نبى»**

فأكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه ورجليه

فقال عتبة لأخيه شيبة:

ـ أما غلامك فقد أفسده عليك

فلما جاءهما عداس قالا له:

- ويلك يا عداس: ما لك تقبل رأس الرجل ويديه ورجليه؟

قال عداس:

- يا سيدى: ما فى الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى

قال عتبة وشيبة ابنا ربيعة:

- ويحك يا عداس، لا يصرفنك؛ عن دينك فإن دينك خير من دينه [1].

وخلاصة الدين الذى نادى بها خاتم النبيين ﷺ:

هو أن الله واحد - لا إلــه إلا هو ولذلك لا يجوز عـبادة غيـره، وأن الله عادل رحيم بعـباده، وأن مصيـر الإنسان النهائى مـتوقف عليه وحده، فـمن آمن به فإن الله يؤجره فى الآخرة أجرا حسنا، وإذا ما خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه يعاقبه فى الآخرة عقابا أليما، وأن الله تـعالى يأمر الناس بمحبته ومحبة بعضـهم بعضا ومحبة الله تكون بالصلاة ومـحبة الناس تكون بمشـاركتهم فى السـراء والضراء، وإن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ينبغى عليهم أن يبذلوا وسـعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية والابتعاد عن الملذات الدنيوية، وأنه يتحتم عليهم ألا يخدموا الجسد ويعبدوه.

بل عليهم أن يخدموا الروح ويهذبوها.

ومحـمد ﷺ لم يقل عن نفـسه أنه النبى الوحيـد، بل اعتقـد أيضا بنبـوة موسى وعيسى عليهما السلام وقال:

- اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم.

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون الآية: ٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ سورة آل عمران الآية ١٩.

*** نبوءات خاتم النبيين ﷺ:**

حدث الصـادق المصدوق ﷺ أصحـابه بأحاديث رآها بعين النبـوة فكانت نبوءات

(١) صحيح. أخرجه الطبرانى فى «التاريخ» (٢/٣٤٦) وأورده القرطبى فى «التفسير» (١٦/ ٢١١).

صادقة منها ما تحقق عقب انتهائه من حديثه.

ومنها ما حدث بعد أيام من مقولته.

ومنها ما حدث وتحقق بعد أيام.

ومنها ما تحقق بعد أشهر

ومنها ما تحقق بعد عام

ومنها ما حدث بعد أعوام

ومنها ما حدث بعد مائة عام

ومنها ما تحقق فى أيامنا هذه.

ومنها مـا سوف يتحـقق ومن المؤكد أننا سنراها رأى العين مـا دام تنبأ بها حـبيب الرحمن ﷺ فلا بد أن تحدث ونراها ونراها.

*** يوم الخندق:**

اشتـد الخوف والكرب بالمسلمين يوم الأحزاب لمـا علموا أن بنى قريظة قـد نقضت عهدها مع النبى ﷺ وحاربت مع الأحزاب ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ [سورة الأحزاب الآية: ١٠].

فـقام رسـول الله ﷺ ودعـا ربه: «**اللهم منزل الكـتاب، سـريع الحـسـاب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم**» (١).

يقول الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق هويا - جزءا - من الليل، ثم التفت إلينا وقال:

- «**من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم - الأحزاب - ثم يرجع؟**»

فما قام رجل من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى(٤/ ٥٣، ٦٢، ٥/ ١٤٢، ٨/ ١٠٤، ٩/ ١٧٤) ومسلم فى (الجهاد، ح/ ٢٠ - ٢٢، ٢٧) وأبو داود (ح/ ٢٦٢٢) والترمذى (ح/ ١٦٧٨) وابن ماجه (ح/ ٢٧٩٦) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٣٥٤).

فعاد رسول الله ﷺ يدعو أحدا من أصحابه.. فلم يتحرك أحد.

وتقابلت عيناه بعيني، فأدركت أنه ﷺ يطلبني، **فلم يكن لي بد من القيام** فقال عليه الصلاة والسلام:

- « يا حذيفة: اذهب فادخل في القوم فانظر ما يصنعون، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا - ترجع إلينا » - [1].

وما كان عليَّ إلا مرط - ثوب - امرأتي ما يجاوز ركبتي.

قام حذيفة بن اليمان، وكان الليل مظلما رهيبا، وكانت العواصف تزأر وتزمجر وتصطخب كأنما تريد أن تقتلع الجبال الرواسي.

قال رسول الله ﷺ:

- «إنه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم

لم يملك حذيفة إلا أن يلبي رغم الجوع والصقيع والإعياء الشديد الذي خلفه حصار الأحزاب، فلا بد أن خبرا سيحدث في الأحزاب ما دام قال ذلك سيد الأولين والآخرين ﷺ:

وقطع حذيفة بن اليمان المسافة بين المعسكرين وتسلل عبر الخندق إلى عسكر قريش، فوجد الريح على أشدها حتى أطفأت نيرانهم وخلعت خيامهم وأكفأت قدورهم فخيم الظلام

واتخذ حذيفة مكانه بين صفوف الأحزاب.

وخشي أبو سفيان بن حرب قائد جيش الأحزاب أن يفاجأهم الظلام بمتسللين من أصحاب محمد ﷺ فقام يحذر الأحزاب:

---

(١) إسناده حسن. رواه أحمد في (المسند، ٥/ ٣٩٢) والطبري في (التفسير، ٢١/ ٨٠) وأورده ابن كثير في (البداية والنهاية، ٤/ ١١٣).

وحذيفة: هو ابن اليمان واسم اليمان: حُسَيل مصغرًا. ويقال: حِسب بكسرثم سكون العبسي بالموحدة حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين. صح في مسلم عنه أنَّ رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة وأبوه صحابي أيضاً استشهد بأحد. ومات حذيفة في أول خلافة عليٍّ سنة ست وثلاثين. (تقريب: ١٥٦).

ـ يا معشر قريش ، لينظر كل منكم جليسه وليأخذ بيده ليعرفه.

لم يتسلل الرعب إلى صدر حذيفة بن اليمان فلقد قال له الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ**«يا حذيفة ، لا تحدثن فى القوم شيئا حتى تأتينا»**.

فلابد من عودة حذيفة إلى النبى ﷺ سالما، فلم الخوف والرعب؟

يقول حذيفة بن اليمان:

فسارعت إلى يد الرجل الذى بجوارى وقلت له:

ـ من أنت؟

قال:

ـ أنا فلان ابن فلان

فأمن حذيفة بن اليمان وجوده بين المشركين وجلس فى سلام واستأنف زعيم قريش وقائد عام الأحزاب:

ـ يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع ـ الدواب ـ والخف ـ الجمل المسن ـ وأخلفتنا قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره ـ نقضوا عهدهم مع الأحزاب ورجعوا إلى رسول الله ﷺ وندموا على ما فعلوا حين قرروا محاربته ، ولقينا من شدة الريح ما ترون: ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار،ولا يتماسك لنا بناء.

يقول حذيفة:

نظرت ضوء نار لقريش توقد ، وإذا برجل أدهم ضخم يبسط كفيه على النار ويمسح بهما خاصرتيه ويقول:

ـ ارتحلوا إنى مرتحل.

ثم قام إلى جمله وهو معقول ـ مربوط ـ فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث.

فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم فعرفت أنه زعيم قريش، ولم أكن أعرف أبا سفيان من قبل.

فانتزعت سهـما من كنانتى أبيض فوضعته فى كبد قـوسى لأرميه به فى ضوء النار لولا عهد رسول الله ﷺ إلى:

- «**ألا تحدث شيئا حتى تأتينى**» (١)

لرميت أبا سفيان (٢) بن حرب بسهم.

ورجع حذيفة بن اليمان سالما إلى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فأخبره بأمر رحيل الأحزاب.

*** صدق الكذوب**

يقول عبد الرحمن بن صخر الدوسى - أبو هريرة (٣) :

وكلنى رسول الله بـحفظ زكاة رمـضان - تمر، شعـير، دقـيق و. . . - فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت له:

- لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ

قال:

- دعنى فإنى محتاج وعلىَّ عيال ولى حاجة شديدة

فخليت عنه، فأصبحت فقال النبى ﷺ:

- «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**»

قلت:

- يا رسول الله : شكا حاجة شديدة وعيال فرحمته وخليت سبيله

---

(١) إسناده جيد. رواه أبو نعيم فى (دلائل النبوة، ٣/ ٤٥٢) وأورده السيوطى فى «المنثور» (٥/ ١٨٤) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/ ١١٥).

(٢) أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى صحابى شهير أسلم عام الفتح ومات سنة اثنين وثلاثين وقيل: بعدها (تقريب: ١/ ٣٦٥).

(٣) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى. حفظ عن النبى ﷺ الكثير وعن أبى بكر وعمر وأبى ابن كعب . قال البخارى: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر. وولى إمرة المدينة وناب أيضاً عن مروان فى إمرتها. توفى سنة ثمان وخمسين. (تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٢).

قال ﷺ:

ـ« أما إنه كذبك وسيعود»

فعرفت أنه سيعود لقول ـ لتنبأ ـ رسول الله ﷺ: أنه سـيعود فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت:

ـ لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ

قال:

ـ دعني، عليَّ عيال، ولا أعود..

فرحمته وخليت سبيله

فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ:

ـ «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟»

قلت:

ـ يا رسول الله ، شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله.

قال ﷺ:

ـ «أما إنه كذبك وسيعود»

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت له:

ـ لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذه آخر ثلاث مرات أنك تزعم إنك لا تعود، ثم تعود

قال:

ـ دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها

قلت :

ـ وما هي؟

قال:

ـ إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ

وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٥، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

فخليت سبيله.

فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ:

ـ «ما فعل أسيرك البارحة؟»

قلت:

ـ يا رسول الله، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها، فخليت عنه.

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ «وما هى؟»

قلت:

ـ قال لى: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى، وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شىء على الخير.

قال النبى ﷺ:

ـ «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟»

قلت:

ـ لا

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ «**ذاك الشيطان**» (رواه البخارى [1] وكتاب فضائل القرآن، كتاب الوكالة، وفى صفة إبليس).

---

(١) صحيح. رواه البخارى فى (الوكالة، باب «١٠»، ح/ ٢٣١١) والترمذى (ح/ ٢٨٨٠) وابن ماجه (ح/٢٤٢٨) وأحمد (٥/ ٤٢٣) والطبرانى فى «الكبير» (٤/ ١٩٣، ١٩٥).

*** أخبرك بما جئت تسألنى عنه؟**

يقول الصحابى الجليل واصبة [1] الأسدى:

أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه فجعلت أتخطى الناس فقالوا:

ـ إليك يا واصبة عن رسول الله ﷺ

فقلت:

ـ دعونى أدن ـ أقترب ـ منه

فقال ﷺ:

ـ «ادن يا واصبة، ادن يا واصبة»

فدنوت حتى مست ركبتى ركبته فقال ﷺ:

ـ«يا واصبة أخبرك بما جئت تسألنى عنه؟»

فقلت:

ـ يا رسول الله، أخبرنى

قال ﷺ:

ـ «جئت تسألنى عن البر والإثم»

قلت:

ـ نعم

فجمع أصابعه وجعل ينكت بها فى صدرى ويقول:

«يا واصبة، استفت قلبك، استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب وأطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»

---

(١) فى «التقريب» (٢/٣٢٨/١): «وابصة بكسر الموحدة ثم مهملة. ابن معبد عُتْبة الأسدى. صحابى نزل الجزيرة. وعُمِّر إلى قرب سنة ستين.

(رواه الإمام أحمد [١] فى المسند: والطبرانى فى المعجم الكبير، والبيهقى فى دلائل النبوة عن واصبة).

ويقول عبد الله بن عمر[٢] فى إخبار النبى ﷺ السائل بما أراد أن يسأله قبل سؤاله:

كنت جالسا عند النبى ﷺ فجاءه رجلان أحدهما أنصارى والآخر ثقفى - من ثقيف - فابتدر المسألة للأنصارى.

فقال رسول الله ﷺ:

- **«يا أخا ثقيف، إن الأنصارى قد سبقك بالمسألة»**

فقال الأنصارى:

- يا رسول الله: فإنى أبدأ به

فقال عليه الصلاة والسلام:

- **«سل عن حاجتك، وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسأل عنه»**

فقال الثقفى:

- فذاك أعجب إلىَّ يا رسول الله

قال ﷺ:

- **«فإنك جئت تسأل عن صلاتك بالليل وعن ركوعك وعن سجودك وعن صيامك وعن غسلك من الجنابة»**.

فقال الثقفى:

- والذى بعثك بالحق إن ذلك الذى جئت أسألك عنه.

(١) إسناده حسن. رواه أحمد (٤/ ٢٢٨) وأبو نعيم فى (الحلية، ٢/ ٢٤) ومشكل (٣/ ٣٤) وابن عساكر فى (التاريخ، ٣/ ٢١٢).

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أبو عبد الرحمن. ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة. وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة. وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين فى آخرها أو أول التى تليها. (تقريب: (١/ ٤٣٥).

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ «أما صلاتك بالليل ، فصل أول الليل وآخر الليل ونم وسطه».

قال الثقفى :

ـ أفرأيت يا رسول الله إن صليت وسطه؟

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ«فأنت إذاً إذاً»

ثم قال ﷺ:

ـ «وأما ركوعك فإذا أردت فاجعل كفيك على ركبتيك وافرج أصابعك ثم ارفع رأسك فانتصب قائما حتى يرجع كل عظم إلى مكانه، فإذا سجدت فأمكن جبهتك من الأرض ولا تنقر ـ كنقر الديك أو الغراب ـ وأما صيامك فصم الليالى البيض يوم ثلاثة عشر ويوم أربعة عشر ويوم خمسة عشر»(رواه البيهقى [1]فى الدلائل).

ثم أقبل ﷺ إلى الأنصارى فقال:

ـ «يا أخا الأنصار ، سل عن حاجتك، وإن شئت أنبأناك بالذى جئت تسأل عنه»

قال الأنصارى:

ـ فذاك أعجب إلىَّ يا رسول الله

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

«فإنك جئت تسأل عن خروجك من بيتك تؤم البيت العتيق، وتقول:

ـ ماذا لى فيه؟ وعن وقوفك بعرفات وتقول: ماذا لى فيه؟ وعن رميك الجمار تقول: ما لى فيه؟ وعن طوافك بالبيت وتقول: ما لى فيه؟»

فهتف الأنصارى:

ـ إى والذى بعثك بالحق إن هذا الذى جئت أسأل عنه.

(١) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى (الدلائل، ٦/ ٢٩٣) والطبرانى فى (الكبير، ١٢/ ٢٤٥) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧٤) وعزاه إليه . ورواه عبد الرزاق (ح/ ٨٨٣٠).

قال عليه الصلاة والسلام:

«أما خروجك من بيتك تؤم البيت العتيق - الحرام - فإن لك بكل موطأة تطأها راحلتك أن تكتب لك حسنة وتمحى عنك سيئة، وإذا وقفت بعرفات فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة:

هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ويخافون عذابى وهم لم يرونى، فكيف لو رأونى؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج ذنوبا أو قطر السماء أو عدد أيام الدنيا غسلها عنك، أما رميك الجمار: فإن ذلك مدخور لك عند ربك، فإذا حلقت رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط من رأسك أن تكتب لك حسنة وتمحى عنك سيئة ، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك ليس عليك منها شيء» (رواه [1] السيوطى فى الخصائص الكبرى).

ويقول الصحابى الجليل عقبة [2] بن عامر الجهنى:

كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فخرجت ذات يوم فإذا أنا برجال من أهل الكتاب بالباب معهم مصاحف فقالوا:

- من يستأذن لنا على النبى ﷺ؟

فدخلت على النبى ﷺفأخبرته فقال:

-«ما لى ولهم؟ يسألوننى عما لا أدرى، إنما أنا عبد لا أعلم الا ما علمنى ربى عز وجل ».

ثم قال لى:

- «ابغنى وضوءا»

فأتيته بوضوء فتوضأ

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى (٢/ ١٠١) وتاريخ جرجان (٤٨٤).

(٢) عقبة بن عامر الجهنى له خمسة وخمسون حديثا اتفقا على سبعة وانفرد البخارى بحديث ومسلم بتسعة . وعنه جابر وابن عباس وقيس بن أبى حازم وخلق. اختط البصرة وولى مصر لمعاوية وحضر معه بصفين وولى غزو البحر وكان فصيحاً شاعراً مفوّها كاتبًا قارئًا لكتاب الله عالمًا. قال خليفة : مات سنة ثمان وخمسين . (خلاصة تهذيب الكمال: ص/٢٦٩).

ثم خرج ﷺ إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم انصرف ، وقال لى: وأنا أرى السرور والبشر في وجهه:

ـ «أدخل القوم علىَّ، وما كان من أصحابى فأدخله»

فأذنت لهم فدخلوا فقال:

ـ « إن شئتم أخبرتكم عما جئتم عنه من قبل أن تكلموا، وإن شئتم فتكلموا قبل أن أقول ».

قالوا:

ـ قل فأخبرنا

فقال ﷺ:

«جئتم تسألونى عن ذى القرنين.

إن أول أمره أنه كان غلاما من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل أرض مصر فابتنى مدينة يقال لها الأسكندرية ، فلما فرغ من شأنها بعث الله عز وجل ملكا ففرع به فاستعلى بين السماء

ثم قال:

ـ انظر ما تحتك؟

فقال :

أرى مدينتين

ثم استعلى به ثانية ثم قال:

ـ انظر ما تحتك؟

فنظر فقال:

ـ ليس أرى شيئا

فقال له:

ـ المدينتان هو البحر المستدير، وقد جعل الله عز وجل لك مسلكا تسلك به فعلَّم

الجاهل وثبت العالم.

ثم جوزه فابتنى السُّدَّ جبلين زلقتين لا يستقر عليهما شيء ، فلما فرغ من السد سار في الأرض فأتى على أمة أو على قوم وجوههم كوجوه الكلاب، فلما قطعهم أتى على قوم قصار ، فلما قطعهم أتى على قوم من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة، ثم أتى على الغرانيق.

وقرأ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ » سورة الكهف ٨٣ ـ ٨٥.

فقالوا:

ـ هذا نجده في كتابنا (رواه السيوطي [١] في الخصائص الكبرى).

*** الرسول ﷺ يفقد ناقته القصواء :**

منذ أن خرج رسول الله إلى تبوك والمنافقون لم يكفوا عن محاولاتهم الخبيثة لزعزعة ثقة المسلمين في صدق نبيهم ﷺ، فلا تأتي مناسبة يرون أنها ملائمة لاستخدامها لتحقيق أهدافهم التشكيكية إلا واغتنموها، غير مبالين باستياء صاحب الخلق العظيم ﷺ لتصرفاتهم المشينة المتكررة مستغلين سعة حلم الرحمة المهداة ﷺ وصبره عليهم.

فقد حدثت حادثة ازداد بها المؤمنون إيمانا، وزاد هؤلاء المشبوهون المنافقون ضلالا وبث الإرجاف والتشكيك في نبوءة الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

فقد نزل أبو القاسم ﷺ منزلا وبات ، فلما أصبح افتقدت ناقته القصواء فخرج بعض أصحابه يبحثون عنها، فاستغل المنافقون في الجيش الإسلامي هذا الحادث، وحاولوا أن يجعلوا منه منطقا ومنطلقا لتسرب الشكوك والريب إلى النفوس الضعيفة في صدق نبوءة النبي الخاتم ﷺ ، فقال زيد بن اللصيت وكان من رءوس المنافقين:

ـ أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى: (٢/١٠١).

لقد تظاهر زيد بن اللصيت أحد يهود بنى قينقاع بالإسلام، بينما ظل صدره ينطوى على حقده وبغضه لصاحب الشفاعة ﷺ، وكان عمارة بن حزم فى رحل زيد بن اللصيت، وكان عند السراج المنير عندما قال ابن اللصيت مقولته الخبيثة المسمومة هذه، فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

-« إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبى، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟ وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونى بها »(١).

فوجدها الصحابى الجليل الحارث بن خزمة الأشهلى (٢) وزمامها قد تعلق بشجرة كما أخبرهم الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ.

*** أكيدر بن عبد الملك:**

لما وصل سيد الأولين والآخرين ﷺ تبوك (٣)، بعث منها بطلائعه وفصائل استخبارية عسكرية، فلم يجدوا أثرا لأية حشود رومانية أو عربية متنصرة موالية لبنى الأصفر - الروم - على حدود الشام الجنوبية، لقد ألقى القوى العزيز فى قلوب الروم الرعب فانسحبوا إلى الشام لما علموا أن الذى نصر بالرعب مسيرة شهر ﷺ قد قدم على رأس الجيش الإسلامى. **فآثروا السلامة.**

ودعا الصادق المصدوق ﷺ سيف (٤) الله المسلول فبعثه إلى أكيدر دومة - وهو أكيدر بن عبد الملك - رجل من كندة، كان ملكا عليها وكان نصرانيا.

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (التوبة، ٦) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٢٨٣).

(٢) الأشهلى: بفتح الألف وسكون الشين المعجمة وفتح الهاء وفى آخرها اللام. هذه النسبة إلى بنى عبد الأشهل من الأنصار أسلم منهم جماعة كثيرة. (الأنساب: ١/ ١٧٢).

(٣) قال الحافظ فى «الفتح: ٧/ ٧١٤» :غزوة تبوك كانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفاً لقوله من قال :فى رجب إذا حذفنا الكسور؟ لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف فى ذى الحجة.
وتبوك مكان معروف هو نصف طريق المدينة إلى دمشق ويقال: بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة.

(٤) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى. سيف الله ويكنى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح. وكان أميرًا على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين . (تقريب: ١/ ٢١٩).

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لخالد بن الوليد:

- **«إنك ستجده يصيد البقر»**

فخرج أبو سليمان وانطلقت الخيل تسابق الريح، حتى إذا كان من حصن أكيدر دومة بمنظر العين، كانت ليلة مقمرة صائفة، وكان أكيدر بن عبد الملك على سطح قصره ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت امرأة أكيدر:

- هل رأيت مثل هذا قط؟

قال أكيدر دومة:

- لا والله

قالت امرأته:

- فمن يترك هذه؟

قال أكيدر بن عبد الملك: - لاأحد

فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له: حسان وخرجوا معه.

فلما خرجوا تلقتهم خيل خالد بن الوليد، فكان اللقاء كما ذكره طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ وكأنه كان يصفه وينعته من خلال إرسال قمر صناعى.. إلنهى.

أخذ خالد بن الوليد أكيدر بن عبد الملك بعد أن قتل أخاه حسان، وكان على أكيدر دومة قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه أبو سليمان وبعث به إلى إمام الزاهدين ﷺ قبل قدوم سيف الله المسلول وأصحابه بأكيدر بن عبد الملك عليه[1].

*** الصحيفة الظالمة:**

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا الحبشة وأصابوا بها أمنا وقرارا، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم،وأن عمر بن الخطاب قد أسلم هو وحمزة [2]

---

(١) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى (دلائل النبوة، ٥/ ٢٥٠) وفى «الكبرى» (٩/ ١٨٧).

(٢) حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ سمى أسد الله من فوق سبع سماوات. استشهد يوم أحد رضى الله عنه. قُتل بحربة وحشى بن حرب بوصية من هند زوج أبى سفيان رضى الله عنهما. (انظر: فتح البارى : ٧/ ٤٢٤).

ابن عبد المطلب، وأن الإسلام يفشو - ينتشر - فى القبائل، اجتمعوا وفكروا فى سلاح جديد يحاربون به محمد بن عبد الله ﷺ ومن تبعه غير سلاح الاضطهاد والتعذيب الذى فل ولم يحقق الرغبة المرجوة، فاقترح النضر بن الحارث أن يقتلوا محمدا ﷺ علانية.

وعلم حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ما عزم عليه سادات قريش فبعث أبو طالب إلى أخيه العباس [1] بن عبد المطلب وانطلقوا إلى دار رسول الله ﷺ فلم يجدوه، فجمع أبو طالب فتيانا من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ثم قال لهم:

- ليأخذ كل واحد حديدة - سيفا صارما - ثم ليتبعنى، إذا دخلت المجلس فليجلس كل فتى منكم إلى عظيم من عظماء قريش فيهم ابن الحنظلية - أبو جهل بن هشام - فإنه لم يغب عن شر، إن كان محمد قد قتل .

وجاء محمد ﷺ فغدا أبو طالب على نور الظلمة ﷺ فأخذه من يده ووقف على أندية قريش ومعه فتيان بنى هاشم وبنى عبد المطلب وقال:

- يا معشر قريش، هل ترون ما هممت به ؟

قالوا:

- لا

فقال أبو طالب للفتيان:

- اكشفوا عما فى أيديكم

فكشفوا فإذا كل فتى معه حديدة صارمة

فقال أبو طالب:

- والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم.

فانكسر القوم، وكان أشدهم انكسارا أبو جهل بن هشام.

واجتمع أشراف قريش فى خيف بنى كنانة بالأبطح وتشاوروا واتفقوا على قتل

(١) عباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبى ﷺ مشهور. مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها وهو ابن ثمان وثمانين. (تقريب: ١/٣٩٨).

محمد ﷺ.

فلما علم أبو طالب ذلك جمع بنى هاشم وبنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ إلى شعبهم وأن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانا ويقينا إلا أبو لهب ابن عبد المطلب فقد رفض ذلك.

ولما رأت قريش أن بنى هاشم وبنى عبد المطلب قد منعوا أبا القاسم ﷺ، اجتمعوا وكتبوا صحيفة أجمعوا فيها على أن لا ينكحوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم، حتى يسلموا إليهم محمدا ﷺ فيقتلوه.

وعلقوا هذه الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم.

ولما علم خاتم النبيين ﷺ أن منصور بن عكرمة هو الذى كتب تلك الصحيفة الظالمة القاطعة أدرك أن قريشا قد أعلنت الحرب على بنى هاشم وبنى عبد المطلب فدعا على منصور بن عكرمة **فشلت يده**.

وقيل:

الذى كتب هذه الصحيفة النضر بن الحارث

وضربت قريش حول شعب أبى طالب حصارا من الحرس يمنعون من فيه من الخروج ويمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله ﷺ.

وانقضت سنة وبنو هاشم وبنو عبد المطلب فى ضيق، ولما جاءت الأشهر الحرم وقامت الأسواق استطاع بعض أصحاب رسول الله ﷺ الفرار من الحرس ووردوا الأسواق، ولكن أبا لهب بن عبد المطلب عم محمد ﷺ كان لهم بالمرصاد فقال:

- يا معشر التجار، غالوا محمدا وأصحابه حتى لا يدركوا شيئا معكم، قد علمتم وفاء ذمتى.

فيزيد التجار على أتباع إمام الخير ﷺ فى ثمن السلعة أضعافا حتى يرجعوا إلى أطفالهم وليس فى أيديهم شىء من الطعام

وأكل بنو هاشم وبنو عبد المطلب حشاش الأرض وأوراق الشجر.

وأحكم سادات قريش الحصار حول الشعب فاشتد البلاء على بنى هاشم وبنى عبد المطلب وربطوا حجارة على بطونهم تخفيفا لآلام الجوع.

وانصرمت ثلاث سنين وأوشك الجوع والعطش أن يدفع بنى هاشم وبنى عبد المطلب إلى تسليم رسول الله ﷺ.

وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديداً وذات ليلة قال بعض المسلمين:

ـ يا نبى الله ، ادعو ربك لكى يجعل لنا من هذا الضيق وهذا البلاء مخرجا.

فطلب نبى الرحمة ﷺ من عمه أبى طالب وبعض شيوخ بنى هاشم أن يذهبوا إلى **سادات قريش ويخبروهم أن العليم الخبير قد سلط الأرضة على صحيفتهم الظالمة القاطعة للرحم . فلحست كل جور وظلم وقطيعة رحم وبقى ذكر الله** (1).

وفى نفس الوقت خرج نفر من قريش منهم: هشام بن عمرو وزهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأبو البخترى وزمعة بن الأسود وطالبوا سادات قريش بتمزيق الصحيفة وأنهم لم يوافقوا على كتابتها، فلما رأى أبو جهل بن هشام ذلك قال:

ـ هذا أمر قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان.

فقال زهير بن أبى أمية:

ـ ألا تكفى ثلاث سنوات نضبت أثداء بنى هاشم، وبنى عبد المطلب وتعالت صرخات الأطفال فدعا محمد على من كتب الصحيفة الظالمة فشلت بعض أصابعه؟

فقال أبو جهل بن هشام:

---

(1) قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنًا وقرارًا وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم وأنَّ عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه.

وجعل الإسلام يفشو فى القبائل اجتمعوا واتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك.

ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة: منصور بن عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى.

قال ابن هشام: ويقال : النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله فشل بعض أصابعه (السيرة النبوية: ٢/ ٣).

- لن تمزق الصحيفة حتى يأتى بنو هاشم وبنو عبد المطلب خاضعين ويسلموا محمدًا فنقتله

فصاح المطعم بن عدى:

- ها هو أبو طالب وبعض شيوخ بنى هاشم قادمون.

فقال أبو جهل:

- ألم أخبركم أن بنى هاشم وبنى عبد المطلب سوف يسلمون محمدا؟

فقال زمعة بن الأسود:

- لا تسرف فى التفاؤل ودعنا نرى ماذا وراء مقدم أبى طالب؟

أقبل أبو طالب فقال:

- لقد حدثت أمور بينكم، فإن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها، فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا.

فقال أبو جهل بن هشام:

- وإن كان ابن أخيك كاذبا؟

قال أبو طالب وشيوخ بنى هاشم:

- علمنا أنكم على حق وأنا على باطل

فقال الملأ الذى اجتمع حول الكعبة:

- قد رضينا ما تقولون.

فقاموا سراعا، وأحضروا الصحيفة من جوف الكعبة، فلما نشروها وجدوا الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور ولم تترك إلا اسم الله تعالى.

كما قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

فقال أبو طالب وقد اشتد صوته:

ـ قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة.

فنكسوا رءوسهم. . ثم قالوا:

ـ إنما تأتوننا بالسحر والبهتان.

فقال المطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية وهشـام بن عمرو وأبو البخترى وزمعة بن الأسود: نحن برءاء من هذه الصحيفة الظالمة.

فقال أبو طالب:

ـ علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر؟

فمزق المطعم بن عدى الصحيفة.

وانطلق أناس فيـهم أبو البخترى وهشام بن عمرو وزهيـر والمطعم وزمعة ولبـسوا السلاح ثم انطلقوا إلى شعب أبى طالب فخـرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من الشعب إلى دورهم فى حراسة أبى البـخترى والمطعم بن عدى وهشام بن عـمرو وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود.

*** النفس المطمئنة:**

يقول الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص[1] عن: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» [2].

فطلع سعد بن أبى وقاص[3] ، حتى إذا كان الغد ، قال رسول الله ﷺ مثل ذلك.

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بالتصغير ابن سعد بن سهم السهمى. أبو محمد. وقيل: أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء. مات فى ذى الحجة ليال الحرّة على الأصح بالطائف على الراجح(تقريب: ١/ ٤٣٦).

(٢) إسناده صحيح. رواه الترمذى (ح/ ٣٦٩٤) وأحمد فى (المسند، ٣/ ١٦٦، ٣٨٠) والحاكم (٣/ ٧٣) والمشكاة (٦٠٥٨) والطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ٢٠٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) سعد بن أبى وقاص: مالك بنُ وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهرى. أبو إسحاق أحد العشرة وأول من رمى بسهم فى سبيل الله. ومناقبه كثيرة مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور. وهو آخر العشرة وفاة. (تقريب: ١/ ٢٨٩).

فطلع سعد بن أبى وقاص على مرتبته الأولى.

حتى إذا كـان الغد قال رسـول الله ﷺ مثل ذلك فطلع سعـد بن أبى وقاص على مرتبته الأولى.

حتى إذا كان الغـد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع سـعد بن أبى وقاص على مرتبته

فلما قام رسول الله ﷺ، سار عبد الله بن عمرو بن العاص خلف سعد وقال له:

ـ إنى عاتبت أبى ـ عتب عـليه وجد، غضب، هجر ـ فـأقسمت على أن لا أدخل عليه ثلاث ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تحل يمينى فعلت.

يقول عبد الله بن عمرو:

فبت معه ـ سعد بن أبى وقاص ـ ليلة حتى كان من الفجر فلم يقم من تلك الليلة شيئا غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكـر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطرا.

فرمقته ثلاث ليال وأيامهن، لا يزيد على ذلك غير أنى لا أسمعه يقول إلا خيرا.

فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت:

إنه لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ـ «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».

قال ذلك فـيك ثلاث مرات فى ثلاثة مـجالس، فاطلعت أولـئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوى إليك حتى أنظر ما عملك فأقـتدى بك ، فلم أرك تعمل كثير عمل ـ لا صوم ولا قيام ليل ولا كثرة صلاة و. . ـ فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

قال سعد بن أبى وقاص:

ـ ما هو الـذى قد رأيت، غيـر أنى لا أجد فى نفـسى سوءا لأحـد من المسلمين ولا أقوله ـ غـير أنى لا أجـد فى نفسى لأحـد من المسلمين غشـا ولا حسـدا لأحد أعطاه الله خيرا.

قال عبد الله بن عمرو:

- **هذه التى قد بلغت بك، وهى التى لا أطيق**(رواه ابن عساكر [1] عن أنس).

سعد أبى وقاص خال رسول **الله ﷺ فهو** ابن عم آمنة بنت وهب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

*** الحمد لله الذى صدق وعده:**

كان فى يد الصادق المصدوق ﷺ عصا يوم بدر، فراح يخط بها على الأرض ليرى أصحابه مصارع صناديد، وفرسان قريش ويقول:

- **«هذا مصرع فُلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله»**

يقول عمر بن الخطاب:

فجعلوا يصرعون عليها كما تنبأ رسول الله ﷺ فقلت:

- والذى بعثك بالحق ما أخطأوا تيك، وكانوا يصرعون عليها.

ثم أمر أبو القاسم ﷺ فطرحوا فى بئر القليب، وانطلق إليهم فقال:

- **«جزاكم الله عنى من عصابة شرا، لقد خونتمونى أمينا، وكذبتمونى صادقا»**.

ثم التفت إلى أبى جهل بن هشام وقال:

- **«إن الله قتل أبا جهل، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر دينه »**(رواه [2] العقيلى فى الضعفاء عن ابن مسعود).

ثم قال أبو القاسم ﷺ:

- **«يا أبا جهل، يا عتبة، يا شيبة، يا أمية، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا»**.

(١) إسناده ضعيف. وقد صحح. رواه ابن عساكر فى «التاريخ» (٦/ ١٠١) والعقيلى فى (الضعفاء، ٢/ ٢٨٩).

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه العقيلى فى «الضعفاء» (١/ ١٢٨).

فقال عمر بن الخطاب:

- يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا روح فيها - قد جيفوا ؟

قال الذى يأتيه وحى السماء ﷺ:

- **«والذى نفسى بيده مـا أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطـيعون جوابا»** (أخرجه مسلم كتاب [1] الجنة عرض مقعد الميت عن أنس بن مالك).

*** موت عظيم من عظماء المنافقين:**

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق [2] واقترب من المدينة هاجت ريح منتنة يقول الصحابى الجليل جابر بن عبد الله :

كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فهاجت ريح منتنة.

فقال رسول الله ﷺ:

«إن ناسا من المنافقين اغتابوا أناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح».

وقيل:

لما رجع رسول الله ﷺ هو وأصـحابه من غزوة بنى المـصطلق واقترب من مـدينته ﷺ نزل منزلا وسرح المسلمون ظهـورهم - ما كانوا يركبون من خـيل وإبل - فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق أصحاب رسول الله ﷺ منه

فقيل:

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى «الجنة» وفى (الحج، ح/ ٧٧) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٢٨٧) والبيهقى فى دلائل النبوة، ٣/ ٤٨، ٩٢).

(٢) غزوة بنى المصطلق: قال الحافظ فى «فتح البارى:٧/ ٤٩٤» : غزوة بنى المصطلق من خزاعة وهى غزوة المريسيع ». قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست. وقال موسى بن عقبة : أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى: كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع.

عن ابن محريز أنه قال: «دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدُرىّ فجلست إليه فسألته عن العزل: قال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق فأصبنا سبيًا من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتدَّت علينا العُزْبة وأحببنا العزل فأردنا أن نعزل. وقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ أظهُرِنا قبل أن نسأله؟ فسألناه عن ذلك فقال: «ما عليكم أن لا تفعلوا» .ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة».

صحيح. رواه البخارى فى:(المغازى، ٣٢ - باب غزوة بنى المصطلق، ح/٤١٣٨) فتح البارى (٧/ ٤٩٤).

ـ يا رسول الله ، ما شأن هذه الريح؟ .

فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ «**مات منافق عظيم النفاق ، ولذلك عصفت الريح، وليس عليكم منها بأس إن شاء الله**»

وقيل:

قال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ «**لا تخشوها إنما هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين** » (رواه مسلم [1] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم).

فلما قدموا المدينة وجدوا **رفاعة بن زيد بن التابوت** أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين مات فى ذلك اليوم كما تنبأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ، وكان موت ابن التابوت غائظا للمنافقين.

*** أين البعيران؟**

علم رسول الله ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق جمع لحرب رسول الله ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب، فلما تأكد صاحب الخلق العظيم ﷺ من ذلك سار إليهم هو وأصحابه فلقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع فهزمهم وفرق جمعهم وكان من بين السبى جويرية بنت الحارث فقدم بها رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها فى فدائها، فلما كان الحارث بن ضرار بالعقيق نظر إلى إبله التى يفدى بها ابنته جويرية فرغب فى بعيرين منها كانا أفضلها ، فعقبهما فى شعب العقيق.

ثم أقبل الحارث بن ضرار على رسول الله ﷺ وقال:

ـ يا محمد ، أصبت ابنتى

وفى رواية:

ـ يا محمد لا تسبى، وهذا فداؤها

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (صفات المنافقين) وأبو نعيم فى (الحلية، ٨/ ١٢١).

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ «فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟»

فقال الحارث بن ضرار:

ـ أشهد أنك رسول الله، ما اطلع على ذلك إلا الله [(١)].

وأسلم الحارث بن ضرار ، وتزوج النبى ﷺ ابنته جويرية [(٢)].

*** إنه من أهل النار:**

كان قزمان شجاعا ماهرا فى الحرب، قـاتل يوم غزوة أحد قتالا شديدا حتى صرع سبعة من المشركين ، وأعجب بعض المسلمين بقوة وشجاعة قزمان فقال:

ـ «إنه من أهل الجنة»

فلما سمع صاحب الشفاعة ﷺ ذلك قال :

ـ «إنه من أهل النار»

وظل قزمان يقـاتل بشجاعة ويجـول ويصول حتى أصيب بجـراح خطيرة، وسقط صريعا على الأرض ، فجاءه نفر من المسلمين وقالوا له:

ـ هنيئا لك يا أبا الغيداق

فتساءل قزمان:

ـ بم تبشروننى؟

قالوا:

ـ بشرناك بالشهادة والجنة

فقال قزمان ساخرا:

ـ إنا والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار، وإنما قاتلنا على أحسابنا

---

(١) صحيح. وإسناده ضعيف. رواه ابن عساكر فى «التاريخ» (١/ ٣٠٧).

(٢) جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرار الخزاعية من بنى المصطلق أم المؤمنين. كان اسمها برّة فغيرها النبى ﷺ وسباها فى غزوة المريسيع ثم تزوجها. وماتت سنة خمسين على الصحيح. (تقريب: ٢/ ٥٩٣).

ثم أخرج قزمان سهما من كنانته وجعل يطعن به جسمه هنا وهناك فى نخبل، ثم أخرج سيفه واتكأ عليه فى جنون فخرج السيف من ظهره [1].

ومات منتحرا

وصدقت نبوءة الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ حينما قال:

- «إنه من أهل النار».

*** كن أبا خيثمة :**

كان الحر شديدا، والعرق يتفصد من الأجسام، عندما كان أبو خيثمة غائبا عن المدينة حين خرج إمام المجاهدين ﷺ إلى تبوك.

وبعد أيام رجع أبو خيثمة من سفره إلى مدينة رسول الله ﷺ ، وعلم أن نور الظلمة ﷺ خرج لمحاربة بنى الأصفر، فعجل أبو خيثمة بالذهاب إلى بيته فوجد زوجتيه كل منهما فى عريش داخل بستانه وكل منهما قد بردت له ماء وهيأت له طعامًا ورشت الماء أمام عريشها ونزلت للقاء زوجها القادم من السفر.

المكان ظليل والماء بارد والطعام شهى تفوح منه رائحة الشواء التى يسيل له اللعاب، وزوجتاه قد استعدتا للقائه بالزينة والبهجة، وتنافستا فى توفير ما يحب، فلم لا يقبل ويأخذ حظه من المتاع؟ لا لوم عليه فهو كان غائبا عندما خرج رسول الله ﷺ على رأس جيش المسلمين للجهاد فى سبيل الله، هكذا تحدثت رغبة النفس أو وسوسة الشيطان.

ولكن أبا خيثمة لم يتحرك ، بل تطلع إلى زوجتيه وكأنه يعاتبهما أو يؤنبهما.

ثم هز رأسه وقال:

- رسول الله ﷺ فى الضح - وهج الشمس إذا استمكن من الأرض - والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء، فى ماله مقيم؟ ما هذا بالنصف - بالإنصاف - ، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لى زادا .

---

(1) صحيح. رواه مسلم (105) وأحمد فى (المسند، 4/135) والطبرانى فى (الكبير، 19/83، 84) والمشكاة (ح/ 6200) والكشاف (149).

وتناول أبو خيـثمة سلاحه وزاده ، وركب دابتـه، وانطلق مُسْرعًا يحـاول اللحاق بحبيب الرحمن ﷺ .

كان يعرف الطريق إلى تبـوك ، فكثيرا ما انطلق إلى الشام، ولقـد خرج مع جيش المسلمين الذى التقى بجيش الروم يوم مؤتة.

وفى الطريق رأى أبو خيثمة رجلا ، فحث راحلته حتى لحق به بوادى القرى، كان **الصحابى الجليل عمير بن وهب الجمحى** (١) **فسأله:**

ـ إلى أين يا أبا وهب؟

قال عمير بن وهب:

ـ خرجت فى طلب رسول الله

فقال أبو خيثمة:

ـ الصحبة

وحينمـا رأى الصحابيان الجليـلان مؤخرة الجيش الإسـلامى قال أبو خيثـمة لأبى وهب: ـ إنى لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله

فتخلف عمير بن وهب وتقدم أبو خيثمة

ورأى المسلمون رجلا قادما من بعيد فقالوا:

ـ يا نبى الله ، هذا راكب من بعيد

قال الذى لاينطق عن الهوى ﷺ:

ـ **«كن يا أبا خيثمة»**

فلما اقترب الراكب قال أصحاب خاتم النبيين ﷺ:

ـ **يا رسول الله : هو والله أبو خيثمة**

---

(١) الجُمحى: بضم الجيم وفتح الميم وفى آخرها الحاء المهملة هذه النسبة إلى بنى جمح. (الأنساب: ٢ / ٨٥). وفى «اللباب» : « هم بطن من قريش وهو جمع بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر».

فلما أقبل أبو خيثمة أناخ جمله، وسلم على أبي القاسم ﷺ فقال له:

ـ «أولى لك فأولى ـ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد ـ يا أبا خيثمة»

فارتجف قلب صاحب النفس اللوامة فى صدره، ولكن سرعان ما استعاد أبو خيثمة رباطة جأشه، فـراح يخبر النبى الأمى العربى المكى القرشى الهاشـمى ﷺ ما كان من أمر زوجتيه فتبسم صاحب الشفاعة ﷺ، وقال لأبى خيثمة خيرا ودعا له بخير

فأنشد أبو خيثمة:

لما رأيـــت النـــاس نـــافقـــوا	أتيت التى كانت أعف وأكرمـــا
وبايعت باليمنى يدى لمحمـــــد	فلم أكتسب إثما ولم أغش حرما
وكنت إذا شك المنافق أسمحت	إلى الدين نفس شطره حيث يمما [1]

*** أول أهل بيت رسول الله ﷺ لحوقا به:**

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أداء فريضـة الحج ـ حجة الوداع ـ وظل يشتكى أربعين يوما ـ من أثر أكلة الشاة المسمومة يوم فتح خيبر [2] .

وذات يوم جلس وهو معصوب الرأس وقد اشتـد عليه الوجع فأخذ يغمى عليه ثم يفيق، وكان بجانبه قدح فيه ماء فصار يدخل يده فى القدح ويمسح وجهه بالماء ويقول:

ـ« اللهم أعنى على سكرات الموت».

فأقبلت فاطمة [3] الزهراء تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى التوبة (ح/٥٣) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٥/ ٢٢٣، ٢٢٦) والبغوى (٣/ ١٦٠) والطبرى فى (التفسير، ١١/ ٤٣).

(٢) قال الحافظ فى «فتح البارى: ٧/ ٥٣٠»: «غزوة خيبر: بمعجمة وتحتاينة وموحدة بوزن جعفر. وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام. وذكر أبو عبيد البكرى: أنَّها سمْيت باسم رجل من العماليق نزلها».

قال ابن إسحاق: خرج النبى ﷺ فى بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر. وروى يونس بن بكير فى المغازى عن ابن إسحاق فى حديث المسور ومروان قالا: انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح - ٢٠] يعنى خيبر. فقدم المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى ساروا إلى خيبر فى المحرم.

(٣) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ أم الحسنين سيدة نساء هذه الأمة تزوجها علىّ فى السنة الثانية من الهجرة. وماتت بعد النبى ﷺ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل. (تقريب: ٢/ ٦٠٩).

- **«مرحبا بابنتى»**

ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم قال:

- **« اللهم أعنى على سكرات الموت »**

فرنت الزهراء إلى أبيهـا فرأته يتألم أشد الألم فأحست نارًا تشـوى كبدها فراحت تقول:

- واكرب أبتاه

فقال رسول الله ﷺ فى صوت خافت:

- **«ليس على أبيك كرب بعد اليوم »**

وكان حبيب الرحمن ﷺ مرهف الحس، فكان شـعوره بالألم أكثر من غيره، ولم يدع بالشفاء بل كان يقول:

- **«يا نفس ما لك تلوذين كل ملاذ؟»**

وأسر أبو القاسم ﷺ لابنته فاطمة **فبكت**

وكانت أم المؤمنين عائشة واقفة فقالت لها:

- استخصك رسول الله ﷺ بحديث لم تبكين؟

ثم أسر رسول الله ﷺ إليها حديثا **فضحكت** الزهراء

فقالت عائشة لابنة رسول الله ﷺ :

- ما رأيت اليوم فرحا أقرب من حزن؟ ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟

فقالت فاطمة الزهراء:

- **ما كنت أفشى سر رسول الله ﷺ**

حتى إذا قبض سألت عائشة [1] فاطمة فقالت:

---

(١) عائشة بنت أبى بكر الصديق أم المؤمنين. افقه النساء مطلقاً وأفضل أزواج النبى ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير. ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. (تقريب: ٢/ ٦٠٦).

ـ إنه أسر إلى أن جبريل عليه السلام كان يعارضنى بالقرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضنى به العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى، وأنك أول أهل بيتى لحوقا بى، ونعم السلف أنا لك.

فبكيت لذلك .

ثم قال ﷺ:

ـ « ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذة الأمة أو نساء المؤمنين؟ »

ـ فضحكت (رواه البخارى [1]، أخرجه مسلم).

تقول أم المؤمنين عائشة :

عاشت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ستة أشهر فكانت أول أهل بيته لحوقا به.

*** رمتكم مكة بأفلاذ كبدها :**

يقول خالد بن الوليد :

رأيت فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة فقلت :

ـ إن هذه لرؤيا

ولما أجمع أبو سليمان [2] الخروج إلى مدينة رسول الله ﷺ قال :

ـ من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟

فلقى صفوان بن أمية بن خلف فقال :

ـ يا أبا وهب : أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد واتبعناه، فإن شرف محمد لنا شرف؟

فأبى أشد الإباء وقال :

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٨/ ٧٩) ومسلم فى (فضائل الصحابة، ح/ ٩٩) والنسائى (٨/ ٢٥٣) وابن ماجة (ح/ ١٦٢١) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٢٨٢).

(٢) أبو سليمان هو: خالد بن الوليد رضى الله عنه.

- لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا

فافترقا . .

وقال خالد بن الوليد فى نفسه:

- هذا رجل قتل أخوه - على - وأبوه ببدر

ولقى أبو سليمان عكرمة بن أبى جهل [1] فقال له ما قال لصفوان بن أمية

فقال عكرمة مثل ما قال صفوان بن أمية

فقال خالد بن الوليد:

- فاكتم علىَّ - لا تخبر أحدا بما قلت -

قال عكرمة بن أبى جهل:

- لا أذكره

ولما خرج خالد من مكة لقى عثمان بن أبى طلحة [2] ، يقول أبو سليمان:

- إن هذا لى صديق، فلو ذكرت له ما أرجو

ثم ذكرت من قتل من أبائه - حملة اللواء يوم أُحد - ، فكرهت أن أذكره

ثم قلت :

- وما علىَّ أنا وأنا راحل من ساعتى؟

وذكر خالد بن الوليد لعثمان بن أبى طلحة ما صار الأمر إليه فقال:

- إنما نحن بمنزلة ثعلب لو صب فيه ذنوب - دلو - من ماء لخرج

وقال له نحوا مما قاله لصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل

فأسرع عثمان بن أبى طلحة بالإجابة، فقال له خالد بن الوليد:

---

(١) عكرمة بن أبى جهل بن هشام المخزومى. صحابى أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه. واستشهد بالشام فى خلافة أبى بكر الصديق على الصحيح. (تقريب: ٢/ ٢٩).

(٢) عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عثمان بن عثمان بن عبد الدَّار العَبْدَرى الحَجَبى. صحابى مشهور. مات سنة اثنتين وأربعين. وقيل: استشهد بأجنادين وأبطل ذلك العسكرى. (تقريب: ٢/ ١٠).

ـ إنى غدوت اليوم ، وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتى بفج مناخة

فاتعد خالد وعثمان يأجج، إن سبقه أقام وإن سبقه خالد أقام عليه

فأدلجا ـ دلج: سار أول الليل ـ سحرا، فلم يطلع الفجر حتى التقيا بيأجج، فغدوا حتى انتهيا إلى الهدة فوجدا عمرو بن العاص بها فقال:

ـ مرحبا بالقوم

فقال خالد وعثمان:

ـ وبك

فتساءل عمرو بن العاص[1]:

ـ إلى أين مسيركم؟

قالا:

ـ وما أخرجك؟

قال عمرو:

ـ وما أخرجكما؟

قال خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة:

ـ الدخول فى الإسلام واتباع محمد ﷺ

فقال عمرو بن العاص:

ـ وذاك الذى أقدمنى

فاصطحبوا جميعا

ورأى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة بعين النبوة قادمين فقال لأصحابه بعد أن فرغ من صلاة الفجر:

---

(1) عمرو بن العاص بن وائل السهمى الصحابى المشهور أسلم عام الحديبية. وهو الذى فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب. مات سنة نيف وأربعين. وقيل: بعد الخمسين. (تقريب: ٢/ ٧٢).

- رمتكم مكة بأفلاذ كبدها

ولما دخل خالد وعثمان وعمرو مدينة رسول الله ﷺ أناخوا بظهر الحرة - مكان بالمدينة تكثر فيه الصخور السوداء - ركابهم فرآهم رجل من الأنصار فانطلق وأخبر أبا القاسم ﷺ .

ولقى الوليد بن الوليد بن المغيرة أخاه خالدًا فقال:

- أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بقدومكم وهو ينتظركم

وسر صاحب لواء الحمد ﷺ بمقدم خالد وعمرو وعثمان فبايعوه

وذكر خالد بن الوليد رؤياه لأبى بكر [(١)] الصديق - كان عالما فى تأويل الرؤيا - فقال أبو بكر لخالد:

- مخرجك الذى هداك الله للإسلام، والضيق الذى كنت فيه من الشرك.

*** الشقى الذى قتله خاتم النبيين ﷺ بيده :**

كان أبى بن خلف من المستهزئين ومن الذين آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه بأم القرى [(٢)]، وكان إذا لقى أبا القاسم ﷺ فى مكة قال له:

- يا محمد ، إن عندى العوذ - فرس - أعلفه فى كل يوم فرقا - مكيالا يسع اثنى عشر رطلا - من ذرة أقتلك عليه

فيقول الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- «بل أنا أقتلك إن شاء الله».

وكان يوم أحد وانتصر المسلمون فى بدء الأمر ، ولما دخل المسلمون معسكر قريش ينتهبون، رآهم الرماة الذين كانوا على الجبل فانطلقوا إليهم وخلوا ظهر الجبل فانكشف ظهر المسلمين وبذلك خالفوا أمر رسول الله ﷺ فانقلبت رحى الحرب وانهزم المسلمون، وزعم ابن قميئة أنه قتل محمدا ﷺ

---

(١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه. خليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه فى الغار. عبد الله بن أبى قحافة القرشى. (تاريخ الخلفاء: ص/ ٢٧).

(٢) أم القرى: مكة المكرمة كما ذكر ذلك فى القرآن الكريم.

وانطلق أبى بن خلف يسابق الريح وهو يصرخ بأعلى صوته :

ـ لا نجوت إن نجا

وأقبل عدو الله يركب فرسه فى غطرسة وهو يقول:

ـ أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا

فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ:

ـ يا رسول الله ، يعطف عليه رجل منا؟

فقال إمام المجاهدين ﷺ:

ـ **« دعوه »**

فلما دنا أبى بن خلف ، تناول إمام الخير ﷺ الحربة من الصحابى الجليل الحارث ابن الصمة ، ثم انتفض بها ﷺ انتفاضة، وطعن أبى بن خلف فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه ـ تقلب من شدة الحربة وجعل يتدحرج على الأرض .

وكان عدو الله يؤذى ويتوعد صاحب لواء الحمد ﷺ بالقتل

ورجع أبى بن خلف إلى قريش الذين كانوا يستعدون للرحيل إلى أم القرى وقد خدش فى عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم فقال:

ـ قتلنى محمد

فقالوا له :

ـ ذهب والله فؤادك ـ صرت مجنونا ـ والله إن بك من بأس

فقال أبى بن خلف وهو يرتجف:

ـ إنه كان يقول لى بمكة: **« أنا أقتلك إن شاء الله»** ، **فوالله لو بصق لقتلنى** [1].

ومات عدو الله بسرف وجيش قريش على وشك دخول مكة.

---

(١) صحيح. رواه ابن سعد فى (الطبقات، ٢/ ١/ ٣٢) وأورده القرطبى فى (التفسير، ٧/ ٣٨٥)

*** رخصة من أبى القاسم ﷺ لعلى بن أبى طالب**[1]:

ذات ضحى كان على بن أبى طالب يجلس مع صاحب الخلق العظيم ﷺ ، فقال أبو الحسن:

ـ يا رسول الله ، إن ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟

قال حبيب الرحمن ﷺ:

ـ «نعم»

فكانت رخصة من المبعوث رحمة للعالمين ﷺ لعلى (أخرجه [2] الترمذى فى الأدب، وأبو داود فى الأدب ، والإمام أحمد فى المسند).

ولما انتقل النبى الخاتم ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولحقت به ابنته الزهراء، تزوج على ابن أبى طالب **الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس**

وقيل :كانت من سبى اليمامة فصارت لعلى بن أبى طالب

وولدت الحنفية فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب محمد بن على أبى طالب، فكناه أبا القاسم

وبذلك تحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بعد نحو عشرين سنة.

*** مسيلمة الكذاب والأسود العنسى**

قال الهادى البشير ﷺ:

ـ «بين يدى الساعة كذابون ، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العنسى، ومنهم صاحب حمير،ومنهم الدجال وهو أغلظهم فتنة» (رواه الإمام[3] أحمد عن جابر).

---

(١) على بن أبى طالب أمير المؤمنين رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة. نهض بأعباء العلم والعمل. استشهد فى سابع عشر رمضان من عام أربعين وسنه ستون سنة. (طبقات القراء للذهبى: ١/ ٣٠).

(٢) صحيح. رواه أبو داود فى (الأدب، باب «٦٨») والترمذى فى (الأدب، باب «٦٨»، ح/ ٢٨٤٣) وأحمد فى (المسند، ١/ ٩٥).

(٣) إسناده صحيح. رواه أحمد (٣/ ٣٤٥، ٥/ ٩٥، ٩٦، ١٠٠، (١٠، ١٠٦) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٤٥، ٧/ ٣٣٢).

وقال أبو هريرة:

ـ إن النبى ﷺ قال: « **بينما أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب ، فأهمنى شأنهما . فأوحى إلىّ فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من بعدى، فإذا أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة**» (رواه البيهقى فى [1] الدلائل).

ولما رجع إمام الخير ﷺ إلى المدينة بعد فتح مكة فى العام الثامن من الهجرة ذهب إلى مسجده فصلى ركعتين ثم جلس بين أصحابه وقال:

ـ« **أما اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى**»

فتساءل خالد بن الوليد : يا رسول الله ، من يقتله؟

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ «**أنت وأصحابك**»

وتحققت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ، فلما انتقل خاتم النبيين ﷺ إلى الرفيق الأعلى وبايع المسلمون أبا بكر الصديق ارتد معظم العرب ومنعوا الزكاة وتألبوا على المسلمين وادعى النبوة مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى. . . واضطربت الجزيرة العربية بالفتن والشقاق فجيش الخليفة الأول الجيوش وخرج خالد بن الوليد لمحاربة المرتدين ومدعى النبوءة، وذهب إلى بنى حنيفة [2].

*** قريش تنقض العهد :**

لما كان صلح الحديبية بين خاتم الأنبياء ﷺ وبين قريش، كان فيه: من أحب أن يدخل فى عقد ـ حلف ـ محمد ﷺ وعهده، فليدخل، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه.

فدخلت بنو بكر فى عهد قريش، ودخلت خزاعة [3] فى عهد المبعوث للناس كافة

---

(١) صحيح. رواه البيهقى فى «الدلائل» والبخارى (٤/ ٢٤٧) والطبرى فى (التفسير، ٧/ ١٧٢).

(٢) قلت: وقد أورد الحافظ فى «فتح البارى» (١٢/ ٢٧٥): «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

(٣) الخزاعى: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وفى آخرها العين المهملة. هذه النسبة إلى خزاعة. (الأنساب: ٢/ ٣٥٨).

ﷺ، واصطلحا على وضع الحرب بين محمد ﷺ وقريش عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض و . . . وكان بين بنى بكر وخزاعة دماء ، وحجز الإسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم عليه من العداوة ولما كانت الهدنة التى وقعت فى صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر فراح شخص منهم يهجو رسول الله ﷺ ، وصار يتغنى به ، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه ، فثار الشر بين الحيين لما كان بينهم من العداوة.

فطلب بنو بكر من أشراف قريش أن يعينوهم بالسلاح والرجال على خزاعة فأمدوهم بذلك ، فجاءوا فقتلوا منهم عشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم: صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى، وعكرمة بن أبى جهل ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو، ولا زالوا بهم إلى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة ، وظنوا أنهم لم يعرفوا ، وإن هذا لا يبلغ رسول الله ﷺ.

وخرج عمرو بن سالم الخزاعى سيد خزاعة فى أربعين راكبا من خزاعة فيهم بديل ابن ورقاء قاصدين مدينة رسول الله ﷺ.

ودخل رسول الله ﷺ صبيحة الواقعة على أم المؤمنين عائشة وقال لها:

- **«حدث فى خزاعة حدث»**

فقالت ابنة أبى بكر:

- يا رسول الله ، أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذى بينك وبينهم؟

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

- **«ينقضون العهد لأمر يريده الله»**

فقالت أم المؤمنين عائشة :

- خيرا

وبات نبى الوفاء ﷺ عند أم المؤمنين ميمونة [1] بنت الحارث ، وقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول:

---

(١) ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى ﷺ وكان اسمها برة. فسماها النبى ﷺ ميمونة وتزوجها بسرف سنة سبع وماتت بها. ودفنت سنة إحدى وخمسين على الصحيح. (تقريب:٢/ ٦١٤).

- «لبيك لبيك لبيك ، نصرت نصرت نصرت»

فلما خرج قالت ميمونة بنت الحارث:

- يا رسول الله ، سمعتك تقول : «لبيك لبيك لبيك ، نصرت نصرت نصرت» كأنك تكلم إنسانا ، فهل كان معك أحدٌ؟

قال حبيب الرحمن ﷺ:

- «هذا راجز بنى كعب يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل»

ومضت ثلاثة أيام ، وبينما كان رسول الله ﷺ فى المسجد بين أصحابه ، فإذا بوفد خزاعة قد قدم المدينة ودخل المسجد ، ووقف بديل بن ورقاء الخزاعى وقال:

يا رب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إن قريشا أخلفوك الوعد ونقضوا ميثاقك المؤكدا

هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

الأتلد: التليد : القديم ، والأتلد الأكثر قدما وعراقة.

الوتير: موضع بالقرب من عرفة.

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

- «نصرت يا عمرو بن سالم»

ودمعت عينا أبى القاسم ﷺ وقال:

- «لا ينصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر به نفسي» (1).

*** أبو سفيان جاءكم ليمد العقد ويزيد فى المدة:**

ندمت قريش على نقضهم للعهد وخشوا أن يأتى نبىّ الوفاء ﷺ فينصر خزاعة ويفتح مكة فجاءوا زعيم قريش أبا سفيان بن حرب وقالوا له:

- ما لها سواك ، اخرج إلى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة

فقال زعيم قريش: هذا أمر لم أشهده ، ولم أغب عنه وإنه لشر ، والله ليغزونا

(1) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى «الكبرى» (9/ 234) وفى «دلائل النبوة» (5/ 7) واورده السيوطى فى «الدر المنثور» (3/ 215) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (4/ 278).

محمد ولقد حدثتنى هند بنت عتبة - امرأة أبى سفيان - أنها رأت رؤيا كرهتها

قالوا : - ماذا رأت هند؟

قال أبو سفيان بن حرب:

- رأت دمًا أقبل من الحجون - أعلى مكة - يسيل حتى وقف بالخندمة.

فكره القوم ذلك ، وأخذوا يلحون حتى قبل زعيم قريش السير إلى المدينة

وقبل أن يصل أبو سفيان مدينة رسول الله ﷺ ، رأى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بعين النبوة زعيم قريش قادما إلى المدينة ، كانت إيماءته أمرا وكلمته قانونا ، أما اليوم فهو ذاهب إلى مسجد عدوه يلتمس منه أن يشد العقد الذى كان غائبا عنه - لم يحضر أبو سفيان صلح الحديبية فقد كان فى تجارة بالشام - ويزيد فى مدته - يجعله أكثر من عشر سنين - ، إنه يستشعر بالذل يملأ جوانحه، ولكنه يحاول أن يقهر عواطفه المتمردة فليس لأم القرى من نجاة إلا أن تنجح سفارته وأن يقبل ابن عبد الله ﷺ تجديد العقد وزيادة المدة.

وبدت لأبى سفيان أرياض المدينة فصر على أسنانه، لقد غاظه أن ليس له من الأمر شىء وأن مفتاح الموقف لم يعد بيده بل فى يد نبى الإسلام ﷺ إن شاء جدد العقد وإن شاء قطعه.

وتذكر أبو سفيان ابنته أم المؤمنين أم حبيبة [1] - رملة بنت أبى سفيان - فلن تجحد أبوته ولن يرضيها أن يعود أبوها إلى مكة وفى ركابه الخزى والخذلان.

دخل أبو سفيان بيت النبى ﷺ وقد افتر ثغره عن ابتسامة قلقة فلم يبد على ابنته أنها فرحت بمقدمه، فحسب أن المفاجأة قد أذهلتها، وأراد أن يجلس على فراش النبى الخاتم ﷺ ، فطوته عنه، وأحس أبو سفيان كأن خنجرا مسموما صوب إلى قلبه فقال فى صوت فيه أنين وإن وحاول أن يبدو هادئا:

- يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟

فقالت أم حبيبة:

- بل هو فراش النبى ﷺ وأنت مشرك نجس

---

(١) رملة بنت أبى سفيان بن حرب الأموية. أم المؤمنين. أم حبيبة مشهورة بكنيتها. ماتت سنة اثنتين وأربعين أربع. وقيل: تسع وأربعين. وقيل: خمسين. (تقريب: ٢/٥٩٨).

فدار به المكان، ولو طاوع إحساساته للطمها لطمة تنفس عن غضبه وسخطه، ولكنه كبح جماح نفسه وقال: - والله لقد أصابك شر بعدى

فقالت أم المؤمنين أم حبيبة:

- بل هدانى الله عزوجل للإسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر، واعجابا منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها.

فقال أبو سفيان: أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد؟

وخرج أبو سفيان وهو حانق

ذهب أبو سفيان إلى المسجد فوجد النبى ﷺ جالسا بين أصحابه فقال:

---

(١) صلح الحديبية: فى آخر سنة ست من هجرة رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً وخرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً.

قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب. وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائر لهذا البيت ومعظماً له.

قال ابن هشام: وكان جابر بن عبد الله فيما بلغنى يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة.

رسول الله ﷺ يبعث عثمان بن عفان إلى مكة: ثم دعا رسول الله ﷺ - عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له. فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها. ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ. فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به. فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قتل.

قال ابن هشام: ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل.

قال ابن إسحاق: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: ائت محمداً فصالحه ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنّا أنّه دخلها علينا عنوة أبداً.

فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً. قال: « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل».

فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.

- يا محمد ، إنى كنت غائبا عن صلح الحديبية (1)، فأمدد العهد وزدنا فى المدة

فقال النبى الخاتم ﷺ:

-« لذلك جئت يا أبا سفيان؟»

قال سيد قريش:

- نعم

فتساءل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- «هل فيكم من حديث؟»

قال شيخ بنى أمية:

- معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل

وصوبت أعين المسلمين إلى أبى سفيان، إنه ينكر ما كان بين بنى بكر وبين خزاعة، معاونة قريش بنى بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ ، إنه لا يريد أن يعترف أن قريشا قد نقضت العهد ومزقت صلح الحديبية.

فلو اعترف أبو سفيان لأعطى المسلمين الحق فى غزو مكة، وهو ما تجشم السفر وقبل هذه السفارة المذلة إلا ليمنع سير المسلمين إلى مكة ليبقى سيد قريش ويبقى له السلطان .

أرهف أبو سفيان السمع ليلتقط ما يقول ابن عبد الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام:

- «فنحن على مدتنا وصلحنا»

فأعاد أبو سفيان بن حرب القول:

- امدد العهد وزدنا فى المدة

فلم يرد عليه النبى الخاتم ﷺ شيئا

فقام أبو سفيان ناكس الرأس، وخرج من مسجده، كما خرج من بيته ﷺ لا يكاد يرى شيئا فقد أعماه حزنه وسخطه، **ثم انطلق إلى أبى بكر** يلتمس منه أن يكلم أبا

القاسم ﷺ ، فلما دخل عليه قال:

ـ يا أبا بكر ، جدد العقد وزدنا فى المدة [1].

فقال الصديق:

ـ جوارى فى جوار الرسول ﷺ

وحاول أبو سفيان أن يثنى الصديق عن قراره ، وأن يزين له أن يكلم له رسول الله عليه الصلاة والسلام ،ولكن أبا بكر أبى أن يكلم السراج المنير ﷺ **فى أمر صمت عنه**.

فقام أبو سفيان وخرج يجر رجليه وهو يحس كأنما يحمل أثقال الأرض، واستشعر كأنما قطعت له أثواب الذل ، فراحت تراوده فكرة أن يقفل راجعا إلى مكة.

ولكنه أبى أن يرجع بالإخفاق ، فعزم فى إصرار أن يأتى أصحاب رسول الله ﷺ، ويلتمس منهم أن يكلموا له أبا القاسم ﷺ لعل قلب أحدهم يلين لشيخ بنى أمية.

انطلق سيد قريش إلى عمر بن الخطاب، وفى صوت خافت مزج بالأسى كلم ابن الخطاب ، وفى صوت حازم قال الفاروق:

ـ أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟

قال أبو سفيان:

ـ إن بيننا وبينكم حلفا

قال عمر بن الخطاب:

ـ ما كان من حلفنا جـديدًا أخلقه ـ خلق الثوب : بلى ـ الله وما كان مـقطوعاً فلا وصله الله .

فرمى أبو سفيان عمر بن الخطاب بنظرة قاسية ثم قال:

ـ جزيت من ذى رحم شرا

وراح أبو سفيـان يدور فى طرقات مدينة رسول الله ﷺ وهو حاقـد على نفسه ، تتردد أنفاسه فى أذنيه كأنما كانت ناعية تنعى كرامته حتى **بلغ دار عثمان بن عفان** فانسل

(1) انظر: السيرة النبوية: (٣/ ١٩٠ ـ وما بعدها).

إليهـا كالثعبان خـشية أن تقع عليـه أعين الشامتين الداخلين إلى المسجـد والخارجين.منه حتى إذا ما أتى **ذا النورين** قال له فى لهفة الغريق الذى تعلق بقشة:

ـ إنه ليس فى القـوم أقرب بى رحـما منك، فـزد فى المدة وجدد فى الـعقـد فإن صاحبك لا يرده عليك أبدًا

فقال عثمان بن عفان معتذرًا:

ـ جوارى فى جوار رسول الله ﷺ .

وسـأل شيخ بـنى أميـة وتودد وألحف وتوسل، ولكن ذا الـنورين أبى أن يكلم أبا القاسم ﷺ

فقام سيد قـريش من عنده وقد تفصد العرق من جبينه حتى مـلأ عينيه وسال على لحيته وخرج يصرف ـ الصريف: صوت الأنياب ـ أنيابه وراح يمسح وجهه **لا يكاد يفرق بين عرقه ودموعه.**

ومشى أبو سفيان إلى **دار على بن أبى طالب،** فإن كان زوج أم كلثوم بنت محمد ﷺ قد رده خـائبًا فلعل زوج فاطمـة الزهراء تتحرك فـيه فروسيـته فيكلم له ابن عـمه وحبيبه ﷺ فى تجديد العقد وزيادة المدة.

ودخل شيخ بنى أمية على أبى الحسن وعنده فـاطمة وحسن غلام يدب بين يديها ـ أمامها ـ فقال أبو سفيان:

ـ يا على، إنك أمس القوم بى رحمًـا، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجـعن كما جئت خائبًا، اشفع لى إلى محمد.

فانتفض على بن أبى طالب وكأن عقربًا لدغته وقال:

ـ ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه

فالتفت سيد قريش إلى **فاطمة الزهراء** فقال:

ـ يا ابنة محـمد: هل لك أن تأمرى ابنك هذا ـ حـسن ـ فيجيـر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

قالت فاطمة الزهراء فى أدب:

ـ والله ما يبلغ بابنى ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله

وتذكر أبو سفيان أختها زينب يوم أن أجارت زوجها العاص بن الربيع فطمع أن تجيره فقال لها:

ـ أجيرى بين الناس

قالت ابنة رسول الله ﷺ:

ـ إنما أنا امرأة

فقال شيخ بنى أمية:

ـ قد أجارت أختك زوجها، وأجاز ذلك محمد

قالت فاطمة الزهراء:

ـ إنما ذاك إلى رسول الله

وأدرك أبو سفيان بن حرب أنها لا تريد أن تجير فى الناس حتى لا تغضب أباها، فإذا بحسين يدخل عليهم، فالتفت أبو سفيان إلى **الحسن والحسين** فقال:

ـ فأمرى أحد ابنيك

قالت فاطمة الزهراء:

ـ إنما هما صبيان ليس مثلهما يجير

وطلب أبو سفيان من فاطمة أن تكلم على بن أبى طالب فقالت:

ـ فكلمه أنت

فقال سيد قريش فى انكسار:

ـ يا أبا الحسن [1]، اشفع لى إلى محمد وأجرنى

(١) الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وقد صحبه وحفظ عنه. مات شهيداً بالسَّمِّ سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين. وقيل: بل مات سنة خمسين. وقيل: بعدها. (تقريب: ١/١٦٨).

فقال أبو الحسن:

ـ يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار.

فقال زعيم قريش فى صوت أقرب للنحيب:

ـ يا أبا الحسن: إنى أرى الأمور قد أفسدت على فانصحنى

قال ربيب رسول الله ﷺ:

ـ والله لا أعلم لك شيئًا يغنى عنك، ولكنك سيد بنى كنانة، فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ـ ارجع إلى مكة .

فتساءل شيخ بنى أمية:

ـ أو ترى ذلك مغنيًا عنى شيئاً؟

قال على بن أبى طالب:

ـ والله ما أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك

فدخل أبو سفيان فى المسجد فقال:

ـ أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس.

ثم جاء سيد قريش النبى الخاتم ﷺ فقال:

ـ يا محمد ، إنى أجرت بين الناس، والله ما أظن أحدًا يخفرنى ويرد جوارى

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة؟» •

وتحققت نبوءة خاتم الأنبياء ﷺ قد جاء أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ليشد العقد ويزيد فى المدة وهو راجع بسخطه.. فجاء ولكنه رجع إلى مكة مدحوراً يجر ذيول سخطه وخيبة المسعى

*** إعلان السير إلى مكة:**

كان طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ إذا أراد غزوة **ورى بغيرها، فلما** هم سيد الأولين والآخرين ﷺ بغزو مكة أمر بالجهاز وطوى عن المسلمين الوجه الذى

يريده، وأرسل إلى أهل البوادى ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم:

ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة.

فقدمت مدينة رسول الله ﷺ من قبائل العرب: أسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة.

حتى إذا ما اكتمل عقد المسلمين أعلم صاحب لواء الحمد ﷺ الناس أنه سائر إلى مكة، ثم قال المبعوث كافة ﷺ:

ـ «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها [1].

اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم، فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة» [2].

ووقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها، وقال لهم حبيب الرحمن ﷺ:

ـ «لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه».

ولكن الصحابى الجليل حاطب [3] **بن أبى بلتعة كان له رأى آخر، فقد رأى أن يبعث** إلى أشراف قريش: سهيل بن عمرو، صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل كتابًا يخبرهم فيه أن خاتم النبيين ﷺ قد خرج قاصدًا مكة، فكتب كتابًا جاء فيه:

إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن الله تعالى ناصره ووليه، قد أحببت أن تكون لى يد بكتابى إليكم.

وبعث حاطب بالكتاب إلى سادات قريش مع سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١/ ٩٧).

(٣)حاطب بن أبى بلتعة. صحابى جليل. أرسله رسول الله ﷺ إلى مقوقس مصر برسالة يدعوه إلى الإسلام ونصها:

« أسلم تسلم يأتك الله أجرك». فوضعها المقوقس بين عينيه ثم أمر بها فوضعت فى صندوق من العاج وأهدى إلى رسول الله ﷺ: بغلة وجاريتان وبعض الهدايا.

والجاريتان هما: مارية القبطية التى تزوجها رسول الله ﷺ وأختها سيرين بنت شمعون القبطية والتى تزوجها الصحابى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

كانت قانية - مغنية - بمكة وكانت قدمت على رسول الله ﷺ وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة فقال أبو القاسم ﷺ:

- «ما كان في غنائك ما يغنيك».

فقالت سارة:

- إن قريشا منذ قتل منهم من قتل يوم بدر تركوا الغناء، وقد كنت كثيرة العشيرة والأهل والموالى، وقد ذهبت موالى واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتحملونى.

فحث إمام المتقين ﷺ بنى عبد المطلب فكسوها وأعطوها نفقة وحملوها ومنح حاطب بن أبى بلتعة سارة بردة وعشرة دنانير وأخبرها أن ما ينتظرها من خير فى مكة وفير لما تضع كتابه فى أيدى أشراف قريش.

وانطلقت سارة فى طريقها إلى مكة، ورأى الذى لا ينطلق عن الهوى ﷺ بعين النبوة كتاب حاطب بن أبى بلتعة معها، فبعث على بن أبى طالب والزبير[(1)] بن العوام والمقداد [(2)]بن عمرو الكندى وقال لهم:

- «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ - موضع بين المدينة ومكة - فإن بها ظعينة - امرأة فى هودج - معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين يحذرهم ما قد جمعنا له من أمرهم، فخذوه منها وخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها».

فخرجوا حتى أدركوا سارة عند روضة خاخ كما أخبرهم الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ فسألوها:

- أين الكتاب؟

فقالت:

---

(١) الزبير بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ بن كلاب أبو عبد الله القرشى الأسدى. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. (تقريب: ١/ ٢٥٩).

(٢) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهرانى ثم الكندى ثم الزهرى. حالف أبو كندة وتبناه الأسود بن يغوث الزهرى فنسب إليه. صحابى مشهور من السابقين لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره. مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. (تقريب: ٢/ ٢٧٢).

ـ ما معى كتاب

قالوا:

ـ لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب.

فحلفت بالله ما معها كتاب.

فاستنزلوها وفتشوها، والتمسوا فى رحلها الكتاب **فلم يعثروا** عليه

وهم الزبير والمقداد بالانصراف ولكن على بن أبى طالب قال:

ـ إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك.

فلما رأت سارة الجد من أبى الحسن قالت:

ـ أعرض

فأدار على والزبير والمقداد ظهورهم، **فحلت قرون رأسها واستخرجت الكتاب منه**.

وأخذ أبو الحسن الكتاب وتبعه الزبير والمقداد وانطلقوا إلى المدينة.

وبعث الصادق المصدوق ﷺ إلى حاطب بن أبى بلتعة، فلما جاء قدم إليه نبى الرحمة ﷺ الكتاب وقال له:

ـ ما هذا يا حاطب؟

قال حاطب بن أبى بلتعة:

ـ لا تعجل علىّ يا رسول الله

فتساءل صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ «ما حملك على ما صنعت ياحاطب؟»

قال حاطب بن أبى بلتعة:

ـ يا رسول الله ، إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بهم أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى

ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفرا وارتدادا عن دينى ولا رضاء بالكفر.

فقال المصطفى المختار ﷺ:

- **«صدق»**.

فقال عمر بن الخطاب:

- يا رسول الله: دعنى أضرب عنق هذا المنافق.

فقال صاحب الشفاعة ﷺ:

- **«إنه قد شهد بدرا فما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - فقد وجبت لكم الجنة»** (١)

وأنزل السميع البصير: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** [سورة الممتحنة الآيات ١:٢].

* كيف بك يا سراقة (٢) إذا تسورت بسوارى كسرى؟

لما انطلق خاتم النبيين ﷺ وعبد الله بن أريقط الدليل وأبو بكر الصديق وقد أردف عامر بن فهيرة وخرجوا من مكة، أرسلت قريش لأهل السواحل:

- **إن من قتل أو أسر محمدا أو أبا بكر كان له مائة ناقة.**

فأقبل رجل من قريش على مجالس بنى مدلج بقديد وراح يدور عليهم يخبرهم بما جعلت فيه قريش مائة ناقة لمن يرده عليهم.

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ٧٣، ٥/ ١٨٥) ومسلم فى (فضائل الصحابة، ح/ ١٦١) والترمذى (ح/ ٣٣٠٥) وأحمد فى (المسند، ١/ ٨٠).

(٢) سراقة بن مالك بن جُعْشُم: بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة الكنانى ثم المُدلجى. ابو سفيان صحابى مشهور من مسلمة الفتح. مات فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين. وقيل: بعدها. (تقريب: ١/ ٢٨٤).

وبينما **سراقة بن مالك بن جعشم** جالس فى نادى قومه، أقبل رجل منهم حتى وقف عليهم فقال:

- والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علىّ آنفا، إنى لأراهم محمدًا وأصحابه.

فأومأ إليه سراقة بن مالك بعينه:

أن اسكت.

ثم قال:

- إنما هم بنو فلان انطلقوا بأعيننا يطلبون ضالة لهم.

ثم لبث سراقة بن مالك فى المجلس ساعة، ثم قام إلى منزله فأمر جاريته أن تخرج فرسه من ظهر البيت وخرج مُتسللاً حتى لا يراه أحد ليفوز وحده بمائة ناقة وبالجعل كله لا يشركه فيه أحد من قومه إذا ما عاونه على أسر محمد ﷺ وأبى بكر أو قتلهما.

وأراد سراقة بن مالك أن يرى رأى إلـهه فيما هو مقدم عليه، فأخرج قداحه التى يستقسم بها فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكرهه:

لا يضره.

فلم يأبه لذلك وانطلق بفرسه يسابق الريح فهو يرجو أن يرد أبا القاسم ﷺ على قريش فيأخذ المائة ناقة.

وبينما فرسه يشتد به عثر فسقط عنه، فقال سراقه فى نفسه:

- من هذا؟

ثم أخرج قداحه فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكرهه:

لا يضره.

فأبى إلا أن يتبعه، وركب فرسه، فذهبت يداه فى الأرض وسقط سراقة عنه، ثم انتزع يده من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، فعرف حينئذ سراقة ذلك أنه منع من محمد ﷺ، فناداهم بالأمان:

- انظرونى، لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه

فقال أبو القاسم ﷺ لأبى بكر:

- «**قل له: ماذا تبغى؟**»

فقال سراقة:

- أنا سراقة بن مالك، أنظرونى أكلمكم، أنا لكم نافع غير ضار.

وتقدم سراقة بن مالك إلى حيث وقف القوم، والتفت إلى أبى القاسم ﷺ وقال.

- **إن قومك جعلوا فيك الدية لمن قتلك أو أسرك.**

وعرض سراقة بن مالك على النبى ﷺ وأبى بكر الزاد والمتاع فلم يقبلا وقال عليه الصلاة والسلام: « **أخف عنا**».

وراح سراقة بن مالك يتفرس فى وجه المبعوث للناس كافة ﷺ فأحس كأنما آفاق المستقبل قد تفتحت أمام عينى بصيرته، ووقع فى نفسه أن أمر محمد ﷺ سيعلو ويظهر فقال: **يا محمد، إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم، وتملك رقاب الناس، فعاهدنى أنى إذا أتيتك يوم ملكك فأكرمنى.**

فأمر نبى الوفاء ﷺ **أبا بكر أن يكتب له كتابًا**، فكتب أبو بكر له فى قطعة عظم كتابًا ألقاه إليه [(١)].

ولما لوى سراقة بن مالك عنان فرسه وهم بالانصراف قال له الصادق المصدوق ﷺ:

- «**كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى؟**»

---

(١) قلت: لقد حفظ الله تعالى نبيه ﷺ من سراقة بن مالك. فحين مرّ ببلاد كنانة وأدركه سراقة بن مالك ابن جُعْشُم وصار بحيث لا يبعد عنهم إلا عدة أمتار حتى إنه ليسمع أصواتهم وقراءته ﷺ أخذ الله بقوائم فرسه فساخت فى أرض صلبة.

وأدرك سراقة أنَّ النبى ﷺ معصوم وممنوع من أن يُنال بأذى فأعطى رسول الله ﷺ عهداً بأن يرد عنه الطلب. واستكتبه كتاباً أمِن ورجع يرد الرصد عن طريقه ﷺ.

عن سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه قال: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره. فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلج إذْ أقبل رجل منهم ... الحديث».

صحيح. رواه البخارى فى (المناقب، ح/٣٩٠٦) وابن اسحاق (٢/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠) وعبد الرزاق (ح/ ٩٧٤٣) وأحمد (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

قال سراقة بن مالك فى عجب: **ـ كسرى بن هرمز؟**

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ «نعم»

كان فارا هاربًا من قـومه ليس معه إلا الصديق وعامر بن فـهيرة والدليل [1]، وقد جعلت قريش جائزة وجعلا مـائة ناقة من الإبل لمن يأسره أو يعود به إليهم برأسه، ومع **ذلك يتـحدث عن المستـقبل فى ثقـة ويعد سـراقة بن مـالك بسوارى كـسرى شاهـنشاه الفرس الذى أذل هرقل إمبرطور الروم؟**

ورجع سراقة بن مالك إلى مكة وجعل لا يلقى أحدًا من الطلاب إلا رده وقال:

ـ كفيتم هذا الوجه.

لقد كان أول النهار جاهدًا على محمد ﷺ وآخره حارساً له

ولما علم سراقة بن مالك أن محمدًا ﷺ قد وصل المدينة جعل يقص على الناس ما رآه من عجب ومعجـزات وما شاهده من أمر محمد ﷺ ومـا كان من أمر جواده، وذاع هذا فى أم القرى فخشى أشراف قريش معرته وخشوا أن يكون ذلك سبباً فى إسلام كثير منهم، فكتب أبو جـهل بن هشام إلى بنى مـدلج يهجـو أميرهم ورئيـسهم سـراقة بن مالك:

بنى مدلج إنى أخاف سفيـهكـم ... سراقة مستغو لنصـــر محـــمد

عليكم به ألا يفرق جمعكـــــم ... فيصبح شتى بعـــد عز وسؤدد

فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل فى قوله هذا:

أبا حكم والله لو كنــــت شاهدا ... لأمر جوادى إذ تســـوخ قوائمه

عجبت ولـم تشكك بأن محمـدًا ... رسول وبرهـان فمن ذا يقـاومه

عليك بكف القوم عنه فإنـــــنى ... أرى أمـــره يومًا ستبدو معــــالمه

(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت: « . . . واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيَل وهو من بني عبد بن عدى. هادياً خِرِّيتاً ـ والخِرِّيت: الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفًا فى آل العاص بن وائل السهمى. وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صُبح ثلاث. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق الساحل».
صحيح. رواه البخارى فى (المغازى، ح/ ٤٠٩٣).

بأمر يسود الناس فيه بأسرهـــم بأن جمـــيع الناس طرا يســـالمه

يقول سراقة بن مالك: أخذت كتـاب محمد ﷺ فجعلته فى كنانتى، وسكت فلم أذكر شيئـاً مما كان، حتى **إذا كان فتح الله مكة علـى رسول الله ﷺ، وفرغ من حنين** (١) **والطائف** (٢)، **خرجت ومـعى** الكتاب لألقـاه، فلقيتـه بالجعرانة. ـ كـانت غنائم حنين بالجعرانة ـ فدخلت فى كتيبة الأنصار فجعلوا يفزعوننى بالرماح ويقولون:

ـ إليك ماذا تريد؟

فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت:

ـ يا رسول الله ، هذا كتابك، أنا سراقة بن مالك بن جعشم

فقال رسول الله ﷺ:

ـ «يوم وفاء وبر» فدنوت منه وأسلمت (٣).

---

(١) يقول الله تعالى: **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾** إلى قوله : **﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة: ٢٥]. وحنين: بمهملة ونون مصغر واد إلى جنب ذى المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات.
قال أبو عبيد البكرى: سمى باسم حنين بن قابثة بن مهلائيل. قال أهل المغازى: خرج النبى ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال: وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان. وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج فى أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها فى عاشره.
وكان السبب فى ذلك أن مالك بن عوف النضرى جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون.
وقصدوا محاربة المسلمين فبلغ ذلك الخرامى النبى ﷺفخرج إليهم. كذا ورد فى(فتح البارى: ٧/ ٦٢١).

(٢) غزوة الطائف: فى شوال سنة ثمان. روى البخارى بإسناده عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «دخل علىَّ النبى ﷺ وعندى مُخَنَّث فسمعته يقول لعبد الله بن أمُية: يا عبد الله أرأيت إنْ فتح الله عليكم . الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تُقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال النبى ﷺ: لا يدخلن هؤلاء عليكن». صحيح. رواه البخارى فى: (المغازى، ٥٦ باب غزوة الطائف، ح/ ٤٣٢٤).
قال الحافظ فى «الفتح: ٧/ ٦٤٠»: «هو بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل على ثلاث مراحل أو اثنين من مكة من جهة المشرق. قيل: أصلها أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التى كانت لأصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف فسمى الموضع بها.
وكانت أولاً بنواحى صنعاء واسم الأرض وج بتشديد الجيم. سميت برجل وهو ابن عبد الجن من العمالقة وهو أول من نزل بها. وسار النبى ﷺ إليها بعد منصرفه من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة. وكان عوف ابن مالك بن عوف النضرى قائد هوازن لما انهزم دخل الطائف وكان له حصن بلية. وهو بكسر اللام وتخفيف التحتانية على أميال من الطائف فمر به النبى ﷺ وهو سائر إلى الطائف فأمر بهدمه».

(٣) إسناده صحيح. رواه الطبرانى فى «الكبير» (٧/ ١٥٨، ١٦٠) وأورده ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ١٨٥) وابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٢٤٢).

ولما فتح الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص المدائن بعث بالغنائم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فلما رأى الفاروق سوارى كسرى [1] ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك بن جعشم فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلاً أزب كثير شعر الساعدين فقال له أمير المؤمنين عمر رافعًا صوته:

ـ ارفع يديك وقل: الله أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم الأعرابى.

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ **بعد نحو ثلاث وعشرين سنة.**

*** إن فعلت فإنهم قاتلوك:**

لما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف فى العام الثامن من الهجرة، اتبع عروة بن مسعود بن معتب الثقفى [2] أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فنطق بشهادة الحق.

وسأل أبو يعفور صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يرجع إلى ثقيف ويدعوهم للإسلام فقال له الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ« إن فعلت فإنهم قاتلوك»

فقال عروة بن مسعود الثقفى:

ـ « يارسول الله ، أنا أحب إليهم من أبصارهم، ولو وجدونى نائمًا ما أيقظونى»

كان أبو يعفور محببا مطاعًا سيد قومه.

فرجع عروة بن مسعود الثقفى إلى الطائف، عشيًا، فجاءته ثقيف فحيوه، فدعاهم إلى الإسلام ونصح لهم، وأظهر دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم، **فاتهموه وعصوه، وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاهم عليه**

وخرجوا من عنده حتى إذا سحر وطلع الفجر، قام أبو يعفور على غرفة له فى

(١) كسرى: بفتح الكاف وبكسرها لقب كل من تملك الفرس. ومعناه بالعربية المظفرى.

(٢) الثقفى: بفتح الثاء المثلثة والقاف والفاء. هذه النسبة إلى ثقيف وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وقيل: إن اسم ثقيف قسى. ونزلت أكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت منها فى البلاد. (الأنساب: ١/٥٠٨ ـ ٥٠٩).

داره، **فأذن للصلاة، وتشهد، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله.**

فلما بلغ الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ مقتل أبى يعفور قال:

- **« مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه »**[1].

*** الأذن بالأذن والرأس زيادة:**

ذات يوم لقى عدو الله أبو جـهل بن هشام الصحـابى الجليل عبد الله بن مسـعود فلطمه على خده، فأطاح بأذنه، فحملها ابن مسعود فى يده، وجاء النبى ﷺ يشكو أبا **جهل بن هشام، ولكن أبا القاسم ﷺ تبسم وطلب من ابن أم عبد الصبر، فعجب عبد الله** ابن مسعود: أيضرب أحد أصحاب النبى ﷺ ضربًا مبرحًا ويتبسم؟ وأراد ابن مسعود أن يسأل صاحب الشفاعة ﷺ **عن سر هذه البسمة..** ولكنه لم يجرؤ.

ويوم بدر لقى عبد الله بن مسعود أبا جـهل بن هشام بآخر رمق فعرفه ووضع رجله على عنقه

فقال أبو جهل بن هشام فى صوت واهن:

- لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم.

فقال ابن مسعود:

- هل أخزاك الله ياعدو الله؟

فقال أبو جهل:

- وبما أخزانى؟ أعمد - أشرف - من رجل قتلموه

ثم تساءل أبو جهل:

- لمن الدائرة اليوم؟

قال ابن أم عبد:

---

(١) إسناده صحيح. رواه الحاكم (٣/ ٦١٥) وصححه. ووافقه الذهبى. وابن سعد فى «الطبقات» (٥/ ٣٧٠) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٤٨) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٨٦) وعزاه إليه بإسناد صحيح.

ـ لله ورسوله

ثم أجهز عبد الله بن مسعود على أبى جهل فحز رأسه، ثم انطلق إلى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ وقال له:

ـ قتل عدو الله عمرو بن هشام

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ «إن لكل أمة فرعونا، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله الله شر قتلة ، قتله ابنا عفراء ـ معاذ، معوذ، وقتلته الملائكة ـ وتدافعه ـ أجهز عليه ـ ابن مسعود »[1].

فانطلق عبد الله بن مسعود وحمل رأس أبى جهل بن هشام وقدم بها، فلما رآها سيد الأولين والاخرين ﷺ قال:

ـ «الأذن بالأذن والرأس زيادة»

وتبسم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ

وعلم عبد الله بن مسعود سر بسمة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ يوم أن أطاحت لطمة أبى جهل بأذن ابن مسعود فى مكة منذ سنين.

*** أشهد أنك رسول الله :**

التقى جيش المسلمين وجيش المشركين فى إحدى الغزوات ، واقتتلوا ، ومال كل قوم إلى عسكرهم، وكان فى الجيش الإسلامى رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه

فقيل :

ـ يا رسول الله ، ما أجزأ أحد اليوم إلا فلان

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ« أما إنه من أهل النار»

فأعظم القوم ذلك وقالوا:

ـ أينا من أهل الجنة إن كان فلان من أهل النار؟

---

(١) إسناده جيد. أورده السيوطى فى «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٩).

فقال رجل:

- والله لا يموت على هذه الحال أبدا

فاتبع الرجل كلمـا أسرع أسرع وراءه، وإذا أبطأ أبطأ معـه حتى جرح، فـاشتدت جراحتـه واستعجل الموت، فوضع سـيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليـه فقتل نفسه، **ومات منتحرا** .

فجاء الرجل إلى الصادق المصدوق ﷺ وقال :

- أشهد أنك رسول الله

فتساءل السراج المنير ﷺ:

- «وما ذاك؟»

فأخبره بالذى كان من أمر الرجل الذى مات منتحرا

فقال النبى الخاتم ﷺ:

- «إن الرجل ليـعمل بعـمل أهل الجنة فـيمـا يبدو لـلناس، وأنه من أهل النار، وإنه ليعمـل بعمل أهل النار وإنه لمن أهل الجنة » (رواه البخارى [1] عن عبد الله بن مسلمة عن ابن أبى حازم، ومسلم عن أبى حازم).

*** لا يدخل الجنة إلا مؤمن :**

بينما كان المسلمون **يحاربون يوم خـيبر** قال رسول الله ﷺ **لرجل ممن معه يدعى** الإسلام:

- «إن هذا من أهل النار »[2].

فلما اشتد القتال، قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فأثبته

فجاء رجل من أصحاب أبى القاسم ﷺ وقال:

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ٤٥، ٥/١٦٩) ومسلم فى (الإيمان، ح/ ١٧٩) وفى (القدر، ح/ ١٢) وأورده المنذرى فى (الترغيب، ٣/ ٣٠٣).

(٢) إسناده صحيح. أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٤) والزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ١٧٩).

ـ يا رسول الله ،أرأيت الرجل الذى ذكرت أنه من أهل النار قد والله قاتل فى سبيل الله أشد القتال، وكثرت به الجراح.

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ« **أما إنه من أهل النار** » [1].

فكاد بعض الناس يرتاب

فبينما هو على ذلك وجد الرجل ألم الجرح ، فأهوى بيده في كنانته فاستخرج سهما وانتحر به .

فانطلق رجال إلى حبيب الرحمن ﷺ وقالوا:

ـ يا رسول الله ، صدق حديثك ، قد انتحر فلان فقتل نفسه

فقال إمام الخير ﷺ لمؤذنه بلال [2] بن رباح :

ـ «**قم يا بلال ، قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر**» (رواه البخارى [3]).

*** صلوا على صاحبكم :**

توفى رجل من المسلمين عقب فتح خيبر [4] وقبل أن توزع الغنائم، جاءوا النبى ﷺ وقالوا:

ـ يا نبى الله ، مات فلان

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ٤٥، ٥/ ١٦٨، ٨/ ١٥٤) ومسلم فى (الإيمان، ح/١٧٩) وأحمد فى (المسند، ٤/ ١٣٥، ٥/ ٣٣٢) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٤/ ٢٥٣).

(٢) بلال بن أبى رباح المؤذن وهو ابن حمامة. وهى: أمه أبو عبد الله مولى أبى بكر من السابقين الأولين. شهد بدراً والمشاهد. مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة. وقيل: سنة عشرين وله بضع وستون سنة. (تقريب: ١/ ١١٠).

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٥/ ١٦٩) ومسلم فى (الصيام، ح/ ١٤٥) والترمذى (ح/٣٠٩١) والنسائى فى (الإيمان، باب «٧») وأحمد فى «المسند» (٢/ ٢٩٩، ٣/٣٤٩، ٤٦٠، ٥١٥، ٤/ ٣٣٥٠).

(٤) خيبر: بمعجمة وتحتانية وموحدة بوزن جعفر. وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

وذكر أبو عبيد البكرى: أنها سميت باسم رجل من العماليق نزلها. قال ابن إسحاق: خرج النبى ﷺ فى بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر (فتح البارى: ٧/ ٥٣٠).

فسكت رسول الله ﷺ ، لماذا لم ينهض ليصلى عليه؟ ألم يقاتل معه؟ جاهد في سبيل الله ؟ وعاد أصحاب النبى ﷺ يخبرونه بموت فلان

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

- «صلوا على صاحبكم » [1].

فتغيرت وجوه الناس لذلك ، إنه ﷺ لا يصلى على من مات وعليه دين، وإنه لم يسأل: أعليه دين أم لا؟

لما رأى سيد الأولين والآخرين ﷺ علامات الاستفهام تملأ العيون قال:

- «إن صاحبكم قد غل فى سبيل الله» - غل الرجل : خان .

ففتشوا متاعه فوجدوا خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين (أخرجه أبو داودكتاب الجهاد باب فى تعظيم الغلول) [2].

*** يوم مؤتة:**

عسكر جيش المسلمين فى منطقة الجرف، فأصدر صاحب لواء الحمد ﷺ مرسوما شفويا عين بمقتضاه ثلاثة أمراء للجيش يتولون قيادته بالتناوب الواحد بعد الآخر، فقال الذى لا ينطق الهوى ﷺ:

- زيد [3] **بن حارثة أمير على الناس، فإن قتل زيد فجعفر** [4] **بن أبى طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم.**

لما سمع جعفر بن أبى طالب ذلك تقدم إلى صاحب الخلق العظيم ﷺ، وأبدى ما يمكن تسميته مراجعة للنبى عليه الصلاة والسلام فى تقديم زيد بن حارثة عليه من قيادة

(١) انظر: المنتقى (ح/ ١٠٨١).

(٢) إسناده صحيح. رواه أبو داود فى (الجهاد، باب «١٤٢٥») والنسائى فى (الجنائز، باب «٦٥»).

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى. أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ صحابى جليل مشهور من أول الناس إسلاماً. استشهد يوم مؤتة فى حياة النبى ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين. (تقريب: ١/ ٢٧٣).

(٤) جعفر بن أبى طالب الهاشمى. ذو الجناحين الصحابى الجليل ابن عم رسول الله ﷺ. استشهد فى غزوة مؤتة. سنة ثمان من الهجرة. (تقريب: ١/ ١٣١).

الجيش، كان يدرك أنها حرب مع جيش الروم صاحب العتاد والأعداد والأموال، وكان في شوق فإما أن يحقق نصرًا لدين الله وإما يظفر باستشهاد عظيم في سبيل الله عز وجل فقال:

ـ يا رسول الله، ما كنت أرغب أن تستعمل زيدا على

فقال الذى يأتيه خبر السماء ﷺ:

ـ **«امض فإنك لا تدرى أى ذلك خير»** (١).

فامتثل جعفر بن أبى طالب

وكان رجل يهودى يقال له : النعمان بن فنحاص حاضرًا هذا الموقف فقال:

ـ يا أبا القاسم، إن كنت نبيا فلو سميت قليلا أو كثيرا أصيبوا جميعا، إن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سموا الرجل على القوم فقالوا : إن أصيب فلان ففلان ، فلو **سموا مائة أصيبوا جميعا**

ثم مشى النعمان بن فنحاص اليهودى إلى زيد بن حارثة قبل أن يتحرك الجيش الإسلامى وقال له:

ـ اعهد فلن ترجع إلى محمد أبدا إن كان نبيا

فقال زيد بن حارثة:

ـ **أشهد أنه صادق بار** ﷺ (رواه (٢) البيهقى).

ومضى جيش المسلمين صوب الشام فنزل معان من أرض الشام

وعلم أمراء الجيش الإسلامى أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وألقين وبهراء وبلى مائة ألف

فطلب زيد بن حارثة من مجلسه العسكرى أن يتخذوا قرارا حاسمًا لمواجهة الموقف الخطير. . **مائتان ألف من الروم مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين؟؟**

(١) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى (دلائل النبوة، ٤/ ٣٦٧) وابن أبى شيبة فى (المصنف، ١٤/ ١٥٢) وأورده ابن حجر فى (فتح البارى، ٧/ ٥١١).

(٢) انظر: المصدر السابق.

فرأى البعض أن ينتظروا حتى يبعثوا إلى رسول الله ﷺ بحقيقة الوضع الحرج الذى يواجهونه، ويطلبوا منه المدد ويستأذنونه فى مصادمة هذه الجيوش الهائلة.

ورأى فريق آخر المضى والإسراع فى لقاء العدو وشجعهم على ذلك عبد الله بن رواحة وقال لهم:

- يا قوم، والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم له، خرجتم تطلبون الشهادة ونحن لا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به، فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور - نصر - وإما شهادة

فقال المسلمون:

- صدق والله ابن رواحة

ومضوا إلى القتال

فلقيتهم جموع هرقل ملك بنى الأصفر من الروم والعرب، فانحاز الجيش الإسلامى **إلى مؤتة** على الرغم من أن الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ قد نهى وحذر من دخولها، ولكن غشيت المسلمون ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

والتقى الجمعان

وأطلع العليم الخبير حبيبه ﷺ على معركة مؤتة فنادى المسلمين:

- «الصلاة جامعة»

ثم صعد خاتم النبيين ﷺ المنبر وعيناه تذرفان وقال:

- «أخبركم عن جيشكم هذا؟»[1].

قالوا:

- نعم يا رسول الله

فكشف الله عز وجل له ما بينه وبين الشام فهو ينظر معركة جيشه مع الروم وكأنها بين يديه فقال:

(1) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى «دلائل النبوة» (4/ 367).

- **«إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا»**

فاستغفر له

ثم أردف السراج المنير ﷺ:

- **«ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا»** .

شهد له بالشهادة واستغفر له

ثم قال كاشف الغمة ﷺ:

- **«ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة [1] فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترضا»**

فشق ذلك على الأنصار ، فقالوا:

- يا رسول الله ، **ما اعترضه؟**

قال نور الظلمة ﷺ:

- **«لما أصابته الجراح نكل - جبن - فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة »**

فسرى عن القوم - الأنصار .

ثم أردف صاحب الشفاعة ﷺ:

«ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ، ولكنه سيف من سيوف الله فآب - رجع - بنصره».

*** إذا أعطيت أمتي الدنيا :**

الداران الأولى والآخرة ككفتي ميزان ولقد تنبأ وحذر سيد الأولين والآخرين ﷺ من التهافت والتكالب على الدنيا

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ:

- **« احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت»** (رواه ابن أبي الدنيا[1] في ذم الدنيا عن أبي الدرداء).

---

(١) عبد الله بن رَواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر. أحد السابقين شهد بدرًا واستشهد بمؤتة. وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان. (تقريب : ١/ ٤١٥).

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- «**ما أخشى عليهم الفقر، ولكن أخشى عليهم التكاثر - جمع الأموال - وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم التعمد**» (رواه الحاكم [٢] فى المستدرك، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة).

وذات يوم قال السراج المنير ﷺ لأصحابه:

- «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين؟ فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**» (رواه [٣] الترمذى والإمام أحمد ، وابن ماجه عن عمرو بن عوف).

ثم قال نور الظلمة ﷺ:

- «**لا يفتح الله الدنيا على أحدكم إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**» (رواه الإمام أحمد [٤] عن عمر).

لقد تحققت نبوءة البشير النذير ﷺ فقد امتدت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا وصبت الدنيا على المسلمين صبا فكثر عندهم الخبز واللحم والمال فتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فألقى السميع البصير بينهم البغضاء والعداوة وأطلت الفتن والبدع والمبتدعات بقرونها فصار حالنا كما نرى.

*** ابن سمية تقتلك الفئة الباغية :**

بينما كان المبعوث للناس كافة ﷺ يبنى مسجده كان الصحابى الجليل عمار بن

---

(١) إسناده ضعيف. أورده السيوطى فى (الدر المنثور، ١/ ١٠٠) والعراقى فى (المغنى عن حمل الأسفار، ٣/ ٢٠٠) وضعفه الشيخ الألبانى. انظر: (الضعيفة، ح/ ٣٤).

(٢) إسناده صحيح. رواه الحاكم فى (المستدرك، ٢/ ٥٣٤) وأحمد فى (المسند، ٢/٣٠٨) وابن حبان (ح/ ٢٤٨٩) وصححه الحاكم. وأقره الذهبى.

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه الترمذى (ح/ ٢٤٦٢) والبخارى فى (الجزية، باب «١»، ٤/١١٧) ومسلم فى (الزهد، والمقدمة «٦») وابن ماجة (ح/ ٣٩٩٧) وأحمد فى (المسند، ٤/١٣٧) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/٢٦).

(٤) إسناده حسن. رواه أحمد. وأورده تقى الدين الهندى فى «كنز العمال» (ح/ ٦٣٢٧).

ياسر **يحمل الحجرين فى مرة واحدة فى** حين كان كل واحد من الصحابة يحمل حجرا واحدا، فلما رأى نبى الرحمة ﷺ أبا اليقظان [1] يطمع فى الأجر قال له:

ـ« **اللهم بارك فى عمار، ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية، وآخر زادكَ من الدنيا ضياح من لبن** » اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط ـ (رواه ابن عساكر[2] عن عائشة).

وجاء رجل من الأنصار فقال:

ـ يا نبى الله، وقع حجر على عمار فقتله

وكان النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ جالسا يستريح بجانب عبد الله بن عمرو بن العاص، فهز أبو القاسم ﷺ وقال:

ـ «**ما مات عمار، تقتله الفئة الباغية**» (رواه ابن [3] عساكر).

ونهض الرحمة المهداة ﷺ هو وعبد الله بن عمرو ليطمئنا على أبى اليقظان، فوجداه يحمل حجرين فتبسم نبى الرحمة ﷺ وقال:

ـ« **ويحك ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية**» (رواه الدارقطنى [4] فى الأفراد عن أبى اليسر، والإمام أحمد).

ولما قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، بايع المسلمون على بن أبى طالب فعزل ولاة كان عثمان قد ولاهم فأكثروا الظلم والجور والفساد فارتفعت الأصوات بالأنين والشكوى وكان من بين هؤلاء الولاة معاوية بن أبى سفيان، فشق عصا الطاعة والجماعة وانحاز إليه من أهل الشام ـ كان أميرا على الشام فى عهد أمير المؤمنين عمر وذى النورين ـ

أين كان موقف الرجل الذى قال عنه الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ؟:

---

(١) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العَنسى، بالنون ساكنة بين مهملتين، أبو اليقظان، مولى بنى مخزوم، صحابى جليل مشهور، من السابقين الأولين، بدرى قتل مع علِىّ بصفّين سنة سبع وثلاثين حسن.

(٢) وإسناده ضعيف. أخرجه ابن عساكر فى «التاريخ» وتقى الدين الهندى فى «كنز العمال» (ح/ ٣٣٥٤٨، ٤ ٣٧٤) رجمع الجوامع (ح/ ٩٧٩٥).

(٣) حسن وإسناده ضعيف. أخرجه ابن عساكر فى «التاريخ» وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٢/ ١٢٠) وابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ١/ ١٨١).

(٤) حسن وإسناده ضعيف. رواه أحمد فى (المسند، ٦/ ٣١٥) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٢/ ٥٤٧، ٥٤٩) وأبو نعيم فى (الحلية، ٤/ ٣٦١) وابن سعد فى (الطبقات، ٣/ ١/ ١٨٠).

- «**إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق**» (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عبد الله بن مسعود).

وقال الصادق المصدوق ﷺ:

- «**عمار يزول مع الحق حيث يزول**»(رواه ابن عساكر).

لقد وقف أبو اليقظان إلى جوار أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لا متحيزا ولا متعصبا لأهل البيت، بل مذعنا للحق، وحافظا للعهد، فعلى بن أبى طالب صاحب البيعة بالإمارة، ولقد فرض عليه المسلمون الخلافة فرضا، وهو جدير بها فهو صاحب المزايا التى جعلت منزلته من النبى الخاتم ﷺ كمنزلة هارون من موسى عليهما السلام[1].

وخرج عمرو بن العاص ومعه ابناه: عبد الله و محمد إلى الشام، فوجدوا أهل الشام يحرضون معاوية على المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان ، فقام عمرو بن العاص وقال لهم:

- **أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم**

واتفق عمرو ومعاوية [2] إذا صار الأمر - الخلافة - إلى معاوية جعل عمرو بن العاص واليا على مصر مرة أخرى - كان واليا على مصر فى زمن ذى النورين ولكن الخليفة الثالث عزله وجعل عبد الله بن أبى سرح [3] بدلا منه فساءت الأمور بينهما فى آخر عهد عثمان .

وعاد عبد الله بن عمرو يلوم نفسه، لماذا قبل الخروج مع أبيه ووقف بجانب من شقوا عصا الجماعة و. . .؟ ماذا يفعل لو طلب أبوه منه أن يحمل سيفا ويقاتل. .؟

---

(١) إسناد هذا الحديث صحيح.

(٢) معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أميّة الأموى، أبو عبد الرحمن الخليفة صحابى أسلم قبل الفتح وكتب الوحى ومات فى رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين. (تقريب: ٢/ ٢٥٩).

(٣) عبد الله بن سعد بن أبى السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشى الهاشمى. يكنى أبا يحيى وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة. أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ. توفى بعسقلان، وقيل: بأفريقيا سنة ستة وثلاثين. (أسد الغابة: ٣/ ١٧٣).

وعلم عبد الله بن عمرو أن عمار بن ياسر قد خرج مع أمير المؤمنين على للقاء معاوية وأهل الشام. .

إن أبا اليقظان كان موضع إجلال مطلق من أصحاب رسول الله ﷺ، وأكثر من ذلك فقد تنبأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بمصرع عمار بن ياسر. . تقتله الفئة الباغية.

كان عبد الله بن عمرو أحد الذين سمعوا قول الصادق المصدوق ﷺ منذ ست وثلاثين سنة، ولابد أن بقية أصحاب رسول الله ﷺ ما زالوا ذاكرين .

ورفض عبد الله بن عمرو أن يحمل سيفا ضد عمار بن ياسر حتى لا يكون من الفئة الباغية

ولكن داهية العرب عمرو بن العاص نجح فى جعل ابنه يحمل الراية يوم صفين .

صعد أبو اليقظان الروابى العالية ودوى صوته وهو يحمل الراية وقد رفعها فوق الرءوس عالية خفاقة:

ـ والذى نفسى بيده قاتلت تحت هذه الراية مع رسول الله ﷺ، وها أنا ذا أقاتل بها اليوم، والذى نفسى بيده لو هزمونا حتى يبلغوا سعفات هجر ـ السعفة: غصن النخل، هجر : بلد باليمن ـ لعلمت أننا على الحق وأنهم على الباطل.

لقد أعلن أبو اليقظان عن وجهة نظره فى هذا القتال . . فتبعه الناس وآمنوا بصدق كلماته.

وكان أتباع أمير المؤمنين على يتبعون عمار بن ياسر الذى كانت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ تتألق بين عينيه بحروف من نور: «**تقتلك الفئة الباغية**» (١).

من أجل ذلك كان صوت أبى اليقظان يجلجل فى المعركة وكأنه على موعد معها:

ـ اليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه

وطلب عمار بن ياسر ماء ليشرب، فأتته امرأة طويلة اليدين بإناء فيه ضياح ـ اللبن الرقيق المزيج بالماء ـ من لبن فشرب وقال:

ـ إن حبيبى ﷺ عهد إلىَّ وأخبرنى أن آخر شربة نشربها من الدنيا مزقة لبن.

---

(١) حسن. وإسناده ضعيف. وتقدم.

ثم قال أبو اليقظان:

ـ الحمد الله الجنة تحت الأسنة ـ السيوف .

وتواصى بقتل عمار بن ياسر جماعة من أهل الشام، وبينما كان أبو اليقظان يصول ويجول فى نحر أهل الشام سددت إليه رمية نقلت أبا اليقظان إلى عالم الشهداء.

وسرى مقتل عمار بن ياسر سريان النار فى الهشيم

انتفض عبد الله بن عمرو وألقى بالراية التى كانت فى يده وتساءل فى عجب:

ـ أو قد قتل عمار؟

قالوا:

ـ نعم

فعاد عبد الله بن عمرو يتساءل وكأنه لم يصدق أذنيه:

ـ وأنتم قتلتموه؟

فسكتوا

فقال عبد الله بن عمرو:

ـ إذن أنتم الفئة الباغية، وأنتم المقاتلون على ضلالة

وانطلق عبد الله بن عمرو فى معسكر أهل الشام كالنذير يثبط عزائمهم، ويهتف فيهم أنهم بغاة، لأنهم قتلوا ابن سمية.

لقد تنبأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ منذ ستة وثلاثين عاما على ملأ من أصحابه **بأن أبا اليقظان ستقتله الفئة الباغية، وها هى اليوم قد تحققت.**

وانتقلت مقالة عبد الله بن عمرو إلى معاوية بن أبى سفيان فدعا عمرو بن العاص وابنه عبد الله وقال لعمرو:

ـ ألا تكف هذا المجنون؟

قال عبد الله بن عمرو:

- ما أنا بمجنون ولكنى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول لعمار : «**بؤس - بؤسا - لك يا ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية**» (رواه مسلم [1] كتاب الفتن عن قتادة ،والإمام أحمد).

فقال معاوية بن أبى سفيان:

- **هم الذين خرجوا بعمارفهم الفئة الباغية**

قال عبد الله بن عمرو:

- **لقد خرج رسول الله ﷺ يوم أحد بعمه حمزة، وابن عمته عبد الله [2] بن جحش ، ومصعب بن عمير و.....و..... فهل كان هو وأصحابه الفئة الباغية؟**

فأسقط ما فى يد معاوية ، ثم تساءل :

- فلم خرجت معنا؟

قال عبد الله بن عمرو:

- لأن رسول الله ﷺ أمرنى أن أطيع أبى ، وقد أطعته فى الخروج، ولكنى لا أقاتل معكم.

وبينما كان معاوية يحاور عبد الله بن عمرو دخل رجل على معاوية يستأذن لقاتل عمار بن ياسر فى الدخول فنهض عبد الله بن عمرو واقفا وقال وهو يهم بالانصراف:

- **ائذن له وبشره بالنار.**

*** تلك العزى:**

لما فتح صاحب لواء الحمد ﷺ أم القرى فى العام الثامن من الهجرة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة - مكان بين مكة والطائف - وكان بها العزى، فأتاها خالد بن الوليد وكانت على ثلاث سمرات - السمر : الشجر - فقطع السمرات

وقيل: ثلاث شجرات

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٧٠) وأحمد فى (المسند، ٥/ ٣٠٦) والبيهقى فى (دلائل النبوة).

(٢) عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة الأسدى أبو محمد الأسدى أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. شهد بدراً وقتل يوم أحد. (أسد الغابة: ٣/ ١٣١).

وهدم أبو سليمان البيت الذى كان عليهـا، ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- «ارجع فإنك لم تصنع شيئا»

فرجع خالد بن الوليد إلى نخلة، فلما نظرت إليـه السدنة وهم حجابها أمعنوا فى الجبل وهم يقولون:

- يا عزى خبليه - الخبال : النقصان والهلاك - ، يا عزى هوريه وإلا موتى برغم

فأتاها خالد بن الوليد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فعممها أبو سليمان بالسيف حتى قتلها

ثم رجع خالد بن الوليد إلى مكة فأخبر أبا القاسم ﷺ فقال:

- «تلك العزى»

*** اللحم الذى صار حجرا :**

أهدى لأم المؤمنين أم سلمة [1] بضعـة من لحم، وكان النبـى ﷺ **يعجبـه اللحم** فقالت للخادمة:

- ضعيه فى البيت لعل النبى ﷺ يدخل فيأكله

فوضعته الخادمة فى كوة فى البيت، وجاء سائل فقام على الباب فقال:

- تصدقوا بارك الله فيكم

فقالوا له:

- بارك الله فيك

فذهب السائل، ودخل النبى ﷺ فقال:

- «يا أم سلمة، عندكم شىء أطعمه؟»

---

(١) أم سلمة: هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة. أم سلمة أم المؤمنين تزوجها النبى ﷺ بعد أبى سلمة سنة أربع وقيل: ثلاث. وعاش بعد ذلك ستين سنة مات سنة اثنين وستين وقيل: سنة إحدى. وقيل: قبل ذلك والأولى أصح. (تقريب: ٢/ ٦١٧).

قالت أم المؤمنين أم سلمة :

ـ نعم

ثم قالت للخادمة :

ـ اذهبى فائتى رسول الله بذلك اللحم

فذهبت الخادمة فلم تجد فى الكوة إلا قطعة مروة حجر

فتساءل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ **« أتاكم اليوم سائل؟ »**

قالت أم سلمة :

ـ نعم ، فقلنا له : بارك الله فيك

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ **«فإن هذا اللحم عاد مروة لما لم تطعموه السائل»**

※ قتال حوارى رسول الله ﷺ أول فدائى فى الإسلام :

تجهز أمـير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الشام، وبينما هـو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة [1] بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة أنهم خرجوا إلى البصرة فأسرع أبو الحسن وكان يرجو أن يدرك الزبير وطلحة فيردهما إلى المدينة قبل وصولهما أو يوقع بهما.

ولما انتهى أمـير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الربذة [2]، أتاه خبر سـبق الزبير وطلحة وعائشة، ولمـا خرج أبو الحسن من الربذة، ونزل بفيد أتته أسـد وطىء فعرضوا عليه أنفسهم فقال :

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمى أبو محمد المدنى أحد العشرة مشهور. استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين. (تقريب: ١/ . ٣٧٩).

(٢) الربذة: بفتح الراء والباء المعجمة بواحدة وفى آخرها ذال منقوطة. والربذة هى قرية من قرى المدينة على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد إلى مكة نزلت بها غير مرة وبها قبر أبى ذر الغفارى رضى الله عنه. وكان يسكنها وتوفى بها. (الأنساب: ٣/ ٤١).

- الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطىء وأسد

ومضى أمير المؤمنين على حتى نزل على عبـد القيس فانضموا إليه وسار من هناك فنزل الزاوية، وسار من الزاوية يريد البصرة

فلما تراءى الجمـعان، خرج الزبير بن العـوام على فرس عليه سلاحـه فقيل لأبى الحسن:

- هذا الزبير

فقال أمير المؤمنين على :

- أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله تعالى أن يذكر

وخرج طلحة بن عـبيد الله فخرج إليـهما أمير المؤمنين على حـتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال أبو الحسن:

- لعمرى قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجـالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾** [سورة النحل الآية: ٦٢] ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان وأحرم دمكما؟ فهل من حدث أحل لكم دمى؟

قال طلحة بن عبيد الله:

- ألَّبت على عثمان

قال أمير المؤمنين على:

-﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [سورة النور الآية: ٢٥] ، يا طلحة تطلب بدم عثـمان فلعن الله قتلة عـثمان، يا طلحة ، أجـئت بعرس رسول الله ﷺ -عـائشة بنت أبى بكر - تقاتل بها وخبأت عرسك فى البيت ؟ أما بايعتنى؟

قال طلحة بن عبيد الله:

- بايعتك والسيف على عنقى

وقال أمير المؤمنين على لحوارى رسول الله ﷺ:

ـ يا زبير ، ما أخرجك؟

قال الزبير بن العوام:

ـ أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا

فقال له أمير المؤمنين على:

ـ ألست له أهلا بعد عثـمان؟ قد كنا نعدك من بنى عبـد المطلب ـ الزبير بن العوام ابن صفية بنت عبد المطلب [1] عمة رسول الله ﷺ ـ حتى بلغ ابنك ابن السوء ـ يعنى عبد الله بن الزبير ـ ففرق بيننا

وذكر على الزبير أشياء ثم قال أبو الحسن:

يا زبير. نشـدتك بالله أتذكر يوم مـر بك رسول الله ﷺ **ونحن فى بنى غنم فنظر** إلىَّ فضحك وضحكت إليه فقلت له:

ـ لا يدع ابن أبى طالب زهوه

فقال لك رسول الله ﷺ:

ـ «ليس به زهو ، يا زبير، أتحب عليا؟»

فقلت:

ـ يا رسول الله ، ألا أحب ابن خالى وابن عمى وعلى دينى؟

فقال لى:

ـ «يا على ، أتحبه؟»

فقلت:

ـ يا رسول الله ألا أحب ابن عمتى وعلى دينى؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ. وهى أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى شقيقة حمزة. وهى أول امرأة قتلت رجل من المشركين. (أسد الغابة: ٥/ ٤٩٢).

-« يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم » (1).

قال حوارى رسول الله ﷺ:

- اللهم نعم ، ولو ذكر ما سرت مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبدا

فانصرف أمير المؤمنين على إلى أصحابه فقال لهم:

- أما الزبير فقد أعطى الله عهدا أن لا يقاتلكم

ورجع حوارى رسول الله ﷺ فقال:

- ما كنت فى موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه غير موطنى هذا

قالت أم المؤمنين عائشة:

- فما تريد أن تصنع؟

قال الزبير بن العوام :

أريد أن أدعهم وأذهب

فقال له ابنه عبد الله بن الزبير:

- جمعت بين هذه الغارين - العارين - حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب، لكنك خشيت رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت، فأحفظه ذلك

قال حوارى رسول الله ﷺ:

- إنى حلفت أن لا أقاتله

قال عبد الله بن الزبير محرضا:

- كفر عن يمينك وحاربه وقاتله

فأعتق حوارى رسول الله ﷺ غلامه ووقف حتى اختلف الناس فركب فرسه وترك الفريقين ... وانصرف راجعا

---

(1) صحيح. انظر: البداية والنهاية (7/ 242) وابن عساكر فى (التاريخ، 5/ 366) والبيهقى فى (دلائل النبوة، 6/ 415).

*** اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد :**

لما التأم الأمر بين رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو على صلح الحديبية، وأمر أبو القاسم ﷺ أوس بن خولى[1] أن يكتب كتاب الصلح، ولكن سهيل بن عمرو قال:

ـ بل يكتبه ابن عمك.

فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب:

ـ **«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»**

فقال سهيل بن عمرو:

ـ لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم

فقال المسلمون :

ـ **والله لا يكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم**

فقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

ـ **«اكتب باسمك اللهم»**

فكتبها على بن أبى طالب

ثم قال صاحب الشفاعة ﷺ:

ـ **«اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»**

فقال سهيل بن عمرو:

ـ **لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ـ لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ »**

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ لعلى:

(١) أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الخزرجى الأنصارى السلمى أبو ليلى: شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. وهو واحد من أخوال النبى ﷺ ونزل فى حفرته وتوفى فى خلافة عثمان بن عفان. (أسد الغابة: ١/ ١١٤ ـ ١٤٥).

- والله إنى لرسول الله ولو كذبتمونى، وأنا محمد بن عبد الله [1].

ثم قال حبيب الرحمن ﷺ لعلى:

- «امح رسول الله»

فقال أبو الحسن:

- والله لا أمحوك أبدا.

وفى لفظ:

فجعل على يتلكأ ويأبى إلا أن يكتب محمدًا رسول الله

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لعلى:

- «اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد» - أى مقهور.

وأخذ أسيد[2] بن حضير وسعد بن عبادة بيد أبى الحسن ومنعاه أن يكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بين المسلمين والمشركين، وارتفعت أصوات المسلمين وجعلوا يقولون:

- لِمَ نعطى هذه الدنية فى ديننا؟

فجعل الرحمة المهداة ﷺ يخفضهم ويومئ بيده إليهم أن اسكتوا

ثم قال أبو القاسم ﷺ لعلى:

- «أرنيه»

فأراه إياه فوضع صاحب الشفاعة ﷺ أصبعه عليه فمحاه ثم قال:

-« أكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع

---

(١) صحيح. متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (٢/ ٢٢٤) واحمد فى (المسند، ١/ ٣٤٢) والطبرى فى (تفسيره، ١٣/ ١٠١).

(٢) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسى الأنصارى. وكان أبوه حضير فارس الأوس فى حروبهم مع الخزرج وكان رئيس الأوس يوم بعاث. وأسلم أسيد قبل سعد ابن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة وكان إسلامه بعد العقبة الأولى. توفى سنة عشرين من الهجرة. (أسد الغابة: ١/ ٩٢ - ٩٣).

الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض و..»

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بعد ثلاثين عاما

لما قتل الثائرون والمتمردون أمير المؤمنين عثمان بايع المسلمون أبا الحسن الذى عزل جميع ولاة ذى النورين ومن بينهم معاوية بن أبى سفيان الذى ثارت ثائرته هو وبطانة الخليفة الثالث والذين كان يستعملهم وقالوا:

ـ لا نبايع عليا حتى نقتل قتلة عثمان

وشق معاوية عصا الطاعة والجماعة وخرج بأهل الشام لقتال أمير المؤمنين على

وتحققت نبوءة الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ فلم يذق أبو الحسن حلاوة الخلافة فقد قضى سنين الخلافة فى حرب مع معاوية بن أبى سفيان وأهل الشام.

ويوم صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال إلى رأس الحول، وكان قتال فى صفر دام مائة يوم وعشرة أيام قتل فيها سبعون ألفا: خمسة وعشرون ألفا من جيش أمير المؤمنين، خمسة وأربعون ألفا من جيش معاوية.

ولما لجأ المسلمون إلى التحكيم وهمّ الحكمان ـ أبو موسى [1] الأشعرى وعمرو بن العاص ـ أن يكتبا كتاب الصلح كتب أبو موسى الأشعرى:

هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقال عمرو بن العاص:

اكتب اسمه واسم أبيه

وأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص يقول:

لا تكتب أن عليا أمير المؤمنين، لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ما قاتلته، فبئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله، ولكن اكتب علي بن أبى طالب وامح

(١) أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة. صحابى مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان. وهو أحد الحكمين بصفين. مات سنة خمسين. وقيل: بعدها. (تقريب: ١/ ٤٤١).

أمير المؤمنين

فقيل لأبى الحسن:

- يا أمير المؤمنين ، لا تمح اسم أمير المؤمنين، فإنك إن محوتها لا تعود إليك

فلما سمع أمير المؤمنين على بن أبى طالب بذلك وأمره بمحوها

تذكر قول سيد الأولين والآخرين ﷺ منذ ثلاثين سنة يوم الحديبية فقال أبو الحسن:

الله أكبر مثلا بمثل، والله إنى لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا:

- لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك،**اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله**

فقال عمرو بن العاص:

- سبحان الله أنتشبه بالكفار؟

فقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب:

- يا بن النابغة - أى العاهرة - ومتى كنت عدوا للمسلمين؟ هل تشبه إلا أمك التى وقعت بك؟

فقال عمرو بن العاص:

- لا يجمع بينى وبينك مجلس أبدا

فقال أبو الحسن:

- إنى لأرجو الله أن يطهر مجلسى منك ومن أشباهك.

*** ابنى هذا سيد:**

لما رزق الله فاطمة الزهراء الحسن والحسين كان رسول الله ﷺ يأتى بيت على بن أبى طالب ويحمل حفيديه ويقول:

- «إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وإن الله جعل ذريتى فى صلب علي بن أبى طالب (رواه الطبرانى [1] فى المعجم الكبير عن جابر ، والخطيب عن ابن عباس).

وكان نبى الرحمة ﷺ يقول:

ـ «**هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما ـ الحسن والحسين ـ فأحبهما وأحب من يحبهما** »(رواه الترمذى [2] وابن أبى شيبة).

وذات يوم جلس الحسن على المنبر وهو ينظر إلى جده ﷺ مرة وإلى الناس مرة فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ «**إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** » (أخرجه البخارى [3] كتاب الصلح باب قول النبى ﷺ ،والترمذى،وأبو داود، والنسائى).

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ **بعد نحو سبع وثلاثين سنة** عندما أراد الحسن بن على **أن يحقن دماء المسلمين** فصالح معاوية بن أبى سفيان وتسلم الأمر سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

*** يا عمر ، لعل سهيلا يقف غدا موقفا يسرك :**

كان سهيل بن عمرو أعظم الشعراء وخطباء وقادة جيش قريش ، وكان أبرز المحرضين للخروج يوم بدر.

ووقع سهيل بن عمرو أسيرا مع سبعين من المشركين بأيدى المسلمين.

وبينما كان عمر بن الخطاب والمبعوث رحمة للعالمين ﷺ ينظران إلى وجوه أسرى بدر وقعت عينا الفاروق عمر بن الخطاب على وجهه سهيل بن عمرو فقال:

ـ **يا رسول الله ، دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبا بعد اليوم.**

---

(١) إسناده ضعيف. رواه الطبرانى فى (الكبير، ٣/ ٣٥) والخطيب فى (التاريخ، ١/ ٣١٧١). وضعفه الشيخ الألبانى. انظر: (الضعيفة، ح/ ٨٠١).

(٢) صحيح. رواه الترمذى (ح/ ٣٧٦٩) وابن حبان (ح/ ٢٢٣٤) والطبرانى فى (الصغير، ١/ ١٩٩) والمشكاة (ح/ ٦١٥٦) وابن أبي شيبة فى (المصنف، ١٢/ ٩٨).

(٣) صحيح. رواه البخارى (٣/ ٢٤٤، ٩/ ٧١) وأبو داود (ح/ ٤٦٦٢) والنسائى فى (الجمعة، باب «٢٦») وأحمد فى (المسند، ٥/ ٤٤).

- «كلا يا عمر ، لا أمثل بأحد فيمثل الله بى وإن كنت نبيا»

ثم أدنى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ الفاروق منه وقال:

- «يا عمر ، لعل سهيلا يقف غدا موقفا يسرك»

وفى أخريات العام الهجرى السادس خرج سيد الأولين والآخرين ﷺ وأصحابه إلى أم القرى ليعتمروا، وكانوا لا يريدون حربا كما كانوا غير مستعدين لقتال .

ولما علمت قريش بمقدم أبى القاسم ﷺ وأصحابه خرجت لتقطع عليهم الطرق إلى مكة، **وتصدهم عن البيت الحرام** .

وتأزم الموقف وتوترت الأنفس ، وسلك نبى الرحمة ﷺ وأصحابه طريقا وعرا إلى الحديبية .

وقال المبعوث للناس كافة ﷺ:

-« لا تدعونى قريش إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها».

وراحت قريش ترسل رسلها إلى نور الظلمة ﷺ فيخبرهم جميعا أنه لم يأت لقتال وإنما جاء يزور البيت ومعظما لحرمته.

ولما رأت قريش أنه لا جدوى من محاولاتها وأن انقساما أصاب معسكرها فقررت **أن تلجأ إلى المفاوضة والصلح فاختارت لهذه المهمة أصلح زعمائها لها سهيل بن عمرو** ، فهو واحد من زعماء قريش البارزين، ومن حكمائها وذوى الفطنة والرأى فيها وقالوا له:

- ائت محمداً فصالحه، ولا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها - مكة - علينا عنوة أبدا

فلما أقبل سهيل بن عمرو ورآه الهادى البشير ﷺ قال:

- «لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، سهيل سهل الله أمرنا» (1).

وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ فقد جاء سهيل بن عمرو وعقد صلح الحديبية مع

(1) انظر: أسد الغابة (٢/ ٣٧١).

الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وأسلم سهيل بن عمرو يوم فتح مكة فى العام الثامن من الهجرة فتحول واحد من كبار زعماء قريش وأعظم شعرائها وخطبائها إلى خطيب باهر من خطباء الإسلام، ومقاتل عاهد ربه أن يظل فى رباط وجهاد حتى يدركه الموت .

ولما انتقل خاتم النبيين ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، لم يكد النبأ يبلغ أم القرى وكان سهيل بن عمرو يومئذ يطوف حول الكعبة حتى غشى على المسلمين من الذهول والدهش كما غشى أهل مدينة رسول الله ﷺ.

وإذا كان ذهول المدينة قد بدده أبو بكر الصديق ساعتئذ بكلماته الحاسمة:

ـ أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت.

فهل يأخذنا العجب حين نرى سهيل بن عمرو وهو واقف فى مكة فى نفس الموقف الذى وقفه أبو بكر بالمدينة وهو يقول:

ـ أيها الناس ، إن محمدا كان رسول الله حقا، وأنه لم يمت حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وأن واجب المؤمنين به أن يمعنوا من بعده فى السير على منهجه

أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت

فبموقف سهيل [1] بن عمرو هذا ، وبكلماته الرشيدة وإيمانه العميق درأ فتنة كادت تقتلع الإيمان من قلوب بعض الناس.

لقد تحققت نبوءة الذى يأتيه وحى السماء ﷺ بعد ثمان سنين وتألقت.

ألم يقل لعمر بن الخطاب يوم بدر يوم استأذنه فى نزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى لا يقوم خطيبا بعد ذلك فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ يا عمر ، لعل سهيلاً يقف غدا موقفا يسرك

---

(١) سهيل بن عمرو وقيل: سهل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى العامرى يكنى أبا يزيد أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم أسر يوم بدر كافراً وكان أعلم الشفة فقال عمر: يارسول الله أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً. أسلم وحسن إسلامه واستشهد فى يوم اليرموك وقيل: يوم الصفر. وقيل: بل مات فى طاعون عمواس والله أعلم. (أسد الغابة: ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٣).

ففى هذا اليوم سمع أهل المدينة موقف سهيل بن عمرو بمكة وخطابه الباهر الذى ثبت الإيمان فى الأفئدة.

وتذكر عمر بن الخطاب نبوءة الصادق المصدوق ﷺ فضحك الفاروق طويلاً، لقد جاء الغد الذى انتفع الإسلام بثنيتى سهيل بن عمرو اللتين كان عمر بن الخطاب يريد تهشيمهما واقتلاعهما.

*** خير التابعين:**

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

« **إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس** [1] **لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض - برص - فدعا الله تعالى فأذهبه عنه إلا مثل موضع الدرهم، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم** » (أخرجه مسلم [2] فى صحيحه باب من فضائل أويس القرنى عن عمر).

وقال الصادق المصدوق ﷺ: « **إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض فبرئ، فمروه فليستغفر لكم** » (أخرجه [3] مسلم عن عمر).

وقال أبو القاسم ﷺ لعمر بن الخطاب ذات يوم:

« **ياعمر، يكون فى أمتى فى آخر الناس رجل يقال له: أويس القرنى، فيصيبه بلاء فى جسده فيدعو الله عز وجل فيذهب به إلا لمعة فى جنبه إذا رآها ذكر الله، فإذا لقيته فأقرئه منى السلام وأمره أن يدعو لك، فإنه كريم على ربه بار بوالدته، لو يقسم على الله لأبره يشفع لمثل ربيعة ومضر** » (رواه الخطيب [4]، وابن عساكر عن عمر).

---

(١) أويس بن عامر القرنى بفتح القاف والراء بعدها نون سيد التابعين روى له مسلم من كلامه. (تقريب: ١/ ٨٦).

(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الفضائل، ح/ ٢٢٣) وأبو نعيم فى (الحلية، ٢/ ٧٩) والمشكاة (٦٢٥٧) وابن سعد فى (الطبقات، ٦/ ١١٢) عن عمر.

(٣) صحيح. رواه مسلم فى (فضائل الصحابة، ح/ ٢٢٤) وأحمد فى (المسند، ١/ ٣٨) والحاكم فى (المستدرك، ٣/ ٤٠٤) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٦/ ٣٧٦) وصححه الحاكم. ووافقه الذهبى.

(٤) إسناده ضعيف. أورده تقى الدين الهندى فى (كنز العمال، ح/ ٣٤٠٦٣، ٣٧٨٢٧).

وتحققت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ ففى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما وفد جيران الرحمن للحج وأقبل أهل اليمن جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستقرئ الرفاق فيقول:

ـ هل فيكم أحد من قرن؟

حتى أتى قرن ـ قرن المنازل وهو جبل معروف وهو ميقات لأهل نجد ـ فقال أبو حفص:

ـ من أنتم؟

قالوا:

ـ قرن

فوقع زمام الفاروق أو زمام أويس بن عامر القرنى، فناوله عمر فعرفه بالنعت الذى وصفه الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ فقال أمير المؤمنين عمر:

ـ ما اسمك؟

قال:

ـ أويس

قال الفاروق:

ـ هل كانت لك والدة؟

قال أويس بن عامر القرنى؟

ـ نعم

فتساءل أبو حفص:

ـ هل بك من البياض شىء؟

قال أويس بن عامر:

ـ نعم، دعوت الله فأذهبه عنى إلا موضع كالدرهم من سرتى لأذكر به ربى.

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

ـ استغفر لى

قال أويس بن عامر القرنى:

ـ أنت أحق أن تستغفر لى وأنت صاحب رسول الله ﷺ .

قال الفاروق:

إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له: أويس القرنى، وله والدة، وكان به بياض فدعا ربه فأذهبه إلا موضع الدرهم فى سرته» [(١)]. .

فأستغفر له .

*** رحم الله أباذر** [(٢)]:

لما خرج إمام المجاهدين ﷺ يوم غزوة العسرة [(٣)] كان الحر شديداً فتباطأ جمل أبى ذر الغفارى لما به من الإعياء والتعب، فتخلف جندب بن جنادة عن حبيبه ﷺ فقال الناس:

ـ يا رسول الله ، تخلف أبو ذر الغفارى وأبطأ به بعيره

فقال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ:

ـ «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك به غير ذلك فقد أراحكم الله منه».

---

(١) صحيح . رواه مسلم فى (فضائل الصحابة، ح/ ٢٢٤) وأحمد فى (المسند، ١/ ٣٨) والحاكم فى (المستدرك، ٣/ ٤٠٤) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٦/ ٣٧٦) وصححه الحاكم . ووافقه الذهبى .

(٢) أبو ذر الغفارى الصحابى المشهور اسمه جندب بن جنادة على الأصح . وقيل: بُرَيد بموحدة مصغراً أو مكبراً واختلف فى أبيه . فقيل: جندب أو عشرقة أو عبد الله أو السكن . تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا ومناقبه كثيرة جداً مات سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان . (تقريب: ٢/ ٤٢٠).

(٣) غزوة العسرة: هى غزوة تبوك وكانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف . وعند ابن عائذ: أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر . وتبوك: مكان معروف هو نصف طريق المدينة إلى دمشق . ويقال: بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة . وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: « قيل لعمر: حدثنا عن تبان ساعة العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد فأصابنا العطش» . (فتح البارى: ٧/ ٧١٤).

وانطلق الجيش الإسلامى صوب الشام وأبو ذر الغفارى يحاول أن يستنهض بعيره، فذهبت محاولاته أدراج الرياح، فأخذ جندب بن جنادة الغفارى متاعه وحمله على كتفه وانطلق فى أثر إمام الخير ﷺ فأدرك الهادى البشير ﷺ نازلا فى بعض المنازل.

ونظر أحد الصحابة فرأى رجلا يمشى وحده على مرمى البصر فقال:

ـ يا رسول الله.، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده.

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ **«كن أبا ذر»**.

ثم قدم جندب بن جنادة فتأمله أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا:

ـ يا رسول الله ، هو والله أبو ذر.

فقال السراج المنير ﷺ:

ـ **«رحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»**.

وفى عهد الخليفة الثالث اشتكى أبو ذر الغفارى، واشتد به الألم فراحت امرأته تسهر عليه وتمرضه، ولكن حلت الساعة الأليمة، وأخذ أبو ذر يعانى سكرات الموت فرأى امرأته تبكى فسألها:

ـ ما يبكيك؟:

قالت:

ـ ألا أبكى وأنت تموت بفلاة ـ صحراء ـ من الأرض ولا يد لى للقيام بدفنك، وليس عندى ثوب أكفنك فيه؟

فقرأ جندب بن جنادة قول الحق جل وعلا: **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾** [سورة النساء الآية: ٧٨].

ثم قال لامرأته:

ـ أبشرى فإن خليلى ﷺ وعدنى أن تشهد موتى عصابة من المؤمنين فأبصرى الطريق.

فقامت زوجة أبى ذر ثم مشت خطوتين ثم قالت :

ـ أنى وقد ذهب الحجاج؟

فقال لها جندب [1] بن جنادة:

ـ اذهبى وتبصرى فلن يخلف الله وعد نبيه ﷺ .

فذهبت إلى كثيب ـ كثيب: الرمال المجتمع ـ فقامت عليه ونظرت، ثم رجعت وهزت رأسها فقال لها أبو ذر الغفارى:

ـ اذهبى وتبصرى .

فذهبت ثم رجعت وهى تقول:

ـ أنى وقد انقطع الحجاج؟

فسكت أبو ذر الغفارى ولكنه لم يقطع الأمل، كان على يقين أن عصابة من المؤمنين سيشهدون موته فقد سمع الصادق المصدوق ﷺ يقول:

ـ «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض فتشهده عصابة من المؤمنين».

ولقد مات كل أولئك النفر ولم يبق إلا أنا، فأنا الذى أموت بفلاة.

ثم إن أبا القاسم ﷺ قال له يوم غزوة تبوك لما أبطأ به بعيره:

ـ «تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك».

وعاد أبو ذر يطلب من امرأته أن تذهب وتنظر الطريق.

فذهبت ثم عادت وهى تكاد تطير من الفرح:

ـ لقد أبصرت أناساً قادمين

فقال أبو ذر الغفارى وقد امتلأت عيناه بالدمع:

ـ الحمد لله، ألم أخبرك أن الله عز وجل لن يخلف وعد نبيه ﷺ ؟

وذهبت امرأة أبى ذر فأشارت إلى ركب قادم فتساءلوا:

(١) جندب بن جنادة: هو أبو ذر الغفارى. وتقدمت ترجمته.

- ما خطبك؟ ما لك يا أمة الله؟

قالت:

- امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه وتدفنونه .

فقالوا:

- من هو؟

قالت امرأة أبى ذر:

- رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا:

- من؟

قالت:

- أبو ذر الغفارى.

فكبر الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وقال:

- أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبى ذر يوم تبوك: « يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده» (1).

فتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ وشهدت عصابة من المؤمنين موت أبى ذر الغفارى بفلاة من الأرض.

*** الفار من الله ورسوله:**

أصابت خيل على بن أبى طالب ابنة حاتم الطائى فى سبايا طىء فقدم بها على خاتم النبيين ﷺ فجعلت فى حظيرة بباب المسجد، فمر بها النبى الأمى العربى المكى القرشى الهاشمى ﷺ فقامت إليه سفانة بنت حاتم وكانت امرأة جزلة فقالت:

- يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد.

---

(1) إسناده صحيح. رواه أحمد فى (المسند، ٥/ ١٥٥) والحاكم (٣/ ٣٤٥) وابن سعد فى (الطبقات ٤/ ١/ ١٧١ - ١٧٢) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٦/ ٤٠١، ٤٠٢) وصححه الحاكم. ووافقه الذهبى.

فتساءل أبو القاسم ﷺ:

-« ومن وافدك؟»

قالت سفانة بنت حاتم الطائى:

- عدى بن حاتم.

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

- «الفار من الله ورسوله؟»

كان عدى بن حاتم نصرانيا يسير فى قومه بالمرباع - الربا - فلما علم بمقدم على وأصحاب رسول الله ﷺ فر إلى الشام ليلحق بأهله وترك أخته سفانة.

ومضى أبو القاسم ﷺ حتى مر ثلاثاً، وفى اليوم الرابع قامت سفانة وقالت:

- يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن منَّ الله عليك.

فقال السراج المنير ﷺ:

- «قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى»

وأقامت سفانة حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة رهط من قومها فيهم ثقة فقالت:

- يا رسول الله ، قدم رهط من قومى فيهم ثقة وبلاغ.

فمن عليها صاحب الخلق العظيم ﷺ وكساها وأعطاها نفقة، فخرجت مع ركب حتى قدمت الشام، فلما رآها أخوها عدى [1] بن حاتم قال:

- ابنة حاتم؟

قالت سفانة بنت حاتم الطائى؟

(١) عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج: بفتح المهملة وسكون المعجمة آخره جيم. الطائى أبو طريف بفتح المهملة وآخره فاء صحابى شهير. وكان ممن ثبت على الإسلام فى الردة وحضر فتوح العراق وحروب علىّ. ومات سنة ثمان وستين. وقيل: ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: وثمانين. (تقريب: ١٦/٢).

ـ القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك؟

قال عدى بن حاتم:

ـ أى أُخية لا تقولى إلا خيراً فوالله ما لى من عذر لقد صنعت ما ذكرت.

ثم تساءل عدى بن حاتم:

ـ ماذا ترين من أمر الرجل ـ يعنى رسول الله ﷺ ؟

قالت سفانة بنت حاتم:

ـ أرى والله أن تلحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبياً فللسبق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت.

فقال عدى بن حاتم:

والله إن هذا الرأى.

يقول عدى بن حاتم:

فخرجت حتى قدمت على محمد المدينة، فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلمت عليه فقال:

ـ «من الرجل؟»

فقلت:

ـ عدى بن حاتم.

فقام محمد وانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها.

فقلت فى نفسى:

ـ والله ما هذا بملك.

ثم مضى بى محمد حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إلىَّ وقال لى:

- «اجلس على هذه»

قلت: بل أنت فاجلس عليها

فقال ﷺ:

- «بل أنت».

فجلست عليها وجلس محمد بالأرض، فقلت فى نفسى:

- **والله ما هذا بأمر ملك.**

ثم قال ﷺ:

- **«إيه يا عدى بن حاتم: ألم تك ركوسيا ؟» الركس: الرجس .**

قلت: بلى.

قال ﷺ:

- **أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع - ربع الغنيمة ؟**

قلت: - بلى.

قال عليه الصلاة والسلام:

- **«فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك؟»** (١)

قلت: أجل والله.

وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما نجهل

ثم قال ﷺ:

- «لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور من أرض بابل قد فتحت عليهم».

---

(١) انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٩٢).

يقول عدى بن حاتم: **فأسلمت.**

وقد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن: قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت. وايم الله لتكونن الثالثة: ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

لقد تنبأ رسول الله ﷺ ولابد أن تتحقق نبوءته (١).

* **فتح الشام:** لما علم أبو القاسم ﷺ بمقدم الأحزاب (٢) ـ كانوا عشرة آلاف مقاتل مجهزين أحسن تجهيز ـ سأل أصحابه:

ـ **«هل نبرز من المدينة أو نكون فيها؟»**

وأسقط فى أيديهم، إنهم أشاروا عليه بالخروج يوم أحد (٣) وأكرهوه عليه فكانت الهزيمة التى منوا بها وتمنى المسلمون لو أن الله عز وجل أوحى إلى حبيبه ﷺ بما يفعله وجحافل قريش والعرب يتقدمون ليطعنوا الإسلام طعنة قاضية.

---

(١) انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤).

(٢) الأحزاب: هى غزوة الخندق وكانت فى شوال سنة أربع ـ من الهجرة ـ قال الحافظ ابن حجر: لها اسمان والأحزاب: جمع حزب أى طائفة. فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمر النبى ﷺ. وكان الذى أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازى منهم أبو معشر. قال: «قال سلمان للنبى ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبى ﷺ بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيبًا للمسلمين فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه وجاء المشركون فيه فحاصروهم». وأما تسميتها الأحزاب: فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم وقد أنزل الله تعالى فى هذه القصة صدر سورة الأحزاب.

وذكر ابن اسحاق بأسانيده: أن عدتهم عشرة آلاف. قال: وكان المسلمون ثلاثة آلاف. وقيل: كان المشركون أربعة آلاف والمسلمون نحو الألف. (فتح البارى: ٧/ ٤٥٤).

(٣) غزوة أحد: «أحد» بضم الهمزة والمهملة جبل معروف بينه وبين المدينة أقل من فرسخ. وهو الذى قال فيه ﷺ: «جبل يحبنا ونحبه» وكانت هذه الواقعة فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور. وقال ابن إسحاق: لإحدى عشرة ليلة خلت منه، وقيل: لسبع ليال. وقيل: لثمان. وقيل: لتسع. وقيل: فى نصفه. وقال مالك: كانت بعد بدر بسنة وفيه تجوز لأن بدرًا كانت فى رمضان باتفاق فهى بعدها بسنة وشهر. وكان المسلمون يومئذ ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف ورجع عبد الله بن سلول فى ثلثمائة من المسلمين فبقى النبى ﷺ فى سبعمائة رجل وتم نصر المسلمين على الكفار فى أول القتال ولكن لما انشغل المسلمون بجمع الغنائم وترك مكانهم وأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين فى الخيل ومزقوهم. وقام المشركون يمثلون بقتلى المسلمين يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون ورموا وجه النبى ﷺ فأدموه وكسروا رباعيته. (فتح البارى: ٧/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) بتصرف.

وكان خروج المسلمين من المدينة للقاء الأحزاب مخاطرة لا تحمد مغبتها، وكان الواجب هو الدفاع عن المدينة، وما كان هذا أمراً سهلا، فدور المدينة ملتصقة بعضها ببعض إلى مسافة طويلة فهى سور منيع، والحدود الشمالية يحرسها حائط جرف منحدر، وبنو قريظة آخر قبيلة يهودية باقية فى المدينة تحرس مؤخرة المدينة فهم ينزلون حصناً منيعاً ينبغى أن يدك قبل أن يستطيع عدو اجتيازه.

وكانت المعضلة المباشرة هى جنوب المدينة المكشوف، والجنوب الشرقى الذى تنطلق فيه الطرق إلى حوائط المدينة، وما أيسر أن يخترق العدو هذا الجزء وأن يتدفق منه إلى المدينة إذا ما شن هجوما شديدا فتنهار فى لحظة كل التحصينات الأخرى.

وفكر الأنصار والمهاجرون وأجهدوا عقولهم لرسم خطة الدفاع عن المدينة فأعيتهم الحيل، فلن يستطيع خمسون فارسا أن يصدوا هجوم ثلاثمائة فارس، ولن يقدر ثلاثة الاف مقاتل ان يوقفوا زحف عشرة آلاف مجهزين أحسن تجهيز.

وأضاء الله ذهن الصحابى الجليل سلمان الفارسى بفكرة أضنت كل العقول فتقدم **أول مهندس فى الإسلام إلى طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ وقال:**

- يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا

اقترح سلمان (١) الفارسى حفر خندق عميق واسع على طول الجهة المفتوحة من المدينة

وكان ذلك شيئا جديدا على العرب فقد اعتادوا أن يبرز رجل لرجل وأن يقاتلوا يدًا ليد، وأما أن يضربوا حول المدينة خندقا فما عرفوا ذلك من قبل

وقد كره بعض المسلمين هذا الرأى وحسبوه ضربا من الجبن، ولكن المبعوث للناس كافة ﷺ قبله فاقتنع المسلمون به.

واستعار المسلمون من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل، وراح المسلمون يعملون فى حفر الخندق فى جد فقد كان عليهم أن ينتهوا من حفره قبل أن

(١) سلمان الفارسى أبو عبد الله. ويقال له: سلمان الخير أصله من أصبهان. وقيل: من رامهرمز. من أول مشاهد الخندق. مات سنة أربع وثلاثين. يقال: بلغ ثلاثمائة سنة. (تقريب: ١/ ٣١٥).

يتقدم إليهم أبو سفيان بن حرب قائد الأحزاب الذين تعاهدوا على استئصال الإسلام والمسلمين

وراح المنافقون يحاولون أن يثبطوا المسلمين عن خاتم النبيين ﷺ وجعلوا يقولون لإخوانهم:

ـ ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ـ أى هم قليل يشبعهم رأس واحد ، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان [1] وأصحابه، دعوا هذا الرجل ـ يعنون النبى عليه الصلاة والسلام ـ فإنه هالك .

وأرسل اليهود إلى المنافقين وقالوا:

ـ ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه؟ فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا، وإنا لنشفق عليكم ، أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا.

وأقبل عبد الله ابن أبى بن سلول رأس المنافقين وأصحابه يعوقون المسلمين ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه وقالوا:

ـ ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يُرْفدنا ـ يعيننا ـ بخير وما عنده خير، وما هو إلا أن يقتلنا ههنا، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا.

وطفق رأس المنافقين وأصحابه يزينون الانطلاق إلى يهود بنى قريظة والدخول معهم فى حصونهم وترك رسول الله ﷺ وأصحابه للأحزاب ليلقوا مصيرهم .

فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا.

وغدا المسلمون يعملون فى حفر الخندق ، وكان سلمان الفارسى رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع فى قوة وعزم ، وإذا بكدية ـ صخرة ـ تشتد عليه، ورأى نبى الرحمة ﷺ وهو يحمل التراب سلمان وقد عجز عن تحطيم الكدية، فنزل إليه وأخذ المعول من يده وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى. صحابى شهيد أسلم عام الفتح. ومات سنة اثنين وثلاثين. وقيل: بعدها. (تقريب: ١/ ٣٦٥).

- «بسم الله»

وضرب ضربة فكسر ثلثها، وبرقت برقة فخرج منها نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف الليل المظلم، فكبر الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ وقال:

- «أعطيت مفاتيح اليمن، إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها أنياب الكلاب».

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر ، فخرج نور من قبل الروم، فكبر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ وقال:

- «أعطيت مفاتيح الشام،والله إنى لأبصر قصورها».

ثم ضرب الثالثة، فقطع بقية الصخرة وبرق برق فكبر المبعوث للناس كافة ﷺ وقال:

- «أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب كلاب من مكانى هذا» (١).

وراح جمع من المنافقين يتبادلون نظرات الاستخفاف والاستهزاء وقال معتب بن قشير معبرا عما يمور فى صدره:

- ألا تعجبون من محمد؟ يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفرق - الخوف - لا تستطيعون أن تبرزوا.

وأقبلت قريش ومن معها تحدوهم الآمال العريضة، فلما رأوا الخندق اربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم، وانهارت قصور الأمانى التى بنوها فى الهواء وقالوا فى غيظ:

- والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

ونقضت بنو قريظة عهد رسول الله ﷺ وحاربت مع الأحزاب ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ١٠).

(١) إسناده صحيح. رواه أحمد فى (المسند، ٤/ ٣٠٣).

جاءت قـريش والأحزاب من فوقهم ، وتحـركت بنو قريظة من أسفل منهم فـصار **المسلمون بين فكي الرحى**، وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم:

ـ كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقـيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ليقضي حاجته ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ١٢).

وجاء نصر الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (سورة الأحزاب الآية:٩).

لقد بعث الله عز وجل نعيم [1] بن مسعود الأشجعي فأسلم وخذل الأحزاب ووقع الخلاف والخذلان بينهم وبين بني قريظة، وأرسل الله تعـالى ريح الصفا في ليالي شديدة البـرد فنقلت بيوتهـم وقطعت أطنابها وكـفأت قـدورهم على أفـواهها، وصـارت تلقى الرجال على أمتـعتهم وأطفأت نيرانهـم ، وكانت الريح صفراء فمـلأت عيونهم ودامت عليهم فرحلوا إلى بلادهم

وتحققت نبوءة الصـادق المصدوق ﷺ ففتح اليمن والشام وفـارس في عهد الخلفاء الراشدين

*** الهجرة إلى الحبشة:**

لما بلغ عدد المسلمين أربعين، وجهر خاتم الأنبياء ﷺ بدعوته وثبت كل قبيلة على من فـيها من المـسلمين، فجـعلوا يحبـسونهم ويعـذبونهم بالضرب والجـوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتـد الحر من استضعفوا منهـم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، وكان المشركون يضربون أتباع رسول الله ﷺ ويجـيعونهم ويعطشونهم حتى ما يـقدرون على أن يستووا جلوسا من شدة الضرب الذي نزل بهم ولما رأى نبي الرحمة ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وهو فيـه من العافية بمكانه من الله عز وجل ومن عـمه أبي طالب، وأنه لا يقدر

(١) نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الأشجعي أبو سلمة. أسلم في وقعة الخندق وهو الذي أوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق وخذل بعضهم عن بعض وأرسل الله عليهم الريح والبرد والجنود وهم الملائكة فصرف كيد الكفار عن النبي ﷺ والمسلمين. مات نعيم في زمن خلافة عثمان. وقيل: بل قتل يوم الجمل. (أسد الغابة: ٥/ ٣٣ ـ ٣٤).

أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا - النجاشي - لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق »

فقال عثمان بن عفان(1) وعثمان بن مظعون (2) وعبد الله بن مسعود(3):

- ومتى نرجع إلى مكة يا نبى الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ:

- «حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»

وخرج فى رجب سنة خمس من البعثة أحد عشر رجلا وأربع نسوة، فلما انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة وهم:

عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة (4) بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة (5) بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير (6)،

---

(1) عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة. استشهد فى ذى الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين. وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة وعمره ثمانون وقيل: أكثر. وقيل: أقل. (تقريب: ٢/ ١٢).

(2) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى يكنى أبا السائب أمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح وهى أم السائب وعبد الله ابنى مظعون أسلم أوَّل الإسلام. قال ابن إسحاق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة المسلمين. وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين سنة اثنين من الهجرة وشهد بدرًا وهو أول من دفن بالبقيع. (أسد الغابة: ٣/ ٣٨٥).

(3) عبد الله بن مسعود بن غافل: بمعجمة وفاء ابن حبيب الهُذَلى أبو عبد الرحمن. من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة. مناقبه جمّة وأمَّره عمر على الكوفة. ومات سنة اثنتين وثلاثين أو فى التى بعدها بالمدينة. (تقريب: ١/ ٤٥٠).

(4) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل يوم اليمامة شهيدًا وكانت معه امرأته بأرض الحبشة سهلة بنت سهيل. وكان من فضلاء الصحابة جمع الله له الشرف والفضل وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. ولما هاجر إلى الحبشة عاد منها إلى مكة فأقام مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة. (أسد الغابة: ٥/ ١٧٠).

(5) سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية من بنى عامر بن لؤى. وهى امرأة أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهاجرت معه إلى الحبشة وهى من السابقين إلى الإسلام وولدت بالحبشة محمد بن أبى حذيفة. (أسد الغابة: ٥/ ٤٨٢).

(6) مصعب بن عمير أحد السابقين إلى الإسلام. أسلم وهاجر وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وعبد الرحمن بن عوف[١] ، وأبو سلمة بن عبد الأسد[٢]، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة[٣]، وامرأته ليلى [٤] بنت أبى حثمة، وأبو سبرة بن أبى رهم[٥]، وحاطب - أبو حاطب - بن عمرو[٦] ،وسهيل بن بيضاء[٧]، وعبد الله بن مسعود.

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد نزلوا أرض الحبشة خير دار وخير جار فقد كان النجاشى ملكا لا يظلم أحد عنده فوجد أصحاب المصطفى المختار ﷺ فى الحبشة أمنا فعبدوا الله عز وجل آمنين مطمئنين على دينهم.

ولما علم مهاجرو الحبشة أن عمر بن الخطاب قد أسلم وأن المسلمين صاروا يصلون ويقرأون القرآن فى البيت الحرام مطمئنين آمنين رجعوا إلى مكة.

ولكن قريشا نصبت لهم المصائد والشراك فلم يفلت منهم إلا من كان في حمى

---

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشى الزهرى. أحد العشرة أسلم قديماً ومناقبه شهيرة ومات سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: غير ذلك. (تقريب: ١/ ٤٩٤).

(٢) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى اسمه عبد الله بن عبد الأسد أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فهو ابن عمة النبى ﷺ كان قديم الإسلام. هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وأحدًا وجرح بأحد جرحاً اندمل ثم انتقض فمات فى جمادي الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. (أسد الغابة: ٥/ ٢١٨).

(٣) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث كنيته أبو عبد الله وهو حليف الخطاب بن نفيل العدوى والد عمر بن الخطاب أسلم قديماً بمكة وهاجر إلى الحبشة هو وامرأته وعاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة أيضًا ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة. قيل: توفى بعد قتل عثمان رضى الله عنهما بأيام. (أسد الغابة: ٣/ ٣٨٠).

(٤) ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله القرشية العدوية امرأة عامر بن ربيعة وهى أم ابنه عبد الله بن عامر وبه كانت تكنى وكانت من المهاجرات الأول. هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وصلت القبلتين. (أسد الغابة: ٥/ ٥٤١).

(٥) أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدون بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها. وإنما اختلفوا فى هجرته إلى الحبشة. توفى أبو سبرة فى خلافة عثمان رضى الله عنهما. (أسد الغابة: ٥/ ٢٠٧).

(٦) أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود القرشى العامرى أخو سهيل بن عمرو. هاجر إلى الحبشة ويقال: هو أول من قدمها. (أسد الغابة: ٥/ ١٦٦).

(٧) سهيل بن بيضاء وهو قرشى من بنى فهر قديم الإسلام هاجر إلى أرض الحبشة ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة فجمع الهجرتين جميعاً ثم شهد بدرًا وغيرها ومات بالمدينة فى حياة النبى ﷺ سنة تسع. (أسد الغابة: ٢/ ٣٧٠).

منيعة أو فاز بالجوار.

وأنزلت قريش بمهاجرى الحبشة الهول والعذاب، فجاءوا المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ما بين مضروب ومشجوج فيتأثر لهم ويقول:

- «اصبروا»

ونفد صبر أصحاب رسول الله ﷺ فجاءه جماعة منهم: عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وعثمان بن عفان فقالوا:

- يا رسول الله، كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا، فائذن لنا فى قتال هؤلاء.

فقال حبيب الرحمن ﷺ:

- «كفوا أيديكم عنهم» (١).

واشتدت عداوة قريش للنبى الخاتم ﷺ وأصحابه وأنزلوا بهم أشد العذاب، فجاءه عثمان بن عفان ومصعب بن عمير والزبير بن العوام يستأذنونه فى الهجرة إلى الحبشة، فأذن لهم، فقالوا:

- يا رسول الله، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا.

فقال الهادى البشير ﷺ:

- «أنتم مهاجرون إلى الله وإلىَّ، لكم هاتان الهجرتان جميعا» (٢).

فقالوا:

- فحسبنا يا رسول الله.

وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثلاثة وثمانون - سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارًا أو ولدوا بالحبشة - فيهم أبناء وأخوة ألد أعداء رسول الله كأبى سفيان بن حرب

---

(١) صحيح. رواه أحمد فى (المسند، ٥/ ٣٢٣) والحاكم (٣/ ١٠٩) وصححه. ووافقه الذهبى. وصححه ابن حبان (ح/ ١٠٧، ٢٥٤٧) والصحيحة (ح/ ١٤٧٠).

(٢) صحيح. أخرجه ابن سعد فى (الطبقات، ١/١/ ١٣٨).

والنضر بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة ،وسهيل بن عمرو ، والعاص بن وائل، . . . . و . . . . .

ووجد مهاجرو الحبشة الأمن والأمان والاستقرار وعبدوا الله عز وجل وأصابوا دار قرار فحمدوا جوار النجاشى الذى أحسن صحبتهم.

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو[1] بن العاص، وعبد الله بن أبى أمية ومعهما هدايا إلى النجاشى وإلى أعيان أصحابه ، فسارا حتى وصلا الحبشة، فحملا إلى النجاشى هديته وإلى أساقفته هداياهم وقالا لهم:

- إن ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم

فقد خاف عمرو وعبد الله إن سمع النجاشى كلام أصحاب رسول الله ﷺ أن لا يسلمهم.

فوعد القساوسة عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى أمية المساعدة على ما يريدان

وحضر عمرو وعبد الله عند النجاشى فقالا:

- إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك عشائرهم وآباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم،فإنهم أعلى بهم عينا، فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك.

فقال أمراء وقساوسة النجاشى:

- نعم أيها الملك ادفعهم إليهما فإن قومهم أعلى بهم عينا.

فغضب النجاشى وقال:

(١) عمرو بن العاص بن وائل البيهقى الصحابى المشهور أسلم عام الحديبية وهو الذى فتح مصر فى عهد عمر ابن الخطاب. مات سنة نيف وأربعين. وقيل: بعد الخمسين. (تقريب: ٢/ ٧٢).

ـ لا لعمــر الله ، لا أردهم عليهم حتى أدعوهــم فأكلمهم وأنظر ما أمــرهم، قوم لجأوا إلى بلادى واختــاروا جوارى على جــوار غيرى، فـإن كانوا كمــا يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعم عينا.

فلما دخل مهاجرو الحبشة على النجاشى سلموا ولم يسجدوا فقال:

ـ أيها الرهط ، ألا تحدثونى ما لكم لا تحيونى كما يحيني من أتانا من قومكم؟

فتقدم جعفر بن أبى طالب [1] أصحابه وقال لهم:

ـ أنا خطيبكم اليوم

ثم قال للنجاشى :

ـ إنا لا نسجد إلا لله عز وجل أيه الملك، أما تحيتنا فهى السلام تحية أهل الجنة.

فقال النجاشى :

ـ فأخبرنى ماذا تقولون فى عيسى؟ وما دينكم، أنصارى أنتم؟

قال جعفر بن أبى طالب:

ـ لا

فقال النجاشى:

ـ أفيهود أنتم؟

قال جعفر:

ـ لا

فتساءل النجاشى:

ـ فعلى دين قومكم؟

قال جعفر:

---

(١) جعفر بن أبى طالب الهاشمى. ذو الجناحين الصحابى الجليل ابن عم رسول الله ﷺ. استشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة. (تقريب: ١/ ١٣١).

- لا

قال ملك الحبشة:

- فما دينكم؟

قال جعفر بن أبى طالب:

- الإسلام

فعاد النجاشى يتساءل:

- وما الإسلام؟

قال جعفر :

- نعبد الله، لا نشرك به شيئا.

فقال النجاشى :

- من جاءكم بهذا؟

قال جعفر بن أبى طالب:

- جاء به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمر بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهى أن نعبد الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فصدقناه وعرفنا كلام الله، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى ﷺ وكذبوه وأرادوا قتله وعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشى :

- هل معك مما جاء به صاحبكم - يعنى رسول الله ﷺ - من الله من شىء؟

قال جعفر بن أبى طالب:

- نعم.

قال النجاشي: فاقرأه علي.

فقال جعفر بن أبي طالب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (سورة مريم الآية: ١ـ ١٦).

فبكى النجاشي وقال لجعفر:

- زدنا من هذا الكلام الطيب

فقال جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنيٌّ عن الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت الآية: ١ـ٩].

فاضت عينا النجاشي بالدمع وقال:

ـ إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ـ المشكاة: الكوة في الحائط غير النافذة .

فقال الأسقافة:

ـ والله إن هذه الكلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات يسوع المسيح.

فلما خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من عند النجاشي قال عمرو:

ـ والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم.

فقال عبد الله بن أبي أمية وكان أتقى الرجلين اللذين بعثا إلى النجاشي:

ـ لا تفعل يا أبا عبد الله فإن لهم رحما، وإن خالفونا.

فقال عمرو:

ـ والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

ثم غدا عمرو بن العاص على النجاشي من الغد وقال له:

ـ أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .

فأرسل النجاشي إلى مهاجري الحبشة ليسألهم عن عيسى بن مريم

فلما دخلوا عليه قال لهم:

ـ ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟

قال جعفر بن أبي طالب:

ـ نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال:

ـ والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

فتناخرت ـ المنخر: ثقب الأنف ، والنخير: صوت الأنف ـ بطارقته حوله حيث قال ما قال .

وقال النجاشي لأساقفته وبطارقته في غير مبالاة:

ـ وإن نخرتم والله.

ثم نظر النجاشي إلى مهاجري الحبشة وأردف:

ـ اذهبوا فأنتم شيوم ـ الشيوم :الآمنون، وهي لفظة حبشية غير مشتقة أو تكون مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته ، لأن المؤمن مغمد عنه السيف ـ بأرض، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن دبرا ـ الدبر: الجبل بلسان الحبشة ـ من ذهب وأني أذيت رجلا منكم.

ثم نظرا النجاشي إلى أساقفته وبطارقته وقال:

ـ ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها.

فرد الأساقفة والبطارقةهدايا عمرو وعبد الله **ورجعا إلى مكة مقبوحين مخذولين .**

وتحققت نبوءة الذي يأتيه الوحي من السماء ﷺ فقد وجدوا في الحبشة ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ووجدوا الأمن والأمان وعبدوا الله وحده آمنين مطمئنين.

وأسلم النجاشي وصلى عليه نبي الوفاء ﷺ صلاة الغائب وكان يرى نوراً على قبره

* **نهى نبي الرحمة ﷺ عن قتل...** لما عزمت قريش للخروج يوم بدر (1) أجمع رجال من بني هاشم على القعود: العباس (2) بن عبد المطلب،وأبو البختري (3) بن هشام، ولكن أبا جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث سخروا منهم ، وأثاروا

---

(1) بدر: هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها. ويقال: بدر بن الحارث ويقال: بدر اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها (فتح الباري: ٧/ ٣٣٣).

(2) العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ مشهور. مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها وهو ابن ثمان وثمانين. (تقريب: ١/ ٣٩٧).

(3) أبو البختري: المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار.

فى البعض النخوة والأحقاد فخرج كثير منهم **وهم كارهون**، وقد خرج العباس بن عبد المطلب وأبو البخترى وهما يمنيان النفس بألا يكون قتال بين الفريقين فخرجا كرها ولولا خشيتهما من الناس ما تجهزا وما أجمعا المسير .

ورأى رسول الله ﷺ ما يجرى فى مكة وهو فى المدينة فقال لأصحابة:

ـ «إنكم قد عرفتم أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا إكراها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، ومن لقى أبا البخترى فلا يقتله»

والتقى الجمعان عند بذر .

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ، ولقى الصحابى الجليل المجذر [(١)] بن زياد البلوى حليف الأنصار أبا البخترى بن هشام فقال له:

ـ إن رسول الله نهانا عن قتلك ـ لم ينس نبى الوفاء ﷺ يوم حصار الشعب وقد جاء حكيم [(٢)] بن حزام بطعام لعمته خديجة [(٣)] بنت خويلد فاعترضه أبو جهل بن هشام فضرب أبو البخترى أبا جهل بلحى بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا ثم دفع أبو البخترى البعير نحو شعب أبى طالب حيث كان رسول الله ﷺ وبنو هاشم وبنو عبد المطلب محاصرين وقد عضهم الجوع والعطش، كما قام أبو البخترى بدور كبير هو وزهير [(٤)] بن أبى أمية وهشام [(٥)] بن عمرو والمطعم بن عدى وزمعة بن الأسود بشق الصحيفة الظالمة القاطعة .

---

(١) انظر: الترجمة السابقة.

(٢) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى الأسدى أبو خالد المكى ابن أخى خديجة أم المؤمنين. أسلم يوم الفتح وصحب وله أربع وسبعون سنة ثم عاش إلى سنة أربع وخمسين أو بعدها وكان عالمًا بالنسب. (تقريب: ١/ ١٩٤).

(٣) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبى ﷺ أول امراة تزوجها وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة. وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة. توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: أربع. وقيل: خمس. (أسد الغابة: ٥/ ٤٣٧).

(٤) زهير بن أبى أمية مذكور فى المؤلفة قلوبهم قاله أبو عمرو وقال: فيه نظر لا أعرفه وقيل: هو زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أخو أم سلمة وابن عمة رسول الله ﷺ. وله فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش وبنو المطلب. (أسد الغابة: ١/ ٢٠٦).

(٥) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة أخو نصر بن مالك. كان من المؤلفة قلوبهم أعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين دون المائة من الإبل. وكان فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب فى مقاطعتهم واعتزالهم. (أسد الغابة: ٥/ ٦٤).

وكان مع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة يقال له: جنادة بن مليحة فقال أبو البخترى:

- وزميلى؟

قال المجذر بن زياد:

- والله إنا ما بتاركى زميلك، ما نهانا رسول الله إلا عنك وحدك.

فقال أبو البخترى:

- إذا والله لأموتن أنا وهو جميعا، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة .

فنازله المجذر بن زياد وارتجز أبو البخترى:

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

ثم اقتتلا فقتله المجذر بن زياد.

ولما هزم القوى العزيز المشركين جاء المجذر بن زياد إلى نبى الوفاء ﷺ يعتذر عن قتل أبى البخترى بعد أن نهى النبى الخاتم ﷺ عن قتله فقص عليه ما كان بينه وبين أبى البخترى بن هشام ثم قال :

- والذى بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته

فبان الأسى فى وجه نور الظلمة ﷺ فقد كان من صفاته الوفاء لكل من قدم إليه حسنة أو كانت له يد وإن كان على غير دينه.

ويقول الصحابى الجليل أبو اليسر (1):

نظرت إلى العباس يوم بدر وهو واقف كأنه صنم وعيناه تذرفان فقلت:

- جزاك الله من ذى رحم شرا، أتقاتل ابن أخيك مع عدوه؟ ما فعل رسول الله

(1) أبو اليسر: كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن تميم بن شداد الأنصارى السلمى. أمه نسيبة بنت الأزهر ابن مرى من بنى سلمة. شهد العقبة وبدرًا وكان عظيم الغناء يوم بدر وغيره وهو الذى أسر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه. وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ثم شهد صفين مع على بن أبى طالب رضى الله عنه. توفى أبو اليسر بالمدينة سنة خمس وخمسين. (أسد الغابة: ٥/ ٣٢٣).

ﷺ؟

قال العباس بن عبد المطلب :

ـ ما فعل، أقتل؟

قال أبو اليسر :

ـ الله أعز له وأنصر من ذلك.

فتساءل العباس بن عبد المطلب :

ـ ما تريد لى؟

قال أبو اليسر :

ـ الأسر، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك.

قال العباس بن عبد المطلب :

ـ ليست بأول صلته.

يقول أبو اليسر : **فأسرته.**

وأسلم العباس يوم بدر.

*** رؤيا زوج العباس بن عبد المطلب :**

جاءت لبابة الكبرى امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فقالت :

ـ يا رسول الله ، رأيت فيما يرى النائم كأنه عضوا من أعضائك فى بيتى

فتبسم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ وقال :

ـ « **هو خير إن شاء الله تلد فاطمة غلاما ترضعينه بلبن [1] قثم » ابن العباس** ـ (رواه الدولابى [2] عن قابوس بن المخارق عن ابن ماجه عن لبابة الكبرى).

---

(١) قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمى. صحابى صغير مات سنة سبع وخمسين (تقريب: ٢/ ١٢٣).

(٢) إسناده ضعيف. رواه ابن ماجة (ح/ ٣٩٢٣) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٣٣٩، ٣٤٠) والحاكم (٣/ ١٧٦) وضعفه الشيخ الألبانى. انظر: (الضعيفة، ح/ ٨٥٠).

وتحققت نبوءة سيد الأولين والآخرين ﷺ وحملت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .. ثم وضعت مولود أسماه حبيب الرحمن ﷺ الحسن فأخذته لبابة [1] الكبرى فأرضعته بلبن قثم ابنها.

*** الطاعون بالشام:**

جاء جبريل عليه السلام النبى الخاتم ﷺ فقال:

- فناء أمتك بالطعن أو الطاعون.

فقال حبيب الرحمن ﷺ:

-« فالبطاعون »

ثم قال الرحمة المهداة ﷺ :

- «**اللهم اجعل فناء أمتى فى سبيلك بالطعن والطاعون**» (أخرجه [2] الإمام أحمد ٤ : ٣٩٥، ٤١٣).

وكما أخبر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ **فقد وقع طاعون** [3] **عمواس بالشام** سنة ثمان عشرة من الهجرة فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

وقع بالناس يوم جسر عموسة فقام عمرو بن العاص فقال:

يا أيها الناس إنما هذا الوجه رجس فتنحوا منه.

فقال شرحبيل [4] بن حسنة وكان على جند الأردن وخراجها:

يا أيها الناس: إنى سمعت قول صاحبكم وإنى والله لقد أسلمت وصليت وإن عمر

(١) لبابة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهزم بن دويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية أم الفضل وهى زوج العباس بن عبد المطلب وهى لبابة الكبرى. (أسد الغابة: ٥/ ٥٣٩).

(٢) إسناده حسن. رواه أحمد فى (المسند، ٣/ ٤٣٧) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٦/ ٣٨٤) والارواء (٦/ ٧١).

(٣) طاعون عمواس: كان سنة ثمان عشرة من هجرة أبى القاسم ﷺ.

(٤) شرحبيل بن حسنة وهى أمه واسم أبيه عبد الله بن المطاع بن ملازم. يكنى أبا عبد الله. قال أبو عمر: كان شرحبيل من مهاجرة الحبشة ومن وجوه قريش. وسيره أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام ولم يزل واليًا على بعض نواحى الشام لعمر إلى أن هلك فى طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وله سبع وستون سنة. (أسد الغابة: ٢/ ٣٩١).

لأفضل من بعير أهله.

وفي رواية أضل من حمار أهله يعني أنه كان ما زال مشركا، وإنما هو بلاء أنزله الله فاصبروا

فقام معاذ بن جبل فقال:

ـ يا أيها الناس ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **إنكم ستقدمون الشام فتنزلون أرضا يقال لها: عموسة يخرج بكم فيها خُرْجانٌ لها ذباب كذباب الدَّمَّل يستشهد الله به أنفسكم وذرياتكم وبركى به أموالكم»** (رواه الإمام أحمد [1]).

اللهم إن كنت تعلم أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ فارزق معاذ [2] وآل معاذ من ذلك الحظ الأوفى ولا تعافه منه.

قيل:

فطعن في السبابة، فجعل ينظر إليهما ويقول:

اللهم بارك فيها فإنك إذا باركت في الصغير كان كبيرا.

ثم طعن ابنه، فدخل عليه فقال ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [سورة البقرة الآية: ١٤٧].

قال: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة الصافات الآية : ١٠٢].

وقيل:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قدم الشام ، فلما كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار ، فجمعهم واستشارهم فاختلفوا عليه، فمنهم القائل:

خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا.

ومنهم القائل:

(١، ٢) إسناده حسن. رواه أحمد في (المسند، ٤/ ١٩٥، ١٩٦) وابن عساكر في (التاريخ، ٦/ ٣٠٣) والبيهقي في (دلائل النبوة، ٦/ ٣٨٥).

إنه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه.

فقال لهم الفاروق :

- قوموا.

ثم أحضروا مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود

فنادى عمر فى الناس: إنى مصبح على ظهر.

فتساءل أبو عبيدة :

- أفرارا من قدر الله ؟

فقال عمر:

- نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة بقدر الله؟

فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال:

-إن النبى ﷺ قال:« إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه»

فانصرف أمير المؤمنين عمر إلى المدينة (أخرجه البخارى [(١)] ومسلم).

وكان عدة من مات فى طاعون عمواس الذى تنبأ به خاتم النبيين ﷺ خمسة وعشرين ألفا .

*** خطيب الأنصار وخطيب رسول الله ﷺ**

كان ثابت بن قيس بن شماس[(٢)] خطيبا بليغا مشهودا له بالفصاحة وحسن البيان

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الطب، ح/ ٥٧٣٠) فتح البارى (١٠/ ١٩٠) ومسلم فى (السلام، ح/ ٩٨، ١٠٠) وأبو داود (ح/ ٣١٠٣) ومالك (٨٩٧) وابن عبد البر فى (التمهيد، ٦/ ٢١٠، ١٠/ ٦٥).

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وأمه امرأة من طيء يكنى أبا محمد. وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار وخطيب النبى ﷺ شهد أحدًا وما بعدها وقتل يوم اليمامة (أسد الغابة: ١/ ٢٢٩).

فاتخذه الأنصار خطيبا لهم، ثم صار خطيب رسول الله ﷺ فإذا قدم وفد من وفود العرب وقام خطيبهم فألقى خطبة قام ثابت بن قيس وألقى خطبة جزلة بليغة تثير إعجاب الجميع فيقولون:

- **خطيبكم أخطب من خطيبنا.**

ولما نزل قول الحق جل وعلا: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾** [سورة الحجرات الآية: ٢

افتقد صاحب الخلق العظيم ﷺ خطيبه ثابت بن قيس فتساءل:

- **«من يعلم لى علمه؟»**

فقال رجل من الأنصار:

- أنا يا رسول الله.

فذهب الرجل إلى ثابت بن قيس فى منزله فوجده جالسا منكسا رأسه فقال الأنصارى: ما لك يا أبا محمد؟

قال ثابت بن قيس:

- شر، كنت أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عملى - بطل ثوابى - وأنا من أهل النار.

فرجع الرجل إلى الرحمة المهداة ﷺ فأخبره

وعاد الأنصارى إلى ثابت بن قيس **ببشارة عظيمة** فقال له:

- قال لى رسول الله ﷺ:

- **«اذهب فقل له: لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة»** [١].

وذات يوم نزل قوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾** [سورة لقمان الآية: ١٨].

فأغلق خطيب رسول الله ﷺ عليه باب داره وراح يبكى، فافتقده نبى الرحمة ﷺ فأرسل إليه يسأل عن سبب ذلك فقال:

---

(١) أورده ابن كثير فى (التفسير، ٧/ ٢٤٦).

- يا رسول الله ، إنى لـيعجـبنى أن يكون ثوبى جديدا، ورأسى دهينا، وشـراك نعلى جديدا.

فقال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

- «ذاك جمال ، والله تعالى جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس» (رواه الإمام [1] أحمد).

وقال عليه الصلاة والسلام:

- «لست منهم - لست من المتكبـرين المختـالين - بل تعيش حـميدًا وتقـتل شهـيدا، تدخل الجنة» [2].

وتحقـقت نبوءة الذى لا ينطق عن الهـوى ﷺ ، فلما انتقـل النبى الخاتم ﷺ إلى الرفيق الأعلى وبايع المسلمون أبا بكر ، ارتدت كثير من القبائل وادعى النبوة : مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأسدى ، والأسود العنسى، وسجاح .

فجيش الخليفة الأول الجيوش لمحاربة المرتدين ومدعى النبوة

وخرج ثابت بن قيس بن شماس مع خالد بن الـوليد لمحاربة مسيلمة الكذاب وبنى حنيفة يوم اليـمامة [3] وكان خطيب الأنصـار وخطيب السراج المنيـر ﷺ يحمل راية

---

(١) صحيح. رواه أحمد فى (المسند، ٤/ ١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ٢٤١) ومسلم فى (الإيمان، ح/ ١٤٧) والحاكم (١/ ٢٦) وصححه. ووافقه الذهبى.

(٢) إسناده صحيح. رواه البيهقى فى (دلائل النبوة، ٦/ ٣٥٦) وذكره القرطبى فى (التفسير، ١٦/ ٣٠٥) والسيوطى فى (الدر المنثور، ٦/ ٨٥).

(٣) اليمامة : ادعى مسيلمة الكذاب النبوة وشهد له الرجال بن عنفوة بأن رسول الله ﷺأشركه فى الأمر معه فاتبعه بنو حنيفة وغيرهم ممن باليمامة وكتب إلى رسول الله ﷺ مع عبادة بن الحارث أحد بنى عامر بن حنيفة وهو ابن النواحة الذى قتله عبد الله ين مسعود بالكوفة وبلغه أنه وجماعة معه يؤمنون لذلك كتب مسلمة : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد:
فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً لا ينصفون والسلام عليك وكتب عمرو بن الجاردو الحنفى. فكتب إليه رسول الله ﷺ :
«بسم الله الرحمن الرحيم .من محمد النبى إلى مسيلمة الكذاب أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهوى » وكتب أبى بن كعب.
فلما توفى رسول الله ﷺواستخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردة من أهل نجد وما والاه فى أشهر يسيرة بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وأمره بمحاربة الكذاب فقتله الله. (فتوح البلدان :ص/ ١١٢) بتصرف.

الأنصار

وسقط ثابت بن قيس شهيدا كما تنبأ رسول الله ﷺ وصعدت روحه الطاهرة إلى عليين.

*** كربلاء:**

كما تنبأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن حفيده الحسن بن على سيد وأنه سيصلح بين فئتين عظيمتين فصالح الحسن معاوية وحقن دماء المسلمين، فقد تنبأ الصادق المصدوق ﷺ بمقتل ريحانته الحسين بن على فى كربلاء.

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

- «**إن ابنى هذا - يعنى الحسين - يقتل بأرض من أراضى العراق يقال لها: كربلاء، فمن شهد ذلك منهم فلينصره**» (رواه البغوى [1]، وابن السكن، والباوردى، وابن مندة، وابن عساكر عن أنس بن الحارث بن منبه).

وقال حبيب الرحمن ﷺ:

- «**يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجرى**» (رواه الطبرانى [2] فى المعجم الكبير، وابن عساكر عن أم المؤمنين أم سلمة).

وتحققت نبوءة كاشف الظلمة ﷺ فقد أرسل أهل الكوفة إلى الحسين بن على ليسير إليهم فى سنة ستين من الهجرة فبعث مسلم بن عقيل بن أبى طالب إلى الكوفة وكتب معه كتابا إلى أهل العراق أنه قد عزم على أن يُلبِّى دعوة أهل العراق.

ولما تسامع أهل الكوفة بقدوم حفيد رسول الله ﷺ اجتمعوا بمسلم بن عقيل وبايعه اثنا عشر ألفا، ولما بلغوا ثمانية عشرة ألفا كتب مسلم بن عقيل إلى ريحانة رسول الله ﷺ ليقدم على الكوفة فقد تمهدت له الأمور والبيعة.

وطار خبر مبايعة أهل الكوفة حفيد رسول الله ﷺ إلى أمير الكوفة عبيد الله بن

---

(١) أورده السيوطى فى (جمع الجوامع: ٦٠٦٣، ٤٠٦٤) ورواه ابن عساكر فى التاريخ، ٤/٣٢٨، ٣٤١) وابن كثير فى البداية والنهاية، ٨/١٩٩) .

(٢) موضوع. أخرجه الطبرانى(٣/ ١١٠) وأورده ابن الجوزى فى (الموضوعات ١/ ٤٠٨).

زياد فخرج بأصحابه لمحاربة من بايع الحسين بن على فتفرق الناس من حول مسلم بن عقيل ولم يبق حوله أحد فكتب إلى حفيد رسول الله ﷺ يطلب منه عدم الحضور إلى الكوفة ولكن الكتاب **لم يصل الحسين بن على** فقد خرج من مكة لثمان مضين من ذى الحجة يوم الثلاثاء - يوم التروية .

ولما بلغ الحسين بن على الحاجز من بطون الرمة بعث بكتاب إلى أهل الكوفة ولكن **قبل أن يأتيه رد أهل الكوفة علم الحسين أن أهل العراق قد خذلوه وتفرق الناس عنه** فسأل حفيد رسول الله ﷺ:

- ما اسم هذه الأرض؟

قالوا:

- كربلاء.

فقال ريحانة رسول الله ﷺ وقد تذكر نبوءة جده ﷺ:

- كربٌ وبلاءٌ.

وأقبلت جنود ابن زياد فحاصرت الحسين وأهل بيته فدارت معركة بين الآلاف والعشرات ، فجعل أهل بيته يتقدمون رجلا رجلا . . حتى بقى الحسين وحده فنادى شهر بن ذى الجوشن:

- ويحكم ماذا تنظرون؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم.

فحمل عليه سنان بن أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع ريحانة رسول الله ﷺ ثم ذبح حفيد رسول الله ﷺ وحمل رأسه إلى يزيد [(١)] بن معاوية.

وتحققت نبوءة المبعوث رحمة للعالمين ﷺ بعد نحو ستين سنة من الهجرة.

*** تابعى يتكلم بعد الموت:**

تقول أم المؤمنين عائشة:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى أبو خالد ولى الخلافة سنة ستين. ومات سنة أربع وستين ولم يكمل الأربعين وليس بأهل أن يروى عنه . من الثالثة . (تقريب: ٢/ ٣٧١).

«من أمتى من يتكلم بعد الموت» (رواه البيهقى [١] فى الدلائل، وأبو نعيم فى الحلية)

قال ربعى [٢] بن حراش:

لما رجعت إلى أهلى فقيل لى:

إن أخاك قد مات.

فجئت فوجدت أخى مسجى عليه ثوب، فأنا عند رأسه أستغفر له وأترحم عليه، إذا كشف الثوب عن وجهه فقال:

- السلام عليك.

فقلت:

- وعليك.

فقلنا:

سبحان الله أبعد الموت؟

قال:

- بعد الموت.

إنى قدمت على الله عز وجل بعدكم فتلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان وكسانى ثيابا من سندس وإستبرق، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون، ولا تتكلوا، إنى استأذنت ربى عز وجل أن أخبركم وأبشركم، فاحملونى إلى رسول الله ﷺ، فقد عهد إلىّ أن لا أبرح حتى ألقاه.

ثم طفى كما هو (رواه البيهقى [٣] فى الدلائل).

وقيل:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) ربعى بن حراش: بكسر أوله وسكون الموحدة ابن إبراهيم بن مِقْسَمْ الأسدى أبو الحسن البصرى. أخو إسماعيل بن عُلَيَّة وهو أصغر منه ثقة صالح من التاسعة. مات سنة سبع وتسعين ومائة (تقريب: ١/ ٢٤٣).

(٣) إسناده ضعيف. أخرجه البيهقى فى (النبوة، ٦/ ٤٥٥).

قال ربعى بن حراش أخو بنى عبس:

توفى أخى وكان أصومنا في اليوم الحار وأقومنا فى الليلة الباردة .

فجئته وخرجت فى شراء كفنه ، فرجعت إليه ـ فى البيت ـ وقد كشف الثوب عن وجهه وقال:

ـ السلام عليكم .

فقلنا:

ـ أبعد الموت؟

قال:

ـ نعم، إنى قدمت على ربى بعدكم فتلقانى بروح وريحان ورب غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس وإستبرق وإنى لقيت محمدا ﷺ ، وقد أقسم أن لا يبرح حتى آتيه، فعجلوا بى ولا تحبسونى والأمر أيسر مما فى أنفسكم ولا تغتروا.

فذكر ذلك لأم المؤمنين عائشة فقالت:

ـ قد بلغنا أن سيكون فى هذه الأمة رجل يتكلم بعد موته.

وقيل:

لما ذكر ذلك لأم المؤمنين عائشة قالت:

ـ صدق أخو بنى عبس ـ رحمه الله ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يتكلم رجل من أمتى بعد الموت من خير التابعين**»(رواه البيهقى [1] فى الدلائل).

*** أشقى الآخرين:**

تنبأ الصادق المصدوق ﷺ بمقتل ربيبه وزوج ابنته على بن أبى طالب فذات يوم عاد أبو سنان الدؤلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى شكوى له اشتكاها فقال:

ـ قد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين فى شكواك هذا.

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه البيهقى فى (النبوة، ٦/ ٤٥٥) وأبو نعيم فى (الحلية، ٤/ ٣٦٨).

فقال أبو الحسن:

ـ لكنى والله ما تخوفت على نفسى منه ، لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنك ستضرب ضربة ههنا، وضربة ههنا

- وأشار إلى صدغيه-

فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة ـ ناقة صالح علبه السلام ـ أشقى ثمود» (أخرجه الحاكم [1] فى المستدرك).

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

قال لى رسول الله ﷺ:

ـ« من أشقى الأولين؟»

قلت:

ـ عاقر الناقة.

قال علية الصلاة والسلام :

ـ «صدقت، فمن أشقى الآخرين؟»

قلت:

ـ لا علم لى يا رسول الله

قال ﷺ:

ـ «الذى يضربك على هذه »

وأشار بيده إلى يافوخه

وكان يقول:

ـ وددت أنه قد انبعث أشقاكم يخضب هذه من هذه ـ يعنى لحيته من دم رأسه ـ

(١) صحيح. رواه الحاكم فى (المستدرك، ٣/ ١١٣) والطبرانى فى (الكبير، ١/ ٦٣) والبيهقى فى (الكبرى، ٨/ ٥٩).

(رواه أبو يعلى [١]، ابن عساكر)

يقول أنس [٢] بن مالك خادم رسول الله ﷺ:

مرض عليٌّ فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبى ﷺ فنظر فى وجهه فقال أبو بكر وعمر:

- يا نبى الله ، ما نراه إلا ميتا

فقال عليه الصلاة والسلام :

- «لن يموت هذا الآن، ولن يموت حتى يملأ غيظا ، ولن يموت إلا مقتولا» [٣].

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بعد ثلاثين سنة فقد ملئ أمير المؤمنين غيظا من أصحابه أهل العراق ، وخرج ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة للصلاة فنادى:

أيها الناس الصلاة الصلاة

فضربه عبد الرحمن بن ملجم على قرنه بالسيف.

*** رجل من أهل الجنة:**

إذا كان طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ قد تنبأ بمقتل ربيبه على بن أبى طالب فقد تنبأ **لعبد الله بن سلام** أنه من أهل الجنة ويموت على فراشه.

يقول الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص:

كنت مع النبى ﷺ فى مكان فقال:

- «ليطلعن من هذا الشعب رجل من أهل الجنة» [٤].

---

(١) صحيح. رواه الطبرانى فى (الكبير، ٨/ ٤٥) والخطيب فى (التاريخ، ١/ ١٣٥) وابن سعد فى (الطبقات ، ٣/ ١/ ٢٢) وصححه الشيخ الألبانى. انظر : الصحيحة، ٣/ ٧٨).

(٢) أنس بن مالك بن المضر الأنصارى الخزرجى. خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابى مشهور. مات سنة اثنتين. وقيل : ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. (تقريب: ١/ ٨٤).

(٣) موضوع . أورده الشوكانى فى (الفوائد، ٣٨٣) والفتنى فى (تذكرة الموضوعات ، ٩٧) والسيوطى فى (اللآلى، ١/ ١٩٩) وابن الجوزى فى (الموضوعات، ١/ ٤٠٢).

(٤) إسناده ضعيف. أخرجه ابن عساكر فى (التاريخ، ٧/ ٤٤٩).

وكان وراء الشعب عامر [١] بن أبى وقاص ورجوت أنه سيطلع، فاطلع عبد الله[٢] ابن سلام.

وذات ضحى كان خاتم النبيين ﷺ جالسا مع أصحابه فى مسجده فقال:

- **«إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة»** [٣].

فترامت العيون المتلهفة نحو الباب الذى ذكره الصادق المصدوق ﷺ لتنظر هذا الرجل الذى بشره أبو القاسم ﷺ بالجنة..

فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس من الصحابة فبشروه

وذات يوم كان عبد الله بن سلام جالسا فى مسجد رسول الله ﷺ فقال:

بينما أنا نائم إذا أتانى رجل فقال لى:

- قم فخد بيدى.

فانطلقت معه، فإذا أنا بجواد عن شمالى فقال:

- لا تأخذ فيها إنها طرق أهل الشمال.

وإذا أنا بجواد عن يمينى فقال لى:

خذ ههنا

فأتى بى جبلا فقال لى:

- اصعد

فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على إستى، فعلت ذلك مرارا

(١) عامر بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص لأبيه وأمه أمهما حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس. قال الواقدى: أسلم بعد عشرة رجال وكان هو الحادى عشر فلقى من أمه ما لم يلق أحد من قريش. هاجر إلى أرض الحبشة (أسد الغابة: ٢/ ٣٩٧).

(٢) عبد الله بن سلام: بالتخفيف الإسرائيلى أبو يوسف حليف بنى الخزرج. قيل: كان اسمه الحصيب فسماه النبى ﷺ عبد الله. مشهور له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. (تقريب: ١/ ٤٢٢).

(٣) إسناده صحيح. أورده العراقى فى (المغنى عن حمل الأسفار، ٣/ ١٠٩) والزبيدى فى (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٤٦١).

ثم انطلق بى حتى أتى عمودًا فى السماء وأسفله فى الأرض وفى أعلاه حلقة فقال لى:

- اصعد فوق هذا.

فقلت له:

- كيف أصعد فوق هذا ورأسه فى السماء؟

فأخذ بيدى فزجل بى - رمانى ودفع بى - فإذا أنا متعلق بالحلقة، ثم ضرب العمود فخر وبقيت متعلقا بالحلقة حتى أصبحت.

فقال رسول الله ﷺ

- «أما الطرق التى رأيت عن يمينك فهى طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منازل الشهداء ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما الحلقة - العروة - فهى عروة الإسلام لم تزل مستمسكا بها حتى تموت»

ثم قال الهادى البشير ﷺ:

- يموت عبد الله بن سلام وهو آخذ بالعروة الوثقى (رواه البخارى [1] ومسلم)

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

- «إنه - يعنى عبد الله بن سلام - عاشر عشرة فى الجنة»

(رواه البخارى [2] فى تاريخه الصغير)

وتحققت نبوءة الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ فقد كان عبد الله بن سلام جالسا على فراشه يقرأ كتاب الله حين حضرته الوفاة وهو يردد كلمة التوحيد.

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٩/ ٤٦) ومسلم فى (فضائل الأعمال، ح/١٤٩).
(٢) إسناده صحيح.

*** شهادة أم حرام بنت ملحان:**

كانت أم حرام [1] بنت ملحان تحت عبادة [2] بن الصامت ، وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ يزورها فذات يوم دخل عليها فأطعمته ثم جلست تفلى رأسه ـ تفتش شعره لتستخرج منه هوامه، فهى منه ﷺ ذات محرم من قبل خالاته لأن أم جده عبد المطلب ابن هاشم كانت من بنى النجار ـ فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك فقالت أم حرام بنت ملحان:

ـ ما يضحكك يا رسول الله؟

قال ﷺ:

«ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ـ وسطه ـ ملوكا على الأسرة ـ أو مثل الملوك على الأسرة »

فقالت أم حرام بنت ملحان:

ـ يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم.

فدعا لها.

ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك فقالت أم حرام بنت ملحان:

ـ ما يضحكك يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ «ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة» .

---

(1) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر الأنصارية الخزرجية أمها مليكة بنت مالك بن عدى بن زيد. وأم حرام خالة أنس بن مالك وهى زوجة عبادة بن الصامت واسمها الرميصاء. وقيل الغميصاء ولا يصح لها اسم وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها فى بيتها ويقيل عندها وأخبرها أنها شهيدة. (أسد الغابة: ٥/ ٥٧٤).

(2) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الأنصارى الخزرجى أبو الوليد وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيبا على القوافل شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفى سنة أربع وثلاثين بالرملة وقيل ببيت المقدس وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. (أسد الغابة: ٣/ ١٠٦).

فقالت أم حرام بنت ملحان:

- يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم.

فقال ﷺ :

- **«أنت من الأولين»** (رواه البخارى [1] فى صحيحه عن عبد الله بن يوسف عن مالك، ومسلم عن يحيى بن يحيى)

فتحققت نبوءة سيد الأولين والآخرين ﷺ فخرجت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت فى زمن معاوية بن أبى سفيان غازية أول من ركب من المسلمين البحر، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة **لتركبها فصرعتها فماتت شهيدة.**

*** إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك:**

كان ثعلبة [2] بن حاطب الأنصارى يلزم المسجد ويصلى الصلوات الخمس وراء إمام الخير ﷺ حتى لقب ثعلبة **بحمامة المسجد**، وذات يوم قال ثعلبة بن حاطب:

- يا نبى الله، ادع الله أن يرزقنى مالا.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- **«ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه»**

وعاد ثعلبة يطلب من أبى القاسم ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا، فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

- **«أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ؟ فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت».**

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ١٩، ٢٢، ٤٠) ومسلم فى (الإمارة، ح/ ١٦٠، ١٦١) وابو داود فى (الجهاد، باب «١٠») والنسائى فى (الجهاد، باب «٣٧») وابن ماجة (ح/ ٢٧٧٦) واحمد فى (المسند، ٦/ ٣٦١، ٤٢٣).

(٢) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف الأوسى الأنصارى شهد بدراً وهو الذى سأل النبى ﷺ أن يرزقه مالها. قتل يوم أحد. (أسد الغابة: ١/ ٢٣٧).

فقال ثعلبة بن حاطب :

- **والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه**

فقال كاشف الغمة ﷺ:

- **«اللهم ارزق ثعلبة بن حاطب غنما».**

فنمت كما ينمو الدود، وضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل واديا من أوديتها، **وجعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما.**

ثم نمت الغنم وكثرت، فتنحى ثعلبة بن حاطب **حتى ترك الصلوات الخمس إلا الجمعة** والغنم ينمو كما ينمو الدود، **حتى ترك ثعلبة صلاة الجمعة**

وسأل الرحمة المهداة ﷺ عن ثعلبة بن حاطب ذات يوم:

- «**ما فعل ثعلبة؟**»

قالوا:

- يا رسول الله ، اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة.

وأخبروه بأمره.

فقال نبى الرحمة ﷺ:

- **«يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»**

وأنزل العليم الخبير **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾** سورة التوبة الآية: ١٠٣

فلما نزلت فرائض الصدقة بعث حبيب الرحمن ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين - رجل من قبيلة جهينة، ورجل من بنى سليم - وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما:

- **مرا ثعلبة وبفلان - رجل من بنى سليم - فخذا صدقاتهما .**

فخرجا حتى أتيا ثعلبة بن حاطب فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ثعلبة:

ـ ماهذه إلا جزية ، وما هذه إلا أخت الجزية، ما أدرى ما هذه؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىَّ.

فانطلقا، وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالا:

ـ ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك.

فقال السلمى:

ـ بل فخذوها فان نفسى بذلك طيبة وإنما هو له.

فأخذاها منه ، ومرا على الناس فأخذا الصدقات.

ورجع الرجلان إلى ثعلبة بن حاطب فقال:

ـ أرونى كتابنا؟

فقرآه، فقال ثعلبة:

ـ ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيا.

فانطلقا إلى صاحب الشفاعة ﷺ، فلما رآهما قال:

ـ «يا ويح ثعلبة».

لقد رأى بعين النبوة ما دار بينهما وبين ثعلبة فهدد وتوعد ثعلبة بن حاطب قبل أن يسمع كلام الرجلين، ودعا للسلمى بالبركة.

وأخبر الرجلان أبا القاسم ﷺ بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى.

وأنزل السميع البصير **﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾** سورة التوبة الآية: ٧٥-٧٧.

وكان رجل عند إمام الأنبياء ﷺ من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال:

ـ ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك قرآنا.

فخرج ثعلبة حتى أتى الصادق المصدوق ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته.

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

ـ **«إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك»**

فجعل ثعلبة يحثو على رأسه التراب.

فقال له النذير البشير ﷺ:

ـ **«هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعنى»** [1].

*** لأبعثن عليهم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله:**

يوم خيبر بعث إمام المجاهدين ﷺ عمـر بن الخطاب ومعه الناس إلى أهل خيبر، فلم يلبـثوا أن هزموا الفـاروق وأصحابـه، وانكشف عمر ومن مـعه ورجـعوا إلى أبى القاسم ﷺ يجبنه أصحابه ويجبنهم ـ يتهم بعضهم بعضا بالجبن.

وكان خـاتم الأنبياء ﷺ قـد أخذته الشقـيقة ـ نـوع من الصداع يعرض فى مـقدم الرأس وإلى أحد جانبيه ـ فلم يخرج إلى الناس، وساء ذلك إمام الخير ﷺ فقال:

ـ **لأعطين هذه الراية غـدا رجلا يحب الله ورسـوله، ويحبـه الله ورسوله، يفـتح الله على يديه.**

فتطاولوا ـ تطاولت أعناق الحاضرين ظنا منهم أن أمرهم سينال هذا الشرف العظيم ـ لرسول الله ﷺ، ولكنه قال:

ـ **«أين على؟»**

فقالوا:

ـ هو رمد ـ أصاب الرمد عينيه.

فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ **«ادعوه لى»**.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى (الكبير، ح/ ٧٨٨٣) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد (٧/ ٣١)وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة، ٥/ ٢٩٠).

فدعوه فقال له طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ:

- «ادن منى » : اقترب منى .

فوضع أبو الحسن رأسه فى حجر حبيب الرحمن ﷺ وفتح له عينيه فدلكهما بيديه الشريفتين فشفى حتى لم يكن بهما وجع، وألبسه درعه وشد سيفه ذا الفقار فى وسطه وأعطاه الراية وقال له:

- «امش ولا تلتفت»

فسار على بن أبى طالب خطوات ثم وقف ولم يلتفت وتساءل:

- يا رسول الله ، علام أقاتل الناس؟

قال النبى الخاتم ﷺ:

- « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا فقد منعوا - من القتال - منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى ، وأخبرهم بما يجب عليه حق الله ، فوالله لأن يهدى بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم »

فانطلق أبو الحسن براية رسول الله ﷺ حتى ركزها تحت حصن ناعم، فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن وتساءل:

- من أنت؟

قال أبو الحسن:

- أنا على بن أبى طالب

فقال اليهودى:

- علوتم وما أنزل على موسى - أقسم بالتوراة .

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد فتح الله على أبى الحسن حصون

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ٦٥، ٧٣) ومسلم فى (الجهاد، ح/ ١٣٢) والترمذى (ح/ ٣٧٢٤) وابن ماجة (ح/ ١٢١) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٥٢).

خيبر [١].

*** أبو الدرداء يموت قبل وقوع الفتن:**

ذات يوم قال إمام الخير ﷺ لأصحابه:

«إنى فرطكم - الفرط: بفتحتين الذى يتقدم الواردة فيهيئ لهم الإرسان والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم - على الحوض، أنظر من يرد على منكم، فلا ألفين ما توزعت فى أحدكم فأقول:

- هذا منى

وفى لفظ:

- من أمتى.

وفى لفظ:

- من أصحابى

فيقال:

- إنك لا تدرى ما أحدث بعدك؟»

فقال أبو الدرداء:

- يا رسول الله، ادع الله أن لا يجعلنى منهم

فقال الصادق المصدوق ﷺ:

- **«إنك لست منهم»**

فتحققت نبوءة الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وقبل أن تقع الفتن (رواه يعقوب [١] بن سفيان ، وابن عساكر عن أبى الدرداء).

وقيل:

---

(١) صحيح. رواه النسائى فى (الجنائز ، باب «٦١») وأحمد فى (المسند، ٣/ ١٦٦، ٤/ ١٥٣، ١٥٤، ٥/ ٣٩٣) وابن حبان (١٨٥٨) والمشكاة (٥٥٧١) وابن عبد البر فى (التمهيد، ٢/ ٢٩٩).

قال أبو الدرداء:

أتيت رسول الله ﷺ فقلت:

يا رسول الله ، بلغنى أنك قلت:

ـ «ليكفرن أقوام بعد إيمانهم»

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ «نعم ولست منهم »

فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان (رواه البيهقى فى الدلائل، وابن عساكر، وابن النجار)

*** مقتل عثمان بن عفان:**

صعد أبو القاسم ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى جبل حراء فارتج بهم الجبل فقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ «اسكن حراء، فما عليك ألا نبى أو صديق أو شهيد» (رواه [1] ابن عساكر)

لقد تنبأ الذى الذى لاينطق عن الهوى ﷺ بمقتل وشهادة عمر وعثمان وعلى

وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ فطعن أبو لؤلؤة فيروز المجوسى أمير المؤمنين عمر وهو يصلى الفجر بخنجر.

وقال الرحمة المهداة ﷺ لذى النورين ذات يوم:

ـ «يا عثمان إنك ستؤتى الخلافة من بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم ذلك اليوم تفطر عندى ـ فى الجنة» ـ (رواه [2] ابن عدى، وابن عساكر عن أنس)

وتحققت نبوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد خلف عثمان عمر بن الخطاب، ثم ولى ذو النورين أقاربه على مصر والشام والبصرة و. . فطغوا وتجبروا فثار أهل

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (فضائل الصحابة، ح/ ٤٩) والنسائى (٦/ ٢٣٦) والطبرانى فى (الكبير، ١/ ١١٦) وابن أبى عاصم فى (السنة، ٢/ ٥٩٤).

(٢) ضعيف. أخرجه ابن عدى فى (الكامل، ٣/ ٨٩٨).

الأمصـار وجاءوا إلى الخليـفة الثـالث وشكوا إليه ظلم عـماله وولاته فـوعد بإقـالتهم وتعيين ولاة جدد، ولما عـاد الناس إلى بلادهم نصب لهم هؤلاء الولاة شباكـا ومصائد وأودعوهم السجـون وأذاقوهم الويل والعذاب، ولـم يف أمير المؤمنين عثـمان بوعده، فثار أهل الأمـصار وزحفوا على المدينة وحاصـر المتمردون والثوار قصر عـثمان ونادوا بخلعه فتحققت نبوءة البشيـر النذير ﷺ ،ورفض كاتب عثمان ومستشاره مروان [1] بن الحكم بل ورمى أحد الثوار بسـهم فقتله فاستشـاط الثوار غضبا وطالبوا الخليـفة الثالث بتسليم مروان بن الحكم فرفض عثمان، فمنع الثوار الطعام والماء عن قصر ذى النورين

يقول كثير بن الصلت:

أغفى - نام نومة - عثمان فى اليوم الذى قتل فيه ثم استيقظ ثم قال:

- لولا أن يقولوا : إن عثمان تمنى أمنية لحدثتكم.

قلنا:

- حدثنا .

قال:

- إنى رأيت الليلة رسول الله ﷺ فى منامى هذا فقال:

«إنك شاهد فينا الجـمعة» (رواه الحاكم [2] فى المستدرك، وأبو يعلى،والبيهقى فى الدلائل).

وقال عبد الله بن عمر: إن عثمان أشرف علينا فقال:

رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال:

- «يا عثمان ، إنك تفطر عندنا - فى الجنة - الليلة»

فأصـبح صائما، وقـتل من يومه (رواه ابن أبى [3] شيـبة ، والحاكم فى المسـتدرك، والبزار ، وأبو يعلى).

(١) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية أبو عبد الملك الأموى المدنى. ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس فى رمضان وله ثلاث أو إحدى وستون سنة. لا يثبت له صحبة من الثانية. (تقريب: ٢/ ٢٣٨).

(٢) إسناده جيد. رواه الحاكم. وأورده ابن كثير فى (البداية والنهاية، ٧/ ١٨٢) وفى ابن حجر فى (المطالب، ٤٤٤٩).

(٣) انظر: كنز العمال (ح/ ٣٢٨٦٨، ٣٦٣٣٤).

فتحققت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ.

*** مبير ثقيف:**

فى سنة ثلاث وستين من الهجرة بويع لمعاوية بن يزيد بن أبى سفيان بالخلافة بالشام ، ولعبد الله بن الزبير بن العوام بالحجاز، ومات معاوية بعد أربعين يوما.

وقيل: ثلاثة أشهر، فلما بلغ عبد الله بن الزبير موت معاوية نادى عسكر الشام الذين جاءوا وحاصروه:

ـ علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟

فلما علموا الخبر رحلوا نحو المدينة وكان الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ قد تنبأ بهدم وإحراق الكعبة على يد رجل من آل الزبير بن العوام ـ حوارى رسول الله ﷺ وابن عمة رسول الله ـ يقول سلمان الفارسى: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**ليحرقن هذا البيت على يدى رجل من آل الزبير**» (رواه [1] ابن عساكر).

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ فى عهد الدولة الأموية زمن مروان بن الحكم الذى بعث الحجاج بن يوسف الثقفى فحاصر عبد الله بن الزبير فى البيت الحرام ورمى الكعبة بالمنجنيق والنار.. وقتل عبد الله بن الزبير فصلبه الحجاج بن يوسف الثقفى مع كلب ميت ، ودخلت أسماء بنت أبى بكر وهى عجوز مكفوفة حتى وقفت على الحجاج فقالت: ـ أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟

فقال الحجاج بن يوسف:

ـ المنافق؟

فقالت ذات النطاقين [2]:

ـ **لا والله ، ما كان منافقا، وقد كان صواما قواما.**

فقال الحجاج لأم عبد الله بن الزبير:

ـ اذهبى فإنك عجوز قد خرفت.

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه ابن عساكر. أورده ابن كثير فى (البداية والنهاية، ٨/ ٣٤٠).

(٢) ذات النطاقين: أسماء بنت أبى بكر الصديق. زوج الزبير بن العوام. من كبار الصحابة عاشت مائة سنة وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. (تقريب: ٢/ ٥٨٩).

فقالت ابنة الصديق:

ـ لا والله ما خرفت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**» ـ المبير: المهلك أى المسرف فى قتل وإهلاك الناس ـ ، **فأما الكذاب فقد رأيناه** ابن أبى عبيد ـ تعنى المختار بن أبى عبيد الثقفى الكذاب ادعى أنه يأتيه الوحى من السماء وأنه قدم الموالى على الأشراف، التقى جيشه وجيش مصعب بن الزبير فهزمه مصعب بن الزبير، وجاء طرف وطراف ابنا عبد الله بن دجالة من بنى حنيفة برأس المختار بن أبى عبيد فوضعاها بين يدى مصعب بن الزبير فأمر لهما بثلاثين ألف درهم ـ **وأما المبير فأنت يا حجاج** (رواه الحاكم فى المستدرك عن أسماء بنت أبى بكر).

وتحققت نبوءة سيد الأولين والآخرين ﷺ فقد ولى الحجاج بن يوسف الثقفى العراق فكان سيف بن مروان بن أمية البتار، فألقى الرعب فى قلوب أهل العراق ووضع على الأفواه الكمامات وملأ السجون بالأبرياء ، وقتل الآلاف وظل سفاح ثقيف نقمة على أهل العراق كابوسا مخيفا ملأ صدورهم رعبا عشرين عاما، ومات الحجاج بن يوسف الثقفى عام خمسة وتسعين من الهجرة.

*** ملك بنى العباس بن عبد المطلب:**

تقول أم المؤمنين عائشة:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ستكون لولد العباس راية، من تبعها رشد، ومن خلفها هلك، ولن تخرج من أيديهم ما أقاموا الحق**» (رواه [1] الديلمى).

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب:

ـ «**الخلافة فيكم والنبوة**»(رواه ابن عساكر [2] عن أبى هريرة).

وقال جابر بن عبد الله : قال حبيبى ﷺ : «**يكون من ولد العباس ملوك تكون أمراء أمتى، يعز الله بهم الدين**» (رواه أبو نعيم [3] فى الحلية، وابن عساكر عن جابر).

ولما قدم ترجمان القرآن على معاوية بن أبى سفيان بعد أن صار إليه الأمر قال لعبد

(١) إسناده ضعيف. (٢) إسناده ضعيف. أخرجه ابن عساكر فى «التاريخ» (٧/٢٤٦).
(٣) إسناده ضعيف. : أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٣١٦).

الله بن عباس:

- يا أبا العباس، هل تكون لكم دولة؟

قال ترجمان القرآن:

- يا أمير المؤمنين، أعفني.

فأصر معاوية بن أبى سفيان وقال:

- لتخبرني.

قال عبد الله بن عباس:

- نعم.

قال معاوية بن أبى سفيان:

- فمن أنصاركم؟

قال ترجمان القرآن:

- أهل خراسان، ولبنى أمية من بنى هاشم بطحات - بطحه: ألقاه على وجهه - (رواه البيهقى [1] فى الدلائل).

وتحققت نبوءة الهادى البشير ﷺ بعد نحو مائة وثلاثين سنة من الهجرة فقد قامت الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة من مهاجرة الرسول ﷺ.

*** كاسيات عاريات:**

تنبأ سيد الأولين والآخرين ﷺ بما نراه اليوم من النساء اللاتى يرتدين ملابس تظهر أكثر مما تخفى فقد رأى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بعين النبوة ما سيحدث منذ أكثر من **ألف وأربعمائة سنة نساء المسلمين اللآتى يقلدن نساء الغرب** فقال الصادق المصدوق ﷺ: « **صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** » (أخرجه [1]

(١) إسناده ضعيف.

مسلم كتاب الجنة، والإمام أحمد عن أبى هريرة).

*** قتال فئتين عظيمتين :**

قال خاتم الأنبياء ﷺ :

«لا تقوم الساعـة حتى تقتتل فئـتان عظيمتان تكـون بينهما مقتلة دعـواهما واحدة» (رواه البيهقى [٢] فى الدلائل عن أبى هريرة).

وقال السراج المنير ﷺ:

« لا تقـوم الساعـة حتى تقـتـتل فئـتان دعـواهما واحـدة» (رواه [٣] البخـارى فى الصحيح عن أبى اليمان).

وتحـققت نبـوءة الذى لا ينطق عن الهـوى ﷺ يوم صفين سنة سـبع وثلاثين من الهجرة فـقد كان أهل العراق أصحـاب على مائة وعشرين ألفا قـتل منهم أربعون ألفا، وكان أصحاب معاوية من أهل الشام ستين ألفا قتل منهم عشرون ألفا.

وإذا اعتـبرنا حرب العراق وإيران نبـوءة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقـد حدثت بعد أربعة عشر قرناً.

*** تكالب الأمم على المسلمين:**

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»

قيل:

ـ يا رسول الله ، فمن قلة بنا يومئذ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (اللباس، ح/ ١٢٥) وأحمد فى (المسند، ٢/٣٥٦، ٤٤٠) والبيهقى فى (الكبرى، ٢/ ٢٣٤ .٢٤٧) والصحيحة (ح/١٣٢٦).

(٢) صحيح. متفق عليه . رواه البخارى (٤/ ٢٤٣، ٩/ ٢٢، ٧٤) ومسلم فى (الفتن، ح/١٧) وأحمد فى (المسند، ٢/ ٣١٣) والحميدى (٧٤٩).

(٣) انظر : الحديث السابق.

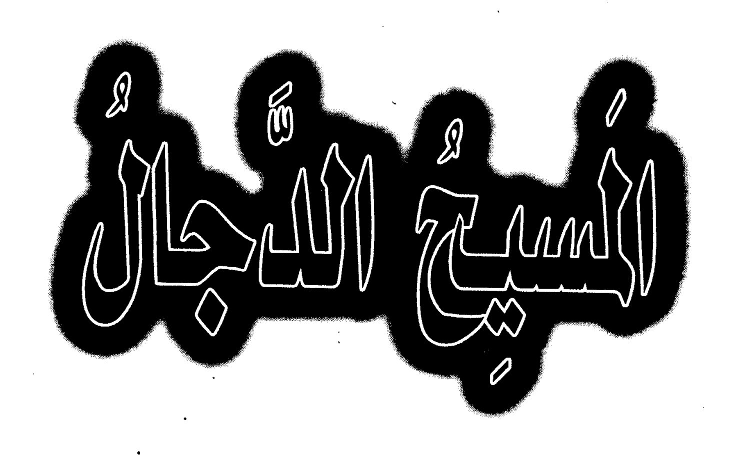
« لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يُجعلُ الوهن - الضعف - فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت» (أخرجه أبو [1] داود كتاب الملاحم باب تداعى الأمم على الإسلام، والإمام أحمد عن ثوبان).

صدقت يا رسول الله، وصدقت نبوءاتك فنحن الآن فى حال لا يسر عدوا ولا حبيبا، ونحن الآن أكثر من قطرات المطر، ونحن الآن فى ضعف ووهن لتكالبنا على الدنيا فنزع الله عز وجل الرعب الذى ألقاه فى قلوب أعدائه وصاروا وحوشاً ينهشوننا، وما نراه الآن من تكالب الغرب وأصحاب الصليب ونحن فى ذلة واستكانة وضعف لا نحرك ساكناً.

لقد صدق الصادق المصدوق ﷺ عندما أخبر أصحابه بما كان وما هو كائن، لقد حدثهم عن كل شىء إلى قيام الساعة، فوقعت تنبوءاته ﷺ وفق ما أخبر تماماً وما تنبأ به، وما لم يحدث حتى الآن سيحدث لا محالة.. لا محالة.. لا محالة.

---

(١) صحيح . رواه أبو داود فى (الملاحم ، ح/٤٢٩٧) و أحمد فى (المسند ، ٥/ ٢٧٨) وصححه الشيخ الألبانى انظر : الصحيحة، ٩٥٨) عن ثوبان رضى الله عنه.



إعداد وتحقيق
الشيخ / كامل عويضة

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع
أسسها حسن البدوي - نبيل خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

أما بعد: روى عن أبى داود بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال**» فهذا واحد من أحاديث الصادق المصدوق ﷺ التى تبين أن فى الأمة الإسلامية فتن كثيرة تظهر قبل القيامة. وأخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**».

وأخرج أبو داود بسنده عن أبى بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل ناس من أمتى بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له: دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين**». وروى عن جرير بن عبد الله البجلى قال: سمعت رسول الله ﷺ **يقول: تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفرات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجيء إليها الخزائن يخسف بها**».

وأخرج ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشاً من الموالى هم أكرم العرب فرسانًا وأجودهم سلاحًا**

يؤيد الله بهم الدين». فهـذه جملة من الأحـاديث النبوية تبين أن هناك جـملة من الفتن والملاحم التى ستقع فى أمـة محمد ﷺ وهذه فتنة المسـيح الدجال التى وردت فى كتب السنن يأتى الله تعالى به فتنة على رأس القيامة وامتحاناً لأصحاب القلوب التى لم يثبت فيـها الإيمان. نسأل الله سـبحانه وتعـالى أن يعصمنا من الـفتن ما ظهر منهـا وما بطن وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

كامل عويضه
مصر المنصورة - عزبة الشال
٢٠ ش جامع نصر الإسلام

*****

الدجال من علامات القيامة الكبرى

للقيامة علامات كبرى وعلامات صغرى: فالعلامات الكبرى هى التى تظهر آخر الزمان. أما العلامات الصغرى فإنها أصبحت بين أيدينا مثل شعاع الشمس. والعلامات الكبرى كثيرة منها:

* **النار التى تخرج من قعر عدن**: روى عن ابن شريحة الغفارى رضى الله عنه قال: «ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» (١).

* **قتال الملحمة مع الروم الذى آخره فتح القسطنطينية**: وعنده يخرج المسيح الدجال فينزل عيسى ابن مريم بدمشق وقت صلاة الفجر . عن ذى مخمر عن النبى ﷺ: **«تصالحون الروم صلحاً آمنًا وتقهرون أنتم وهم عدواً من ورائهم فتسلمون وتغنمون ثم تنزلون بمرج ذى تلول فيقوم إليه الرجل من الروم فيرفع الصليب ويقول : الأغلب للصليب فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملحمة فيجمعون لكم فيأتونكم فى ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف»** (٢).

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفا» (٢).

وعن أسير (٣) بن جابر رضى الله عنه قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى(٤) إلا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة وكان عبد الله متكئاً فجلس فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقتسم ميراث ولا يفرح بغنيمة قال: ثم قال بيده (٥).

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٤٠) وأبو داود فى (الملاحم ، باب «١٢») والترمذى فى (الفتن، باب «٢١») وابن ماجة فى (الفتن ، باب«٢٨») وأحمد فى (المسند، ٤/ ٧).

(٢) إسناده حسن. أخرجه أحمد فى (المسند ، ٤/ ٩١) وابن حبان (ح/ ١٨٧٤).

(٣) أسير : بضم الهمزة وفتح السين وآخره راء هو أسير بن جابر يعد فى البصريين. فى صحبته نظر. (أسد الغابة: ١/ ٩٥).

(٤) الهجير: بهاء مكسورة وجيم مكسورة مشددة وراء مقصورة الدأب والشأن: أى إنه مشغول بنداء عبد الله ابن مسعود وقوله له :جاءت الساعة.

(٥) قال بيده: أى أشار بيده إلى جهة الشام.

هكذا ونحاها نحو الشام وقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت : «الروم تعنى. قال: نعم. ويكون عند ذلكم القتال ردة شديدة».

قال: فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء كل غير غالب تفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء كل غير غالب.

وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة الموت لا ترجع إلى غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان اليوم الرابع نهد[1] إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة إما قال : لا ندرى مثلها وإما قال: لا يرى مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا.

فيعاد بنو الأرب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم قال: فبينما هم كذلك إذا سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك.

قال: فجاءهم الصريخ[2]: أنَّ الدَّجال قد خلفهم فى ذراريهم فيرفضون ما فى أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله ﷺ: **«إنى لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»** [3].

وعن جبير[4] بن نفير عن عوف بن مالك فى تعدد الأشراط بين يدى الساعة أنَّ النبى ﷺ قال: **«والسادسة هُدْنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيُسيرون إليكم فى ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشرة ألفاً وفسُطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها:**

(١) نهد إليه: أى نهض وتصدى.

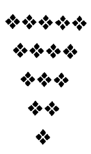
(٢) الصريخ: أى المستنجد المستصرخ.

(٣) إسناده حسن. رواه أحمد فى (المسند، ١/ ٤٣٥).

(٤)جبير بن نُفير - بنون وفاء مصغراً - ابن مالك بن عامر الحضرمى الحمصى ثقة جليل من الثانية مخضرم ولأبيه صحبة فكأنه هو ما وفد إلا فى عهد عمر. مات سنة ثمانين. وقيل : بعدها (تقريب: ١/ ١٢٦).

الغوطة فى مدينة يقال : لها دمشق» [١].

وروى أبو داود من حديث جبير بن نفير أيضًا عن أبى الدرداء[٢] أنَّ رسول الله ﷺ قال : « **أنَّ فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها : دمشق من خير مدائن الشام**»[٣].



---

(١) صحيح. رواه البخارى فى (الصلح، باب«٧») وابن ماجة فى (الفتن، باب«٢٥, ٣٥») وأحمد فى (المسند، ٢/ ١٧٤، ٦/ ٢٥, ٢٧).

(٢) أبو الدرداء: عويمر بن زيد بن قيس الأنصارى. مختلف فى اسم أبيه وإنما هو مشهور بكنيته . وقيل : اسمه عامر وعويمر لقب. صحابى جليل أول مشاهده أحد وكان عابداً. مات فى آخر خلافة عثمان . وقيل: عاش بعد ذلك (تقريب ٢/ ٩١).

(٣) إسناده حسن . رواه أبو داود (ح/٤٣٩٨) والمشكاة (٦٢٧٢) وأورده السيوطى فى (الدر المنثور، ٦/ ٥٩).

من الدجال؟

قال الإمام الإمام النووى [١] : هو شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه .

واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار.

*****

آراء الخوارج والجهمية والمعتزلة فى الدجال

وقد أنكر وأبطل حقيقة المسيح الدجال كل من الخوارج[٢] والجهمية[٣] والمعتزلة[٤].

ولكن بعض المعتزلة مثل البخارى المعتزلى آمنوا بالمسيح الدجال. وكذلك وافق رأى البخارى المعتزلى بعض الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود.

وقال المنكرون : أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكن ما معه كالتصديق له وإنما يدعى الإلهية وهو فى نفس الوقت مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه

---

(١) النووى الإمام الفقيه الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مِرَى الخِزامى الحورانى الشافعى. كان إمامًا بارعًا حافظا متقنًا اتقن علومًا شتى وبارك الله فى علمه وتصانيفه لحسن قصده وكان شديد الورع والزهد أمارًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر نهاية الملوك. مات فى رابع عشرى رجب سنة ست وسبعين وستمائة. (تذكرة الحفاظ : ٤/ ١٤٧٠).

(٢-٤) الخوارج : فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على الإمام علىّ وخالفوا رأيه. ويُطلق أيضاً على من خرج على الخلفاء ونحوهم.

والمعتزلة: أولى المدارس الكلامية الكبرى تؤمن بالعقل وتحاول التوفيق بينه وبين النَّقل وتلجأ إلى التأويل ما وسعها، وفى هذا ما باعد بينهما وبين السلف وأهل السنة. أسسها واصل بن عطاء من أكبر رجالها أبو هذيل وإبراهيم النَّظام.

والجهمية: إحدى الفرق التى تنسب إلى جهم بن صفوان.

ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

وهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو تقية أو خوفًا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدًا تدهش العقول وتحيِّر الألباب مع سرعة مروره فى الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه فى هذه الحالة.

ولهذا حذر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه: «ما ازددت فيك إلا بصيرة».

والدليل على كذب هؤلاء ما رواه ابن عمر(١) أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور إلا وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنه عينيه عنبة مطفأة**» (٢) وعن أنس بن مالك (٣) رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإنَّ ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كـ ف ر**»(٤).

*****

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوى المدنى الفقيه أحد الأعلام فى العلم والعمل شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان وممن كان يصلح للخلافة فعين لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام على وفاتح العراق سعد ونحوهما رضى الله عنهما. توفى سنة أربع وسبعين (أسد الغابة: ٣/ ٣٤٠).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (ح/ ٧١٣١) فتح البارى (١٣/ ٩٧) ومسلم فى (الفتن، ح/ ٩٥، ١٠٠) وأبو داود فى (الملاحم، باب«١٤» والترمذى فى (الفتن، باب«٥٦، ٦٢») وأحمد فى (المسند، ٢/ ٣٧، ١٣٠، ١٤٩، ٥/ ٤٣٥).

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابى مشهور. مات سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. (تقريب: ١/ ٨٤).

(٤) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١٠١) والترمذى (ح/ ٢٢٤٥) وأحمد (٣/ ١٧٣، ٢٧٦).

ما معنى الدجال!؟

الدجال: هو فعال بفتح أوله والتشديد من الدجل و هو التغطية . وسمى الكذاب دجالا لأنه يغطى الحق ببـاطله. ويقال: دجل البعـير بالقطران إذا غطاه والإناء بالذهب إذا طلاه.

وقال ثعلب [1] : الدجال المموه سيف إذا طلى.

وقال ابن [2] دريد: سمى دجالاً لأنه يغطى الحق بـالكذب. وقيل: لضربه نواحى الأرض . يقال: دجل مخـففًا ومشددًا إذا فعل ذلك. وقـيل: بل قيل ذلك لأنه يغطى الأرض فرجع إلى الأول.

وقال القرطبى [3]: الدجال فى اللغة يطلق على عشرة وجوه:

الأول: أن الدجال الكذاب قال الخليل [4] وغيره وأنهـا دجلة بسكون الجيم ودجلة بفتحها كذبة لأنه يدجل الحق بالباطل وجمْعه دجالون ودجاجلة فى التكسير.

الثانى: أن الدجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البـعير بالقطران سمى بذلك لأنه يغطى الحق ويستره بسحره وكذبه كـما يغطى الرجل جرب بعيره بالدجالة وهى القطران يهنأ به البعير واسمه إذا فعل به ذلك المدجل قاله الأصمعى [5].

الثالث: إنما سمى بذلك لضربه فى نواحى الأرض وقطعه لها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

---

(١) ثعلب اللغوى العلامة المحدث شيخ اللغة العربية أبو العبـاس أحمد بن يحيى الشيبانى مولاهم البغدادى: قال الخطيب: كان ثقـة ثبتًا حجة صـالحًا مشهورًا بالحـفظ. مات فى جمادى الآخـرة سنة إحدى وتسعين ومائتين (تاريخ بغداد: ٥/ ٢٠٤).

(٢) ابن دريد أيضا من أهل اللغة.

(٣) القرطبى: محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح ـ بسكون الراء والحاء المهملة ـ الأنصارى الخزرجى المالكى أبو عبد الله القرطبى. توفى سنة إحدى وسبعين وستمائة . (طبقات المفسرين للسيوطى: ٢/ ١١٠).

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدى. انظر : ترجمته فى كتابنا المؤلف عنه . طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.

(٥) الأصمعى: عـبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصـمع أبو سعيد الباهلى البـصرى. صدوق سنى. من التاسعة. مات سنة ست عشرة وقيل: غير ذلك وقد قارب التسعين. (تقريب : ١/ ٥٢١).

الرابع: إنه من التغطية لأنه يغطى الأرض بمجموعه. والدجل: التغطية. قال ابن دريد: كل شيء غطيته فقد دجلته. ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض وتغطية ما فاضت عليه.

الخامس: سمى دجالاً لقطعه الأرض إذا يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة والدجالة الدفقة العظيمة.

السادس: سمى دجالاً لأنه يغر الناس بشره. كما يقال: لطخنى فلان بشره.

السابع: الدجال: المخرق.

الثامن: الدجال: المموه. قال ثعلب ويقال: سيف مدجل إذا كان قد طلى بالزيت.

التاسع: الدجال: ماء الذهب الذى يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود. سمى الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل.

العاشر: الدجال: فرند السيف. والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال: بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم فعربته العرب، ولذلك قال سيبويه (١) وهو عندهم خارج عن أمثلة العرب. والفرند أيضا الحرير.

*****

ما الجساسة!؟

الجساسة: بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى. قيل: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال.

عن عامر بن شراحيل الشعبى شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال: حدثينى حديثًا سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره فقال: لئن شئت لأفعلن. فقال لها: أجل حدثينى. فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فأصيب فى أول الجهاد مع

(١) سيبويه أحد علماء اللغة العربية الأول وهو تلميذ الخليل بن أحمدالفراهيدى وهو صاحب الكتاب فى النحو. وهذا الكتاب دروس سمعها من الخليل.

رسول الله ﷺ. فلمَّا تأيَّمتُ[١] خطبنى عبد[٢] الرحمن بن عوف فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وخطبنى رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبنى فليحب أسامة**» فلمَّا كلَّمنى رسول الله ﷺ قلت: أمرى بيدك فأنكحنى من شئت فقال: «**انتقلى إلى أم شريك**»[٣]. وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة فى سبيل الله ينزل عليها الضيِّفان فقلت: سأفعل. فقال: لا تفعلى إنَّ أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإنى أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين.

ولكن انتقلى إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم[٤] وهو رجل من بنى فهر فِهْرِ قريش وهو من البطن التى هى منه فانتقلت إليه فلمَّا انقضت عَدَّتى سمعت نداء المنادى منادى رسول الله ﷺ ينادى الصلاة جامعة فخرجتُ من المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ.

فكنت فى صف النساء الذي يلى ظهور القوم. فلمَّا قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه . ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأنَّ تميمًا الدَّارىَّ كان رجلاً نصرانيًا فجاء فبايع فأسلم وحدثنى حديثًا وافق الذى كنت أحدِّثكم عن مسيح الدَّجَّال.**

---

(١) تأيمت: أى صرت أيمًا وهى التى لا زوج لها . قال العلماء: قولها : فأصيب ليس معناه أنه قتل فى الجهاد مع النبى ﷺ . وتأيمت بذلك إنما تأيمت بطلاقه البائن.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشى الزهرى أحد العشرة. أسلم قديمًا ومناقبه شهيرة ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك . (تقريب: ١/ ٤٩٤).

(٣) قال النووى: «أم شريك من الأنصار» هذا قد أنكره بعض العلماء. وقال: إنما هى قرشية من بنى عامر بن لؤى واسمها عزية. وقيل غربلة.

وقال آخرون: هما ثنتان قرشية وأنصارية.

(٤) ابن أم مكتوم : يكتب بالألف لأنه صفة لعبد الله لا لعمرو. فنسبه إلى أبيه عمرو وإلى أمه مكتوم فجمع نسبه إلى أبويه كما فى عبد الله ابن مالك بن بحينة وعبد الله بن أبى ابن سلول وتطائر ذلك.

حدثنى أنه ركب سفينة بحريه مع ثلاثين رَجُلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرًا فى البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلبُ كثير الشَّعر لا يدرون ما قُبُلُه من دبره من كثرة الشَّعر.

فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقالت: أنا الجساسة.

قالوا: وما الجساسة؟

قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدِّير فإنّه إلى خبركم بالاشواق. فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبرونى عن نخل بيسان؟

فقلنا: عن أى شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له: نعم.

قال: أمَّا إنَّه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبرونى عن بحيرة الطبرية؟

قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هى كثيرة الماء.

قال: أمَا إنَّ ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبرونى عن عين زغر [١]؟

قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟

قال : هل فى العين ماء. وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟

فأخبرناه : أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه .

قال لهم: قد كان ذلك.

قلنا: نعم.

قال: أما إنَّ ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإنى مخبركم عَنَّى أنا المسيح وإنَّى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتُها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة [٢] فهما محرمتان علىَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو

---

(١) عين زغر: بزاى معجمة مضمومة ثم غين معجمة مفتوحة ثم راء. وهى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام.

(٢) قلت: من فضائل المدينة كثرة الأسماء التى تدل على شرف المسمى ولا توجد بلدة فى الدنيا كلها لها من الأسماء مثل ما للمدينة المنورة أو نصفه أو حتى ربعه فقد بلغ العلماء بأسمائها نحواً من مائة اسم منها ما صح فى النصوص ومنها ما كان اجتهاداً من العلماء وغير ذلك.

وأشهر هذه الأسماء:

أولا : المدينة: وهذا أشهر أسمائها وهذا الاسم إذا أطلق أريدت به المدينة المنورة دون غيرها من مدن الدنيا وقد جاءت آيات القرآن الكريم بهذا الاسم فى أربعة مواضع ومنها قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾** [التوبة: ١٠١]. =

واحدًا منها استقبلنى ملك بيده السيف صلتًا [1] يُصدُّنى عنها وإنَّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة ألا هل كنتُ حدثتكم ذلك.

فقال الناس: نعم فإنَّه أعجبنى حديث تميم الدارى أنَّه وافق الذى كنت أحدِّثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنَّه فى بحر الشَّام أو بحر اليمن.

لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ [2].

وعن فاطمة بنت قيس قالت: قدم على رسول الله ﷺ تميم الدارى فأخبر رسول الله ﷺ أنَّه ركب البحر فتاهت [3] به سفينته فسقط إلى جزيرة فخرج إليها يلتمس الماء فلقى إنسانًا يجرّ شعره واقتص الحديث.

وقال فيه ثم قال: أما إنَّه لقد أذُن لى فى الخروج قد وطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله ﷺ إلى النَّاس فحدّثهم. قال: هذه طيبة وذاك الدَّجَّال [4].

= كما ورد هذا الاسم فى أحاديث كثيرة جداً يصعب حصرها. وقد وصفت المدينة بالمباركة والمنورة والمشرَّفة وغير ذلك من الأوصاف الفاضلة. وهذا الاسم هو الذى يعرفها به العامة والخاصة والعلماء والعوام ولا يجهله أحد من الناس فإذا أطلقت «المدينة» تبادر إلى الفهم أن المراد المدينة النبوية وإذا أريد غيرها بلفظ «المدينة» فلا بد من قيد فهى كالنجم للثريا.

ثانيا: طابة أو طيبة: وهذا الاسم مشتق من الطيب وهو الطاهر لطهارتها من أدناس الشرك أو لحلول الطيب بها ﷺ أو لكونها كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها. وقال بعض أهل العلم: فى طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية.

وهذا دليل على تسميتها بذلك: ما رواه جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله تعالى سمّى المدينة طابا»** *.

* صحيح. رواه مسلم فى (الحج، ح/١٣٨٥، ٤٩١) والنسائى فى (الكبرى، ٢/٤٨٢، ح/ ٤٢٦٠) وأحمد (٥/٨٩، ١٠٢، ١٠٦).

(١) بيده السيف صلتًا: بفتح الصاد وضمها أى مسلولاً.

(٢) صحيح. رواه مسلم (٢٢٦٤، ٢٢٦٥) وابن ماجة (ح/٤٠٧٤) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٣٧٤، ٤١٨) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٥/٤١٧).

(٣) تاهت به سفينته: أى سلكت عن الطريق.

(٤) صحيح. رواه مسلم (٢٢٦٥) والبيهقى فى (دلائل النبوة، ٥/٤١٧).

يتبع الدّجّال من يهود أصبهان سبعون ألفاً

عن أنس بن مالك أنَّ رسول اللهﷺ قال : «**يتبع الدَّجَّال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطَّيالسة**» [(١)].

وعن أبى الزبير أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتنى أم شريك أنَّها سمعت النبى ﷺ يقول: «**لينفرنَّ النَّاس من الدَّجال فى الجبال. قالت أم شريك : يا رسول الله فأيَن العرب يومئذ؟ قال: هم قليل**» [(٢)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم**» [(٣)].

*****

وصف الدجال

وصفت الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بأوصاف دميمة تبين قبح الدجال وأنه فتنة يخرجه الله تعالى قبل القيامة . ومن هذه الأحاديث الشريفة : عن الفلتان بن عاصم عن النبى ﷺ قال: « **أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه اندفاء** » [(٤)].

وعن عبد الله بن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ يومًا بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال: «**إن الله ليس بأعور ألا إنَّ المسيح الدجال أعور العين كأن عينه عنبة طافية**»[(٥)].

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١٢٤) والمشكاة (١٨٧) وابن عساكر فى (التاريخ، ٢/ ١٠٠).

(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١٢٥) والترمذى (ح/ ٣٩٣٠) وأحمد (٦/ ٣٦٢) والمشكاة (٥٤٧٧).

(٣) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١٢٩) والمشكاة (٤٥٦٥) والمشكل (١/ ٤٢٠) والمنحة (٢٤٤٠، ٢٧٧٠).

(٤) إسناده صحيح. رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٥. ١٢٩).

(٥) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ١٦٢، ٢٠٢، ٩/ ٧٥، ١٤٨) ومسلم فى (الفتن، ح/ ٩٥، ١٠٠).

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمته من منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء. واضعًا يده على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟**

فقالوا: هذا المسيح ابن مريم. ورأيت وراءه رجلاً جعدًا قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس باب قطن وواضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت.

فقلت: من هذا؟

قالوا: هو المسيح الدجال [(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺقال: «**الدجال أعور جعد هجان أقمر كأن رأسه غصنة شجرة. أشبه الناس بعبد العزى بن قطن الخزاعي فأما أهلك الهلك فإنه أعور وإن الله ليس بأعور**» [(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أما مسيح الضلالة فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض المنحر فيه اندفاء مثل قطن بن عبد العزى» فقال له الرجل: أيضرني يا رسول الله ﷺ شبهه؟ فقال: «لا أنت مسلم وهو كافر**» [(٣)].

وعن أبي بن كعب قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ أو قال: ذكر النبي ﷺ الدجال فقال: «**إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعوذ بالله من عذاب القبر**» [(٤)].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة**»[(٥)].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذَّاب ألا إنه أعور وإنَّ ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر**» [(٦)].

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخاري (٤/ ٢٠٢) ومسلم في (الإيمان، ح/ ٢٧٤).

(٢) إسناده صحيح. أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٧٤).

(٣) إسناده صحيح. أورده القرطبي في «التذكرة» (ص/ ٢١٠).

(٤) إسناده صحيح. رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٢٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٦٣).

(٥) إسناده صحيح. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٧٢) وأحمد في «المسند» (١/ ٤، ٧).

(٦) صحيح. رواه مسلم في (الفتن، ح/ ١٠١) والترمذي (ح/ ٢٢٤٥) وأحمد في (المسند، ٣/ ١٧٣، ٢٧٦).

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ: «**أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة**»(١).

وفى رواية: « أن الظفرة فى العين اليسرى» (٢).

والظفرة: لحمة تنبت عند المآقى.

وقيل: جلدة تخرج فى العين من الجانب الذى يلى الأنف ولا يمنع أن تكون فى العين الصحيحة بحيث لا توارى الحدقة بأسرها بل تكون على حدتها.

وعن عبادة بن الصامت فى وصف الدجال: « **رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء أو حجراء**» (٣).

والأفحج: من الفحج. وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين. وقيل: هو الذى فى رجليه إعوجاج والجحراء: العميقة. والحجراء: المتصلبة.

وفى حديث: « كأنها كوكب درى» (٤) ولعلها أبين لأن المراد بوصفها بالكوكب شدة اتقادها. وهذا بخلاف وصفها بالطمس.

قال ابن العزى: فى اختلاف صفات الدجال بما ذكر من النقص بيان أنه لا يدفع النقص عن نفسه كيف كان. وأنه محكوم عليه فى نفسه.

وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنِّى لخاتم ألف نبيٍّ أو أكثر. وإنَّه ليس منهم نبيٌّ إلاَّ وقد أنذر قومه الدجَّال. وإنَّه قد تبيَّن لى ما لم يَتَبيَّن لأحدٍ منهم. وإنَّه أعور وإنَّ ربَّكم ليس بأعور**» (٥).

❖❖❖❖❖

(١) إسناده حسن. رواه أحمد فى (المسند، ٥/ ٢٢١).

(٢) إسناده صحيح. رواه أحمد فى «المسند» (٣/ ١١٥) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٦) وعزاه إليه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه.

(٣) إسناده ضعيف. رواه أبو داود (ح/ ٤٣٢٠) وأحمد فى (المسند، ٥/ ٣٢٤) وفى إسناده: بقية بن الوليد وهو مدلس.

(٤) فتح البارى: (١٣/ ١٠٥).

(٥) إسناده حسن. أورده ابن كثير فى «الفتن والملاحم» (١/ ١٤٣) وقال: « تفرد به البزار وإسناده حسن ولفظه غريب جداً».

فتنة الدجال

يعطى الله سبحانه وتعالى للدجال من الفتن من يراه يصنعها يظن أن الدجال هو «الله» والعياذ بالله تعالى. وذلك ليمحص الله المؤمنين عن إيمانهم وليعلم من هو فى الضلال المبين. وقد أشارت الأحاديث النبوية بذلك:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يتبع الدجال من أمتى سبعون ألفًا عليهم السيجان**» [1]. والسيجان: جمع الساج وهو طيلسان أخضر.

وعن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبى ﷺ عن الدَّجَّال أكثر مِمَّا سألته - وقال ابن نمير: أشد سؤالاً منِّى - فقال لى: « ما تسأل عنه؟» قلت: إنهم يقولون: إنَّ معه الطعام والشَّراب. قال: « **هو أهون علىَّ من ذلك**» [2].

وعن النَّواس بن سمعان الكلابى قال: ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال الغداة فخفض فيه ورفع. حتى ظننا أنه فى طائفة النخل. فلما رحنا إلى رسول الله ﷺ عرف ذلك فينا. فقال: « **ما شأنكم؟**» فقلنا: يا رسول الله! ذكرت الدَّجَّال الغداة. فخفضت فيه ثم رفعت. حتى ظننا أنه فى طائفة النَّخل. قال: « غير الدجال أخوفنى عليكم: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه. والله خليفتى على كل مسلم. إنَّه شاب قطط عينه قائمة كأنّى أشبِّهه بعبد العزى بن قطن. فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف - إنَّه يخرج من خلَّة [3] بين الشَّام والعراق فعاث [4] يميناً وعاث شمالاً. يا عباد الله! اثبتوا» [5]. قلنا: يا رسول الله! وما لُبْثُه فى الأرض؟ قال: « أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيَّامه كأيَّامكم».

قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة اليوم؟ قال: « فاقدروا

(١) أورده القرطبى فى « التذكرة» (ص/ ٦١١).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٩/ ٧٤) ومسلم فى (الأدب، ح/ ٣٢) وفى (الفتن، ح/ ١١٤، ١١٥) وابن ماجة (ح/ ٤٧٤) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢).

(٣) خلة: أى طريق بينهما.

(٤) فعاث: من العبث. وهو أشد الفساد.

(٥) يا عباد الله أثبتوا: قال القاضى أبو بكر: هذا من كلام النبى ﷺ تثبيتًا للخلق أى اثبتوا على الإسلام يحذرهم من الفتنة.

له قدره». قال: قلنا: فما إسراعه فى الأرض؟ قال: « كالغيث استدبرته الريح».

قال: « فيأتى القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون له ويؤمنون به. فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمدَّه خواصر.

ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردُّون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ما بأيديهم شيء. ثم يمرُّ بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحل. ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف ضربة فيقطعه جزلتين. رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه ينحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريحه نفسه إلا مات.

ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لُدٍّ فيقتله. ثم يأتى نبى الله عيسى قومًا قد عصمهم الله فيمسح وجوهم ويُحَدِّثهم بدرجاتهم فى الجنة. فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه: يا عيسى! إنِّى قد أخرجت عبادًا لى لا يَدَان لأحد بقتالهم وأحرز [١] عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: من كل حدب ينسلون [٢].

فيمرّ أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها. ثم يمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان فى هذا ماء مرَّة ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثّور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم.

فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النَّغق [٣] فى رقابهم فيصبحون فَرْسَى [٤] كموت نفس واحدة ويهبط نبى الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم.

---

(١) وأحرز: من الإحراز وهو الجمع والضم والإدخال فى الحرز.
(٢) ينسلون: أى يسرعون.
(٣) النغف: دود يكون فى أنف الإبل والغنم واحدته نغفة.
(٤) فرسى: كقتلى. لفظاً ومعنى. واحدهم فريس.

فيرغبون إلى الله سبحانه فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت [١].

فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثُمَّ يرسل اللهُ عليهم مطرًا لا يكن [٢] منه بيتُ مُدَرٍ [٣] ولا وبَرٍ. فيغسله حتى يتركه كالزلقة. ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرتك وردِّى بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها.

ويبارك الله فى الرِّسل حتّى إنَّ اللقَحة [٤] من الإبل تكفى الفئام [٥] من النَّاس. واللقحة من البقر تكفى القبيلة. واللقحة من الغنم تكفى الفخذ.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحًا طيبةً فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم. ويبقى سائر الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» [٦].

الزلقة: اختلفوا فى معناه. قيل: كالمرآة. وقيل: كمصانع الماء. أى إن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذى يجتمع فيه الماء.

العصابة: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين. ولا واحد لها من لفظها.

بقحفها: هو مقعر قشرها. شبهها بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ. وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

والفخذ. هم الجماعة من الأقارب وهم دون البطن. والبطن دون القبيلة. قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير.

ويتهارجون: قال الإمام النووى: أى يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك. والهرج بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته أى جامعها يهرجها بفتح الراء وكسرها وضمها.

وعن حذيفة عن النبى ﷺ أنَّه قال فى الدجال: « **إنَّ معه ماءً ونارًا فناره ماء بارد**

---

(١) البخت: هى جمال طوال الأعناق. واحدها بُختى.
(٢) لا يكنّ: أى لا يستر ولا يقى.
(٣) بيت مدر: هو الطين الصلب.
(٤) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج.
(٥) الفئام: الجماعة الكثيرة.
(٦) صحيح. رواه ابن ماجة فى: الفتن، (ح/ ٤٠٧٥).

وماؤه نار فلا تهلكوا» (١).

قال أبو مسعود: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

وعن ربعى بن حراش قال: اجتمع حُذيفة وأبو مسعود فقال حذيفة: لأنا بما مع الدَّجَّال أعلم منه إنَّ معه نهرًا من ماء ونهرًا من نار فأمَّا الذى ترون أنَّه نار ماء وأمَّا الذى ترون أنَّه ماء نار فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذى يراه أنَّه نار فإنه سيجده ماء (٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« ألا أخبركم عن الدَّجَّال حديثًا ما حدَّثه نبي قومه إنَّه أعور وإنَّه يجيء معه مثل الجنَّة والنَّار فالتى يقال: إنَّها الجنَّة هى النَّار وإنِّى أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»** (٣).

عن ثعلبة بن عباد العبدى من أهل البصرة قال: شهدت يومًا خطبة سمرة (٤) فذكر فى خطبته حديثًا فى صلاة الكسوف أنَّ رسول الله ﷺ خطب بعد صلاة الكسوف خطبة قال فيها:

« والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليُسرى كأنَّها عين أبى يحيى. وأنَّه متى يخرج أو قال: متى يخرج فإنه سوف يزعم أنَّه الله. فمن آمن به وصدَّقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله سَلَف.

ومن كفر به وكذبه لم يُعَاقبْ بشىء من عمله. وقال الحسن: بشىء من عمله سلف وإنه سوف يظهر على الأرض كلِّها إلاَّ الحرم وبيت المقدس. وإنَّه يُحْصَرُ المؤمنون فى بيت المقدس ويزلزلون زلزالاً شديداً ثم يهلكه الله حتى إنَّ هدم الحائط وأصل الشجرة لينادى :يا مؤمن هذا يهودى وقال : هذا كافر فقال: قتله. ولكن لا يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً يتفاقم بشأنها فى أنفسكم. فتساءلون بينكم هل كان نبيُّكم ذكر لكم منها؟ ذكراً وحتى نزول جبال عن مراتبها» (٥).

---

(١) مسلم بشرح النووى: (كتاب الفتن، ١٨/ ٦٢).

(٢) المصدر السابق: (كتاب الفتن، ١٨/ ٦٢).

(٣) المصدر السابق: (كتاب الفتن، ١٨/ ٦٢).

(٤) سمرة بن جُندب بن هلال الفزارى حليف الأنصار صحابى مشهور له أحاديث. مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين. (تقريب: ١/ ٣٣٣).

(٥) رواه ابن أبي شيبة فى (المصنف، ١٥/ ١٥١) واورده السيوطى فى (المنثور، ٥/ ٣٣٥).

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: « **إنَّ الدجال خارج وهو أعور العين الشّمال عليها ظفرة غلظة وإنه يُبرئ الأكمة والأبرص ويحيى الموتى ويقول: أنا ربكم فمن قال: أنت ربى فقد فتن. ومن قال: ربِّى الله حتى يموت فقد عُصِمَ من فتنة ولا فتنة عليه ولا عذاب . فيلبث فى الأرض ما شاء الله . ثم يجىء عيسى ابن مريم من قبل المغرب مصدقاً بمحمد وعلى مِلَّته فيقتل الدَّجَّال ثُمَّ إنَّما هو قيام الساعة**»[1].

وعن سمرة أيضًا أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: « **إنَّ المسيح الدَّجَّال أعور العين الشّمال عليها ظفرة غليظة وإنَّه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ويقول: أنا ربكم. فمن اعتصم بالله فقال: ربى الله ثُمَّ أبى ذلك حتى يموت فلا عذاب عليه ولا فتنة. ومن قال: أنت ربى يلبث ثُمَّ يجىء عيسى ابن مريم من المشرق مُصَدِّقًا بمحمد-ﷺ-وعلى ملَّته ثُمَّ يقتلُ الدَّجَّال**» [2].

وعن هشام بن عامر أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ رأس الدَّجَّال من ورائه حُبُك حُبُك. فمن قال: أنت ربى افتتن. ومن قال: كذبت. ربى الله عليه توكلت فلا يضرُّهُ أو قال: فلا فتنة عليه**» [3].

وعن أبى رافع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **وإنَّ من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت. وإن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من بيوتهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأرده ضروعًا وأنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيها من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقي منافق ولا منافقة إلا خرج إليه. فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**» [4].

---

(١) إسناده جيد أخرجه ابن عساكر فى (التاريخ، ١/ ٩٦) وأورده السيوطى فى (المنثور، ٢/ ٢٤٢) والهيثمى فى (مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٦).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ١٦٤، ٢/٢، ٩/٧٥، ١٤٨) ومسلم فى (الفتن، ح/ ١٠٠) والطبرانى فى (الكبير ٧/ ٣١٠).

(٣) صحيح. رواه أحمد فى (المسند، ٤/ ٢٠) والحاكم (٤/ ٥٠٨) وصححه. وعبد الرزاق فى (المصنف، ح/ ٢٠٨٢٨) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٢).

(٤) انظر: التذكرة للقرطبى (ص/ ٦٢٠ ـ ٦٢١).

النجاة من فتنة الدجال

إذا كان الدجال فتنة فإن الله سبحانه وتعالى جعل لهذه الفتنة مخرجاً. روى عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال** » (1).

وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال** » (2).

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من قرأ سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض** » (3).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين** » (4).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: « **من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق** » (5).

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: « **من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين** » (6).

---

(1) صحيح. رواه مسلم (٥٥٥) وأبو داود (ح/ ٤٣٢٣) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٤٤٩) والحاكم (٢/ ٣٦٨) والصحيحة (ح/ ٥٨٢).

(2) صحيح. رواه مسلم فى (المسافرين، ح/ ٢٥٧) وأبو داود فى (الملاحم.، باب «١٤») والترمذى فى (ثواب القرآن، باب «٦») وأحمد فى (المسند، ٦/ ٤٦٦).

(3) إسناده حسن. رواه أحمد فى (المسند، ٣/ ٤٣٩) والبغوى (٤/ ٢٣٨) وذكره القرطبى فى (التفسير، ١١/ ٧٢).

(4) أورده الزبيدى فى (إتحاف السادة المتقين، ٣/ ٢٤١) والقرطبى فى (التفسير، ١٠/ ٣٤٦).

(5) صحيح. رواه الحاكم (١/ ٥١١، ٥٦٤، ٥٦٥) والبيهقى فى (الكبرى، ٣/ ٢٤٩) وذكره ابن كثير فى (التفسير، ٥/ ١٣١) وصححه الحاكم. ووافقه الذهبى.

(6) إسناده جيد. أورده المنذرى فى (الترغيب، ١/ ٥١٣).

وعن الحسين بن على عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام وإن خرج الدجال عصم منه** »[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ من فتنة المسيح الدجال ويعلم أصحابه أن يستعيذوا منه فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوذ فى دبر كل صلاة من أربع يقول: « **أعوذ بالله من عذاب القبر وأعوذ بالله من عذاب القبر وأعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأعوذ بالله من فتنة الأعور الكذاب** »[(٢)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ أمر صحابته فقال: « **استعيذوا بالله من عذاب جهنم استعيذوا بالله من عذاب القبر استعيذوا بالله من فتنة المسيح الدجال واستعيذوا بالله من فتنة المحيا والممات** »[(٣)].

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: « **اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم. وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** »[(٤)].

قال الإمام مسلم[(٥)] بعد أن روى هذا الحديث فى صحيحه: بلغنى أن طاوسًا[(٦)] قال لابنه: أَدَعْوَتَ بها فى صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعد صلاتك لأن طاوُسًا رواه عن ثلاثة أو أربعة أو كما قال.

قال النووى: هذا يدل على تأكيد هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه. وظاهر

---

(١) إسناده جيد أورده الزبيدى فى (إتحاف السادة المتقين، ٣/ ٢٩٢).

(٢) إسناده حسن. أخرجه أحمد فى (المسند، ١/ ٢٩٣، ٤/ ٢٩٥) وعبد الرزاق، ح/ ٦٧٣٧) وأبو نعيم فى (الحلية، ٩/ ٥٦) والطبرانى فى (الكبير، ١٢/ ١٦٦).

(٣) إسناده صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٧٥٣) والترمذى (ح/ ٣٦٠٤) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٢٨٧، ٦/ ٣٦٢) والمشكاة (١٦٣٠).

(٤) صحيح. رواه مسلم فى (المساجد، ح/ ١٣٤) وأبو داود (ح/ ٩٨٠، ١٥٤٧) والترمذى (ح/ ٣٤٩٤) وابن ماجة (ح/ ٣٨٤٠) وأحمد (١/ ٢٤٢، ٢٥٨، ٣١١، ٣/ ٤٧٧).

(٥) مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيرى النيسابورى. ثقة حافظ إمام مصنف عالم الفقه مات سنة إحدى وستين وله سبع وخمسون سنة. (تقريب: ٢/ ٢٤٥).

(٦) طاوس بن كيسان اليمانى أبو عبد الرحمن الحميرى مولاهم الفارسى يقال: اسمه ذكوان وطاوس لقب. ثقة فقيه فاضل من الثالثة. مات سنة ست ومائة. وقيل: بعد ذلك. (تقريب: ١/ ٣٧٧).

كلام طاوس رحمه الله أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته. وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه. والله أعلم.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ « **يستعيذ فى صلاته من فتنة المسيح الدجال** » (1).

وعنها - أيضاً - رضى الله عنها قالت: إنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو فى الصلاة يقول: « **اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر. وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال. وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** » (2).

❖❖❖❖❖

أوصاف رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام

وصف القرآن الكريم والسنة الشريفة عيسى ابن مريم عليه السلام بأوصاف يعرفه المسلمون من خلالها وقت نزوله من السماء إلى الأرض:

يقول الله تعالى: **﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) ﴾**

[سورة النساء: الآيتان: 157، 158].

قال العلامة ابن كثير: وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التى كان يبرئ لها الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشاهد طيرانه بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا فى أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبى الله عيسى عليه السلام لا

(1) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الأذان، ح/ 833) ومسلم فى (المساجد، ح/ 168).

(2) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الأذان، ح/ 832) ومسلم فى (المساجد، ح/ 128 - 129) والترمذى (ح/ 3495) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يساكنهم فى بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق فى ذلك الزمان.

وكان رجلاً مشركاً من عبدة الأوثان وكان يقال لأهل ملته: اليونان وأنهوا إليه أن فى بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس.

فلما وصل الكتاب امتثل والى بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذى فيه عيسى عليه السلام وهو فى جماعة من أصحابه: اثنى عشر أو ثلاثة عشر. وقيل: سبعة عشر نفرًا. وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحصروه هنالك.

فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم. قال لأصحابه: أيكم يلقى عليه شبهى وهو رفيقى فى الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه فى الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا فى صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان فى البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه.

وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال: إنه خاطبها والله أعلم. وهذا كله من امتحان الله عباده لما له فى ذلك من الحكمة البالغة وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره فى القرآن العظيم الذى أنزله الله على رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين المطلع على

السرائر والضمائر الذى يعلم السر فى السموات والأرض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وروى ابن جرير بإسناده عن وهب بن منبه[1] قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً. فقال عيسى لأصحابه: من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة؟ [2].

فقال رجل منهم: أنا. فخرج إليهم وقال: أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه. ثم شبه لهم فظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظن النصارى مثل ذلك أنه عيسى؛ ورفع الله عيسى من يومه ذلك.

وروى ابن جرير بإسناده عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبًا يقول: إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً.

فقال: احضرونى الليلة فإن لى إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه.

فقال: ألا من رد على الليلة شيئاً مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن لكم بى أسوة فإنكم ترون أنى خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسى لكم. وأما حاجتى الليلة التى استغثتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء.

فجعلَ يوقظَهم ويقول: سبحان الله أما تصبرون لى ليلة واحدة تعينونى فيها

---

(١) وهب بن منبه بن كامل اليمانى أبو عبد الله الأبناوى بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون. ثقة من الثالثة. مات سنة بضع عشرة. (تقريب: ١/ ٣٣٩).

(٢) انظر: القصة فى [تفسير ابن كثير، سورة آل عمران آية: ١٥٧].

فقالوا: والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرًا وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه.

فقال: يذهب الراعى وتفرق الغنم. وجعل يأتى بكلام نحو هذا ينعى به نفسه ثم قال: ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة.

وقال: ما أنا بصاحبه فتركوه. ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه. فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل [illegible] فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحيى الموتى وتنهر الشياطين وتبرأ المجنون أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل؟

ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعًا ثم إن أمه والمرأة التى كان يداويها عيسى عليه السلام فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءهم عيسى فقال: ما تبكيان؟

فقالتا: عليك.

فقال: إنى رفعنى الله إليه ولم يصبنى إلا خير وإن هذا شبه لهم فأمر بي الحواريين يلقونى إلى مكان كذا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقدوا الذى كان باعه ودل عليه اليهود.

فسأل عنه أصحابه فقال: إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال: لو تاب لتاب الله عليه. ثم سألهم عن غلام تبعهم يقال له: يحيى. فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان يحدث بلغة فلينذرهم ويدعهم [1].

ووردت فى السنة النبوية أحاديث كثيرة تصف عيسى عليه السلام إذا نزل من السماء إلى الأرض كى يعرفه المؤمنون وقتئذ منها:

---

(١) قال ابن كثير: هذا سياق غريب جدًا.

حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **ليس بينى وبينه نبى - يريد عيسى عليه السلام - وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلٌ مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرين. كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدقُّ الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. ويهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون** » [1].

وفى رواية عنه - أيضًا - عن النبى ﷺ قال: « **ولقيت عيسى - يعنى ليلة الإسراء - ربعة أحمر. كأنما خرج من ديماس - يعنى الحمام - ......** ».

وفى رواية عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « **رأيت عيسى أحمر جعد عريض الصدر** » [2].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « **رأيت الليلة عند الكعبة فى المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يُرى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه. رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعًا يديه على منكبيّ رجلين يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم** » [3].

نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال

قال الإمام النووى: ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء حاكمًا بشرعنا ونزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك. وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله فوجب إثباته.

وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وبقوله ﷺ: «**لا نبى**

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفضائل، ح/ ١٤٣، ١٤٤) وأورده ابن كثير فى (البداية، ١٣/ ٨٥).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ١٤١) ومسلم فى (الإيمان، ح/ ٢٦٨) وأحمد فى (المسند، ١/ ٢٤٥، ٢٥٩).

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الأنبياء، ح/ ٤٨) ومسلم فى (الأيمان، ح/ ٢٧٣، ٢٧٤) والترمذى فى (المناقب، باب «٨») والنسائى فى (الزينة، باب «٦») وابن ماجة فى (اللباس، باب «٣٦») وأحمد فى (المسند، ٣/ ١٣٥، ٢٠٣، ٢٤٠).

بعدى» (١) وبإجماع المسلمين أنه لا نبى بعد نبينا ﷺ. وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ.

وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيًا بشرع ينسخ شرعنا ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غيرها شىء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا. وأن عيسى عليه السلام ينزل حكمًا مقسطًا بحكم شرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس.

عن عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها. لقد همت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا. إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا يحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **« يخرج الدَّجَّال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنَّه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث النَّاس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشَّام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه** مثقال ذرَّة من خير أو إيمان إلاَّ قبضته حتَّى لو أنَّ أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت **عليه حتى تقبضه. قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: فيبقى شرار الناس فى خفَّة الطير وأحلام السِّبَاع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثَّل لهم الشَّيطان فيقول: ألا تستجيبون فيقولون: فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه رجل يلوط حوض إبله. قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرًا كأنَّه الطَّل أو الظِّل نُعمان الشَّال فتنبت منه أجساد النَّاس ثمَّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها النَّاس هَلُمَّ إلى ربِّكم وقفوهم إنهم مسؤلون. قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النَّار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كُلِّ سَبعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبًا وذلك يوم يكشف عن ساق»** (٢).

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الإمارة، ح/ ٤٤) والترمذى (ح/ ٣٧٢٤) واحمد فى (المسند، ١/ ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢) والبيهقى فى (الكبرى، ٨/ ١٤٤).

(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ١١٦) واحمد فى (المسند، ٢/ ١٦٦) والحاكم (٤/ ٥٥٠) وصححه. ووافقه الذهبى.

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثًا حدَّثناه عن الدَّجَّال. وحذَّرناه. فكان من قوله أن قال: «إنَّه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرِّية آدم أعظم من فتنة الدجال. وإنَّ الله لم يبعث نبيًا إلاَّ حذَّر أمَته الدَّجَّال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة. وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم. وإن يخرج من بعدى فكلّ امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم وإنَّه يخرج من خلَّة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا ويعيث شمالاً. يا عباد الله! فاثبتوا فإنِّى سأصفه لكم صفة لم يصفها إيَّاه نبىٌّ قبلى. إنَّه يبدأ فيقول: أنا نبى ولا نبى بعدى. ثمَّ يثنِّى فيقول: أن ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإنَّ ربَّكم ليس بأعور وإنَّه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب وإن من فتنته أنَّ معه جنَّة ونار. فناره جنَّة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النَّار على إبراهيم. وإن من فتنته أن يقول لأعرابىّ: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنِّى ربُّكَ؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطاناً فى صورة أبيه وأمه. فيقولان: يا بنىَّ! اتبعه. فإنه ربَّك. وإنَّ من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين. ثم يقول: انظروا إلى عبدى هذا فإنِّى أبعثه الآن ثم يزعم أنَّ له ربًا غيرى فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربُّكَ؟ فيقول: ربِّى الله وأنت عدو الله. أنت الدجَّال. والله! ما كنت بَعد أشدَّ بصيرة بك من اليوم».

قال أبو سعيد: والله! ما كُنَّا نرى ذلك الرَّجل إلاَّ عمر بن الخطاب حتَّى مضى لسبيله.

قال المحاربى: ثم رجعنا إلى حديث أبى رافع. قال: رسول الله ﷺ: «**وإنَّ من فتنته أن يأمر السَّماء أن تمطر فتمطر. ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وإنَّ من فتنة أن يمرَّ بالحىِّ فيكذِّبونه. فلا تبقى لهم سائمة إلاَّ هلكت. وإنَّ من فتنة أن يمرَّ بالحىِّ فيصدِّقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدَّه خواصر وأدرَّه ضروعًا. وإنَّه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلاَّ لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف**

المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلاّ خرج إليه فتنفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص» (١).

فقالت أم شريك بنت أبى الهكر: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ قال: « هم يومئذ قليل. ، جُلُّهم ببيت المقدس وإمامهم برجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يُصلى بهم الصُّبح إذ نـزل عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصلّ فإنَّها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم. فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب فينفتح وراءه الدَّجَّال معه سبعون ألف يهوديا كلُّهم ذو سيوف محلى وساج. فإذا نظر إليه الدَّجَّال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربًا. ويقول عيسى عليه السلام: إنَّ لى فيك ضربةً لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللُّدِّ الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلاّ أنطق الله ذلك الشيء. لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة (إلا الغرقدة فإنَّها من شجرهم لا تنطق) إلا قال: يا عبد الله المسلم! هذا يهودى. فتعال اقتله».

قال رسول الله ﷺ: « **وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيَّامه كالشَّررة. يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى**» فقيل له: يا رسول الله! كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال ثم صلوا». قال رسول الله ﷺ: فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام فى أمتى حكماً عدلاً وإمامًا مقسطاً يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وتدفع الشَّحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حُمَة حتى يُدخل الوليد يده فى الحيَّة فلا تضرُّه. وتفرُّ الوليدة الأسد فلا يضرُّها. ويكون الذئب فى الغنم كأنَّه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتُسلبُ قريش ملكها وتكون الأرض كفاثورة الفضَّة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النَّفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النَّفر على الرُّمَّانة فتشبعهم. ويكون الثَّور بكذا وكذا من المال. وتكون الفرس بالدُّريهمات».

قالوا: يا رسول الله! وما يرخص الفرسَ؟ قال: « لا تركبُ لحرب أبدًا» قيل له: فما يُغلى الثَّوْرَ؟ قال: « تحرثُ الأرض كلَّها. وإنَّ قبل خروج الدَّجَّال ثلاث سنوات

(١) أورده الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى» (١٣/ ٩٩).

شداد يُصيبُ النَّاسَ فيها جوع شديد. يأمر الله السَّماء في السَّنة الأولى أن تحبِسَ ثُلثَ مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السَّماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كلّه فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلاَّ هلكت إلا ما شاء الله».

قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: « التهليل والتكبير والتَّسبيح والتَّحميد ويجرى ذلك عليهم مجرى الطَّعام» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكمًا مقسطا وإمامًا عادلاً. فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (٢).

(١) اسناده صحيح. رواه ابن ماجة في: (٣٦ ـ كتاب الفتن، باب «٣٣»، ح/ ٤٠٧٧).
غريبه: نقب: هو طريق بين جبلين.
صلتة: أي مجردة: يقال: أصلت السيف إذا جرَّده من غمده وضربه بالسيف صَلْتًا وصُلْتًا.
الظريب: تصغير ظرب بوزن كتف. والظراب: الجبال الصغار.
السبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الأشجار.
ترجف: أصل الرجف الحركة والاضطراب. أي تتزلزل وتضطرب.
الخبث: هو ما تلقيه النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا.
ينكص: النكوص الرجوع إلى الوراء. وهو القهقرى.
وساج: الساج هو الطيلسان الأخضر. وقيل: الطيلسان المقوَّر ينسج كذلك.
لن تسبقني بها: أي لن تفوتَّها عليَّ. بباب اللدّ. في النهاية: لدّ موضع بالشَّام. وقيل: بفلسطين.
الغرقدة: هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك. كالشررة: واحدة الشرر. وهو ما يتطاير من النَّار.
حكمًا: أي حكمًا بين النَّاس. مقسطًا: أي عادلاً في الحكم.
يدق الصليب: أي يكسره بحيث لا يبقى من جنس الصليب شيئاً.
يذبح الخنزير: أي يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد والحاصل أن يبطل دين النصارى.
فيترك الصدقة: أي الزكاة لكثرة المال. فلا يسعى: قال في النهاية: أي يترك ذكاتها فلا يكون لها سَماع.
حمة: بالتخفيف السَّمّ ـ ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة لأنَّ السمّ منها يخرج.
تفر: أي تحمله على الفرار.
كفاثور الفضة: الفاثور الخوان. وقيل: هو طست أو جام من فضة أو ذهب.
القطف: العنقود. وهو اسم لكل ما يقطف. كالذِّبح والطحن.
فلا تقطر قطرة: في المصباح: يتعدى ولا يتعدى. هذا قول الأصمعي. وقال أبو زيد: لا يتعدى بنفسه بل بالألف.
الظِّلف: في المنجد: هو لما اجترّ من الحيوانات كالبقرة والظبي. بمنزلة الحافر للفرس.
(٢) إسناده صحيح. رواه ابن ماجه في (٣٦ ـ كتاب الفتن، باب «٣٣»، ح/ ٤٠٧٨).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **كيف أنتم إذا نزل عيسى ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟** وفى رواية: « فأمكم منكم». قال ابن أبى ذئب: تدرى ما إمامكم؟ قلت: تخبرونى؟ قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم» (١).

وعنه عن النبى ﷺ قال:

« **والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بنفج من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما**»(٢).

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ليدركن المسيح ابن مريم رجالاً من أمتى مثلكم أو خيراً منكم**» (٣).

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ينزل عيسى ابن مريم على ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى**» (٤).

قال القرطبى: ويقال: إنه يتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال وتلد له بنتًا فتموت ثم يموت هو بعدما يعيش سنتين» (٥).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **يمكث عيسى فى الأرض بعدما ينزل أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه**» (٦).

وقال كعب الأحبار: إن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض أربعين سنة ويكثر الخير على يديه وتنزل البركات فى الأرزاق حتى إن العنبة ليأكل منها الرجل حاجته ويفضل والقطف من العنب يأكل منه الجمع الغفير والخلق الكثير حتى إن الرمانة لتثقل

(١) صحيح. رواه مسلم (١٥٥، ٢٤٤) والمسند لأبى عوانة (١/ ١٠٦).
(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الحج، ٢١٦).
(٣) إسناده صحيح. أخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف، ٥/ ٢٩٩) وأورده ابن حجر فى (الفتح، ٧/ ٦).
(٤) إسناده ضعيف. أخرجه أبو نعيم فى « تاريخ أصبهان» (٢/ ١٢٢).
(٥) انظر: التذكرة للقرطبى (ص/ ٦٢٣).
(٦) أخرجه أبو داود الطيالسى (ح/ ٢٥٤١).

الجمل وحتى إن الحى ليعبر بالميت فيقول: قم فانظر ما أنزل الله من البركة.

وأنّ عيسى عليه السلام يتزوج بامرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين فيسمى أحدهما: محمد والآخر موسى. ويكون الناس معه على خير وفى خير الزمان وذلك أربعين سنة ثم يقبض الله روح عيسى ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبى ﷺ فى الحجرة. ويموت خيار الأمة ويبقى شرارها فى قلة من المؤمنين. فذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ** » (١).

وذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم وهذا أمر مردود بالأخبار التى ذكرناها من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وبقوله تعالى: ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله عليه الصلاة والسلام: « **لا نبى بعدى** » (٢). وقوله ﷺ: « **وأنا العاقب** » (٣). يريد آخر الأنبياء وخاتمهم.

وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر النبى ﷺ حيث قال لعمر: « **لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعى** » (٤).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة** » (٥).

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الإيمان، ح/ ٢٣٢) وابن ماجه (ح/ ٣٩٨٦، ٣٩٨٨) والمشكل (١/ ٢٩٨) والخطيب فى « التاريخ» (٣/ ٢٧٢، ١١/ ٣٠٧، ١٢/ ٢٥٧).

(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الإمارة، ح/ ٤٤) وأحمد فى (المسند، ١/ ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢) والترمذى (ح/ ٣٧٢٤) والبيهقى فى (الكبرى، ٨/ ١٤٤).

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٤/ ٢٢٥) ومسلم فى (الفضائل، ح/ ١٢٤، ١٢٥) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٨٠، ٨٤) وابن سعد فى (الطبقات، ١/ ١/ ٦٥).

(٤) إسناده حسن. رواه أحمد فى (المسند، ٣/ ٣٣٨) ومختصر العلو (٦١) وأورده السيوطى فى (المنثور، ٢/ ٤٨، ٥/ ١٤٧).

(٥) صحيح. رواه مسلم فى (الرمارة، ح/ ١٧٤) وأبو داود فى (الفتن، ح/ ٢٤٨٤) والترمذى (ح/ ١٢٢٩، ٢١٩٢) وابن ماجه (ح/ ٦) وأحمد فى (المسند، ٤/ ٩٧، ٣٦٩، ٤٢٩، ٥/ ٢٧٨).

فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هى آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل فينزل حكمًا مقسطاً. وإذا صار حكمًا فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى قد قبض الله تعالى العلم وخلا الناس منه فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له فى السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به فى نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم.

إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال فى الأرض: الله الله على ما يأتى وهذا واضح.

*****

الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام فى ذلك الوقت دون غيره

ترجع الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام فى ذلك الوقت دون غيره لأسباب ثلاثة:

أولها: يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى فى كتابه وهم أبدًا يدعون أنهم قتلوه وينسبونه فى السحر وغيره إلى ما كان الله يراه نزهه منه ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته ولا كان لهم فى بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة.

ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة ويبايعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله تعالى الذى عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حيًا ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعى الربوبية فقتله.

وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين فلا يجدون يومئذ مهربًا وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه: يا روح الله ها هنا يهودى حتى يوقف عليه.. فإما أن يسلم وإما أن يقتل وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر.

الثاني: وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾ [طه: ٥٥] فينزله الله تعالى ويقبره فى الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه.

ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهى الأرض المقدسة فينشر إذا نشر معهم. فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق فى تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبار فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ولم ينتصب أحد من المؤمنين لقتلهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجرى قتله على يديه إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية.

فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصدًا.

الثالث: أنه وجد فى الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ حسب ما قال وقوله الحق: ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ** ﴾ [الفتح: ٢٩] فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد ﷺ. فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان مجددًا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فوافق خروج الدجال فقتله.

ولا يبدو على هذا أن يقال: إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهرانى الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره. فلذلك يقوم به وذلك داخل فى اتباع نبينا محمد ﷺ.

*****

إذا نزل عيسى عليه السلام يجد في أمة محمد ﷺ خلفًا من حوارييه

روى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول: فى الأصل الثالث والعشرين والمائة بإسناده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثنى خالد بن الوليد بشيرًا إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة [1] فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله فقال: « على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل. رحم الله زيدًا ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر حتى قتل. رحم الله جعفرًا ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل. رحم الله عبد الله بن رواحة. ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد. فخالد سيف الله المسلول». فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله. فقال: « ما يبكيكم؟ قالوا: وما لنا لا نبكى. قد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟ فقال: « لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها أصحابها فاجتبت رواكبها وهيأ مساكبها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجًا ثم عامًا فوجًا. فلعل آخرها عامًا طعما يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا ـ والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلفًا من حوارييه» [2].

وعن جبير [3] بن نفير قال: لما اشتد جزع أصحاب رسول الله ﷺ على من أصيب مع زيد بن حارثة يوم مؤتة .

قال رسول الله ﷺ: « **ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات. ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**» [4].

---

(١) مؤتة: بضم الميم وسكون الواو بغير همزة لأكثر الرواة وبه جزم المبرد. ومنهم من همزها وبه جزم ثعلب والجوهرى وابن فارس. وحكى صاحب «الواعى»الوجهين وأما الموتة التى ورد الاستعاذة منها وفسرت بالجنون فهى بغير همز. قال ابن إسحاق: هي بالقرب من البلقاء وقال غيره: هى على مرحلتين من بيت المقدس. ويقال: أن السبب فيها: أن شرحبيل بن عمرو الغسانى وهو من أمراء قيصر على الشام قتل رسولاً أرسله النبى ﷺ إلى صاحب بصرى واسم الرسول الحارث بن عمير فجهز إليهم النبى ﷺ عسكرًا فى ثلاثة آلاف.

وكانت غزوة مؤتة فى سنة ثمان من الهجرة فى شهر جمادى وانفرد خليفة فى تاريخه فقال: كانت سنة سبع من هجرة أبى القاسم ﷺ.

(٢) انظر: كنز العمال (ح/ ٣٠٢٤٣) والقرطبى فى (التذكرة، ص/ ٦٣٣).

(٣) جبير بن نُفير ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن مالك بن عامر الحضرمى الحمصى. ثقة جليل من الثانية مخضرم ولأبيه صحبة فكأنه هو ما رقد إلا فى عهد عمر. مات سنة ثمانية. وقيل: بعدها (تقريب: ١/ ١٢٦).

(٤) إسناده جيد. رواه ابن أبى شيبة فى (المصنف، ٥/ ٢٩٩) وذكره الحافظ فى « الفتح» (٧/ ٦).

ذكر أن ابن صياد: الدجال واسمه صاف ويكنى

أبا يوسف وسبب خروجه وصفه أبويه وأنه على دين اليهود

عن محمد (١) بن المنكدر قال: رأيت جابراً بن عبد الله يحلف بالله أنَّ ابن صياد: الدجال. فقلت له: أتحلف على ذلك؟! قال: إنى سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبى ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ (٢).

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: « والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد»(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خرجنا حجاجًا أو عماراً ومعنا ابن صياد. قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه. قال: وجاء بمتاعه فوضعه على متاعى. فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال: ففعل. فرفعت لنا غنم فانطلق يعس. فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بى إلا أن أكره أن أشرب عن يده أو قال: آخذه عن يده. فقال: أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفى عنكم معشر الأنصار - ألست من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ؟! أليس قد قال رسول الله ﷺ: « **هو كافر وأنا مسلم**». أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: « **لا يدخل المدينة ولا مكة**». **فقد أقبلت من المدينة وأنا بمكة**.

وفى رواية: « وقد حججت؟ قال أبو سعيد: حتى كدت أنى أعذره. ثم قال: أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن؟ قال: تبا لك سائر اليوم».

وفى رواية: قال أبو سعيد: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل أى الدجال؟ قال: فقال: لو أعرض علىَّ ما كرهت (٤).

وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد مرتين فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟

(١) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَيْر بالتصغير التيمى المدنى: ثقة فاضل من الثالثة. مات سنة ثلاثين أو بعدها. (تقريب: ٢/ ٢١٠).

(٢) انظر: « التذكرة» (ص/ ٦٣٤).

(٣) إسناده حسن. رواه أبو داود فى (الفتن، ح/ ٤٣٣٠).

(٤) صحيح. رواه مسلم (٢٩٢٧/ ٩٠ - ٩١).

قال: لا والله. قال: قلت: كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولدًا. فكذلك هو ما زعموا اليوم.

قال: فتحدثنا ثم فارقته. قال: فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه. قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري.

قال: قلت لا تدري وهي في رأسك. قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه. قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت. وأما أنا فوالله ما شعرت.

قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟

وعنه قال: انطلق رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يخيل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة. فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل: فقالت لابن صياد: يا صاف وهو راسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد. فقال رسول الله ﷺ: « **لو تركته بين** » (1).

وفي رواية: ثم قال له رسول الله ﷺ: « **إني قد خبأت لك خبئاً** » فقال ابن صياد: هو الدخ. فقال رسول الله ﷺ: « **اخسأ فلن تعدو قدرك** ».

فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: « **إن يكنه فلن تسلط عليه. وإن لم يكنه فلا خير في قتله** » (2).

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **يمكث أبو دجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد. ثم يولد لهما ولد أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه** » (3)

---

(1) صحيح. متفق عليه. رواه البخاري (2/ 118، 3/ 220) ومسلم في (الفتن، ح/ 95).
(2) صحيح. متفق عليه. رواه البخاري (ح/ 6173) ومسلم (2930).
(3) إسناده حسن. رواه أحمد في (المسند، 5/ 40، 49) والمشكاة (ح/ 5503) وابن أبي شيبة في (المصنف، 15/ 139).

ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: « **أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية طويلة اليدين**». قال أبو بكر: فسمعنا بمولود فى اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه. فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة وله همهمة فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عينى ولا ينام قلبى» (١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أنَّ يهوديًا أتى النبى ﷺ الحديث بطوله. وفى آخره: فأخبرنى عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس؟ قال: « هو من ولد آدم لا أنه من ولد إبليس. وأنه على دينكم معشر اليهود» (٢).

وقيل: إنه لم يولد بعد وسيولد فى آخر الزمان والأول أصح لما ذكرنا.

قال الخطابى: وقد اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول. وقد يسأل عن هذا فيقال: كيف يقارن رسول الله ﷺ من يدعى النبوة كاذبًا ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويجاوره فيها وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان وقوله بعد ذلك: اخسأ فلن تعدو قدرك.

وقال: والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفاؤهم وذلك أنه بعد مقدمه كتب بينه وبينهم كتابًا وصالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم.

---

(١) أخرجه الترمذى (ح/ ٢٢٤٨) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

(٢) ذكر القرطبى فى « التذكرة» (ص/ ٦٣٥) بتحقيقنا.

غريبه:

طوال: وطويل بمعنى واحد.

الضرْب: الرجل الخفيف اللحم.

قال طرفة:

أنا الرجل الضَّرْبُ الذى تعرفونه   خَشَاشٌ كراس الحية المُتَوَقِّد

وفى وصفه موسى عليه السلام: أنه ضرب من الرجال: أى خفيف اللحم.

وفى رواية: رجل مضطرب. (لسان العرب: ٢٥٦٩).

وامرأة فِرْضَاخَة: ضخمة غليظة كثيرة اللحم عريضة الثديين ويقال: فرضاخية أيضًا للمبالغة. (لسان العرب. ٣٣٨٩).

وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فى جملتهم وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنوه بذلك ليروا آية أمره ويخبر شأنه فلما كلمه علم أنه معطل وأنه من جملة السحرة والكهنة أو بمن يأتيه رئيس من الجنة أو يتعاهده شيطان فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به فلما سمع منه قول الدخ ترجزه وقال: «اخسأ ولن تعدو قدرك» يريد أن ذلك شىء ألقاه إليه الشيطان وأجراه على لسانه.

وليس ذلك من قبل الوحى إذا لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق. وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطئ فى بعض. وذلك معنى قوله: **« يأتى صادق وكاذب»** فقال له عند ذلك: خلط عليك.

❖❖❖❖❖

سبب خروج الدجال

روى عن حفصة بنت عمر[1] رضى الله عنهما أنها سمعت النبى ﷺ يقول: **« إن أول ما يبعثه على الناس غضبة يغضبها»**.

وفى رواية: « عند غضبه يغضبها».

وفى رواية: « لغضبة يغضبها» [2].

والنساء السبب فى هذه الغضبة:

روى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **« أول من يتبعه النساء فيؤذونه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق»** [3].

وأول من يتبعه النساء لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: **« أول من يتبعه النساء فيؤذونه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق»** [4].

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٩٩).
(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٩٨) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).
(٣) أورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٩) وقال: رواه الطبرانى فى « الأوسط» ورجاله رجال الصحيح. غير مكرم بن عقبة الضبى وهو ثقة.
(٤) أورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٩) وعزاه إلى الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح غير مكرم بن عقبة الضبى وهو ثقة.

وعن عبد الله بن معتم عن النبى ﷺ قال: « **يفارقه كل أحد من الخلق فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. ويكون أصحابه وجنوده المجوس واليهود والنصارى وهذه الأعاجم من المشركين**» (١).

وعن أسماء بنت يزيد عن النبى ﷺ قال: « **أكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب**» (٢).

وعن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار: مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال فى أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تقول: نشامه وننظر ما هو؟! وفرقة تلحق بالأعراب. وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم ومع الدجال سبعون ألفاً عليهم السيجان وأكثر تبعه اليهود والنساء ثم يأتى المصر الذى يليه فيصير أهله ثلاث فرق: فرقة تقول: نشامه وننظر ما هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم بغربى الشام»(٣).

❖❖❖❖❖

(١) أورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٠) وعزاه إلى الطبرانى وفى إسناده سعيد بن محمد الوراق وهو متروك.

(٢) أورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٧) وعزاه إلى الطبرانى وفى إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف. وبقية رجاله ثقات.

(٣) أورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٢) وعزاه إلى أحمد وهو فى «المسند» (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) وإلى الطبرانى وفيه على بن زيد وفيه ضعف. وبقية رجاله رجال الصحيح.

الحكمة فى خروج الدجال

أنه فتنة يمتحن بها الله عبادة المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة. وقد امتحن الله قوم موسى فى زمانه بالعجل ففتن به قوم وهلكوا.

ونجا من هداه الله وعصمه منهم. وقد اختلفت الروايات فى أمر ابن صياد فى ما كان من شأنه بعد كبره. فروى أنه تاب عن ذلك القول.

ثم إنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس. وقيل لهم: اشهدوا.

وقال القاضى عياض [1]: الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدَّجّال حُجَة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقْدرَهُ على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله.

ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتِّباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره. ويزعم منكروه أنه لو كان حقاً لم يُوثَق بمعجزات الأنبياء - ﷺ - وهذا غلط من جميعهم لأنَّه لم يَدَّعِ النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنَّما يَدَّعى الإلهيةَ وهو فى نفس دعواه مُكذِّب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو تقية وخوفًا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدًا تُدهش العقول وتُحَيِّر الألباب مع سرعة مروره فى الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فَيُصَدِّقه من صَدَّقه فى هذه الحالة.

ولهذا حذَّرت الأنبياء صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين من فتنته ونبَّهوا على

---

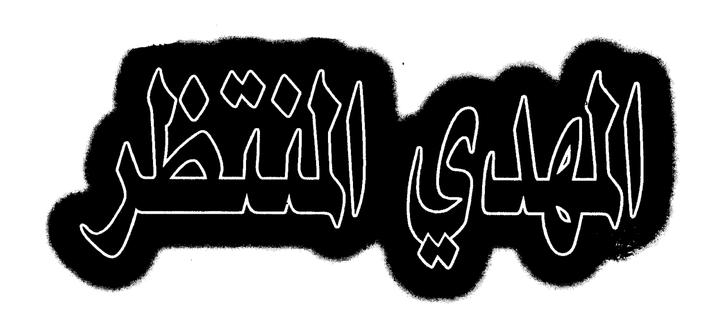
(١) القاضى عياض بن موسى بن عياض بن عمر العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبى السبتى الحافظ. كان إمام الحديث فى عصره وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. مات ليلة الجمعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش. (بغية الملتمس: ٤٢٥).

نقصه ، دلائل ابطاله ، أما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يُخدعون بما معه لما ذكرناه من الدلائل المُكذِّبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحيه: « ما ازددت فيك إلا بصيرة» (١).

هذا آخر كلامه رحمه الله (٢).

❖❖❖❖❖

(١) انظر: شرح النووى (١٨/ ٥٨ ـ ٥٩).
(٢) انظر: المصدر السابق (١٨/ ٥٨ ـ ٥٩) بتصرف.



تحقيق

الشيخ / كامل عويضة

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

أسسها حسن البدوي - نبيل خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فإنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: ١] **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا ⦗٧٠⦘ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فقد أخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن جملة من الفتن تكون قبل قيام الساعة ومن هذه الفتن: طلوع الشمس من المغرب وفتنة المسيح الدجال والدابة التى تكلم الناس ونزول عيسى ابن مريم والحروب التى تكون قبل القيامة ومقتل المسيح الدجال ومن أشراط الساعة المهدى المنتظر الذى ينزل عيسى عليه السلام فى زمانه وقد امتلأت الدنيا عدلاً وخيرًا وكثرت البركة وعم الأمن والسلام بين المسلمين. ونحن فى هذه الآونة من الزمن التى كثر فيها الشر والفساد، وأقرب دليل على ذلك حرب العراق التى أكلت النار فيها الأخضر واليابس، وتشرد الرجال، وترملت النساء، وقُتل الشيوخ والأطفال، أعتقد أن هذا نذير للناس بالمهدى رضى الله عنه الذى أشار إليه النبى ﷺ أنه من آل البيت من ولد الحسن بن على رضى الله عنهما نسأل الله تعالى العفو والعافية وأن نكون قد وفقنا إلى ما يحبه ويرضاه. وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه الصادقين الطيبين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

كامل عويضة

مصر - المنصورة - ٢٠ ش جامع نصر الإسلام

بعزبة الشال.

علامة خروج المهدى

ورد فى كتاب السنن والفتن والملاحم الكثير من الأحاديث النبوية التى تشير إلى خروج المهدى المنتظر فى آخر الزمان وأن خروجه علامة كبرى من علامات الساعة. ومن جملة هذه الأحاديث النبوية.

الأول: ما رواه مسلم بسنده عن أبى نضيرة قال: كنا جلوساً عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجىء قفيز ولا درهم إليهم. قلنا: من أين؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجىء إليهم دينار ولا مدى. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم ثم سكت هنيهة ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثياً ولا يعده عداً»** قيل لأبى نضرة وأبى العلاء: تريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا. [(1)].

الثانى: عند أبى داود عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قال: **«يكون اختلاف عند موت خليفة. فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب العراق فيبايعونه. ثم ينشر رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب. والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجيرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون»** [(2)].

الثالث: وذكر ابن أبى شيبة بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء. ويقولون للحبلى فى البطن: اقتلوا صبابة السوء فإذا علوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم. قال أبو المهزم: فلما جاء جيش ابن دلجة قتلناهم. فلم يكونوا هم [(3)].

---

(1) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٦٨، ٦٩) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٣٨).
(2) إسناده ضعيف. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٦) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٢١٠، ٣١٦) وعبد الرزاق (ح/ ٢٠٧٦٩) وابن حبان (ح/ ١٨٨١) وفى سنده رجل لم يسلم.
(3) ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص/ ٥٦٥).

الرابع: وعنه قال: قال هلال بن أبى طلحة الفهرى: قال كعب الأحبار: تجهز يا هلال. قال: فخرجنا حتى إذا كنا بالعقيق ببطن المسيل دون الشجرة والشجرة يومئذ قائمة. قال: إنى أجد صفة الشجرة فى كتاب الله. قلت: هذه الشجرة؟ قال: فنزلنا فصلينا تحتها ثم ركبنا حتى إذا استوينا على ظهر البيداء قال: يا هلال إنى أجد صفة البيداء. قلت: أنت عليها. قال: والذى نفسى بيده إن فى كتاب الله جيشًا يؤمون البيت الحرام فإذا استووا عليها نادى آخرهم أولهم: ارفقوا فخسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم وذرياتهم إلى يوم القيامة. ثم خرجنا حتى إذا انهبطت رواحلنا أدنى الروحاء قال: يا هلال إنى أجد صفة الروحاء. قال: قلت: الآن حين دخلنا الروحاء [1].

الخامس: وقال بإسناده عن بشر بن محمد المعافرى. قال: سمعت أبا فراس يقول: سمعت عبد الله بن عمر ويقول: إذا أخسف الجيش بالبيداء فهو علامة ظهور المهدى[2].

السادس: وعن عائشة رضى الله عنها قالت: عَبِثَ رسول الله ﷺ فى منامه. فقلنا: يا رسول الله صنعتَ شيئًا فى منامك لم تكن تفعله. فقال: « **العجب أن ناسًا من أمتى يؤمون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم. فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس. قال: نعم. فيهم المُسْتَبْصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحدًا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم** » [3].

السابع: عن أم المؤمنين عائشة أيضًا: قال رسول الله ﷺ: « **جيش من أمتى يجيئون من قِبَل الشام يؤمون البيت لرجل يمنعه الله منهم** » [4].

الثامن: عن حفصة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **ليؤمن هذا البيت**

---

(١) إسناده ضعيف. ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص/ ٥٦٥).

(٣) إسناده ضعيف. ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص/ ٥٦٥) وفى سنده: ابن لهيعة.

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (البيوع، باب ما ذكر فى الأسواق) ومسلم فى (الفتن، ح/ ٨) والصحيحة (ح/ ١٦٢٢، ١٩٢٤).

(٤) رواه أحمد فى (مسنده، ٦/ ٢٥٩) عن أم سلمة رضى الله عنها. وأبو يعلى وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: «وفيه على بن زيد وهو حسن الحديث وفيه ضعف وروى نحوه بإسناده عن عائشة قال: ورواته ثقات».

جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يُخبر عنهم» (١).

إذن فعلامة ظهور المهدى هى الخسف بهذا الجيش الذى يبعث لقتاله. ولكن لم ترد أدلة صحيحة يمكن بهـا أن نتعرف على الجهة التى يخرج منها المهدى فيبايع عند الكعبة وقد قيل: إنه يخرج من قبل المشرق.

❖❖❖❖❖

المهدى من آل البيت

وردت جملة من الأحاديث النبوية التى تبين أصل وجذور المهدى وأن نسبه ينتهى إلى الحسن (٢) بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما. ومن هذه الأحاديث:

الأول: عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً منَّا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»** (٣).

الثانى: عن على - أيضاً - رضى الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ: **« المهدىّ منَّا أهل البيت يُصلحه الله فى ليلة»** (٤).

الثالث: عن أبى إسحاق قال: قال **«علىّ ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ﷺ يشبهه**

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٦) والنسائى (٥/ ٢٠٧) وابن ماجة (ح/ ٤٠٦٣) وأحمد (٦/ ٢٨٦) والحميدى (٢٨٦).

(٢) الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى سبط رسول الله ﷺ وريحانته. وقد صحبه وحفظ عنه مات شهيداً بالسَّمِّ سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين. وقيل: بل مات سنة خمسين. وقيل: بعدها. (تقريب: ١/ ١٦٨).

(٣) صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٢) وابن ماجة (ح/ ٢٧٧٩) والمشكاة (٥٤٥٢) والطبرانى فى (الكبير، ١٠/ ١٦٦) وصححه الشيخ الألبانى. أنظر: الصحيحة (ح/ ١٥٢٩).

(٤) إسناده صحيح. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٨٥) وابن أبى شيبة (١٥/ ١٩٧) وأحمد فى (المسند، ١/ ٨٤) والحاكم (٤/ ٥٥٧) وصححه. ووافقه الذهبى. غريبه: قوله: « يصلحه الله فى ليله» أى يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك.
والعجيب أن يكون المهدى بعيداً عن التوفيق والفهم الشديد: ثم تهبط عليه هذه المعانى فجأة فى ليلة ليكون فى صبيحتها داعية هداية ومنقذ أمة..

في الخلق» [1].

الرابع: عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ: « **لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنَا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة»** [2].

وفي رواية: « **لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة. قال: فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيفة. فقلت لأبي ما قال. قال: كلهم من قريش»** [3].

وفي رواية قال: « فلما رجع إلى بيته أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الفرج».

الخامس: وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: « **لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم قال زائدة لطوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يُبعثُ فيه رجل منِّي أو من أهل بيتي يُواطئ اسمه اسمي واسمُ أبيه اسم أبي»** زاد من حديث قطر: « **يملأ الأرض قسطاً وعَدْلاً كما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا»** [4].

السادس: في حديث سفيان: « **لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب**

---

(١) إسناده صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٦٦٢) والترمذي (ح/ ٣٧٧٣) والنسائي في (الجمعة، باب «٢٦») وأورده ابن كثير في (التفسير، ٣/ ٢٩٢، ٧/ ٣٥٣).

(٢) صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٧٩) والبيهقي في (دلائل النبوة، ٦/ ٥٢٠) وصححه الشيخ الألباني. انظر: الصحيحة (ح/ ٣٧٦).

قلت: وجاء في رواية: « لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة. قال: فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيفة. فقلت لأبي ما قال. قال: كلهم من قريش». وفي رواية: « فلما رجع إلى بيته أتته قريش. فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الفرج».

الفرج: جمع فرجة المنافذ التي تسمح للشرور وذلك حين تتخلخل صفوف الأمة وتبتعد عن التراضي الذي يحبه الله لعباده ويأمرهم بالتزامه.

(٣) صحيح. رواه مسلم في (الإمارة، ح/ ٩) وأبو داود (ح/ ٤٢٨٠، ٤٢٨١) وأحمد في (المسند، ٥/ ٩٨، ٩٩).

(٤) صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٢) وابن ماجة (ح/ ٢٧٧٩) والطبراني (١٠/ ١٦٦) وصححه الشيخ الألباني (ح/ ١٥٢٩) ورواية أبي داود من حديث سفيان الثوري وأبي بكر بن عياش وزائدة وقطر ومحمد ابن عبيد وكلهم عن عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى» [1].

السابع: عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: « **يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى»** [2].

الثامن: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى الرجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمي »**[3].

التاسع: عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **المهدى منى أجْلى الجبهة أقْنَى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا يملك سَبْعَ سنينَ»** [4].

العاشر: عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **المهدى من عترتى من ولد فاطمة»** [5].

الحادى عشر: وعنها رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فتخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العركة**

---

(١) حسن صحيح. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٢) والترمذى وأحمد (١/ ٣٧٧، ٤٣٠) ورواه أحمد عن عمر بن عبيد وعن سفيان بن عيينة ومن حديث سفيان الثورى كلهم عن عاصم به رواه الترمذى من حديث السفيانين وقال: حسن صحيح. قال الترمذى: وفى الباب عن على وأبى سعيد وأم سلمة وأبى هريرة ثم قال الترمذى: حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان بن عيينة عن عاصم عن زرعن عبد الله عن النبى ﷺ.

(٢) أنظر: شرح السنة (١/ ٣٨٦).

(٣) صحيح. وتقدم. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٢) وابن ماجة (ح/ ٢٧٧٩) والطبرانى (١٠/ ١٦٦) وصححه الشيخ الألبانى. أنظر الصحيحة (ح/ ١٥٢٩).

(٤) إسناده حسن. رواه أبو داود فى (الفتن، ح/ ٤٢٨٥) والمشكاة (ح/ ٥٤٥٤) والحاوى (٢/ ١٢٤).
غريبه: قوله: « أجلى» جليت الجبهة: أى اتسعت. وجلى الرجل: أى انحسر مقدم شعره فهو أجلى.
و «قنى الأنف» ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه فهو أقنى.

(٥) إسناده حسن. رواه أبو داود فى (الفتن، ح/ ٤٢٨٢) وابن عدى فى (الكامل، ٣/ ١٠٥٣) والحاوى (٢/ ١٢٤) وهو فى فتاوى الجلال السيوطى الحافظ.
غريبه: قوله« عترتى » العترة: نسل الرجل ورهطه وعشيرته.

العركة فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم وذلك بَعْثُ كلب والخيبة لمن لم يشهد بيعة كلب فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيه ويلقى الإسلام بجرانة إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون» (١).

وعن علىّ رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: « **يخرج رجل من وراء النهر يقال له: الحارث بن حران على مقدمه رجل يقال له: منصور يوطئ أو يمكن محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال: إجابته»** (٢).

وعن الحارث بن جزء الزبيدى قال: قال رسول الله ﷺ: « **يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى يعنى سلطانه»** (٣).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى»** (٤).

❖❖❖❖❖

---

(١) إسناده حسن. رواه أبو داود (ح/ ٤٢٨٦) وأحمد فى (المسند، ٦/ ٢١٠، ٣١٦) وعبد الرزاق (ح/ ٢٠٧٦٩) وابن حبان (ح/ ١٨٨١) قال أبو داود: قال عبد الله بن جعفر سمعت أبا المليح يثنى على علىّ ابن نفيل ويذكر فيه صلاحًا ورواه ابن ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أحمد بن عبد الملك عن أبى المليح الرقى عن زياد بن بيان به. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة زوج النبى ﷺ عن النبى ﷺ.

(٢) إسناده حسن. رواه أبو داود فى (الفتن، ح/ ٤٢٩٠) والحاكم فى (المستدرك، ٤/ ٥٢٠) والمشكاة (٥٤٥٨) وأورده السيوطى فى (المنثور، ٥/ ٢٤١).

(٣) إسناده ضعيف. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٨٨) وأبو نعيم فى (الحلية، ٦/ ٥٤). قال ابن ماجة: حدثنا حرملة بن يحيى المصرى وإبراهيم بن سعيد الجوهرى قالا: حدثنا أبو صالح عبد الغفار بن داود الحرانى حدثنا بن لهيعة عن أبى زرعة عن عمرو بن جابر الحضرمى عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى: قال رسول الله ﷺ فذكره.

(٤) إسناده صحيح. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٨٧).

ما سيلاقى آل البيت الكرام من متاعب وأهوال

وردت جملة من الأحاديث النبوية التى تشير إلى أخبار الرسول ﷺ ببعض ما سيلاقى آل بيته الكرام من متاعب وأهوال:

الأول: عن علقمة عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ: اغْرَوْرَقَتَ عيناه وتغير لونه قال: فقلت: ما نزال نرى فى وجهك شيئاً نكرهه فقال: « **إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سَيَلْقَوْنَ بعدى بلاءً وتشريداً حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز فلا يُعْطَونَه فيقاتلون فَيُنْصَرُون فَيُعْطَوْنَ مَا سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطًا كما مُلِئَتْ جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حَبْوًا على الثلج** » (1).

قال الحافظ ابن كثير: ففى هذا السياق إشارة إلى بنى العباس حيث ابتداء دولتهم فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة وفيه دلالة على أن المهدى يكون بعد دولة بنى العباس وأنه يكون من أهل البيت من ذرية فاطمة بنت الرسول ﷺ ثم من ولد الحسن والحسين.

الثانى: عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال: قال رسولَ الله ﷺ: « **يقتل عن كنْزِكم ثلاثة كُلُّهم ابن خليفة لا يصير إلى واحد منهم ثم تَطْلُعُ الرايات السودُ من قبل المشرق فيقاتلونكم قتالاً لم يقاتله قوم ثم ذكر شيئاً لا أحفظه. قال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدى** » (2).

قال الحافظ ابن كثير: الظاهر أن المراد بالكنز المذكور فى هذا السياق كنز الكعبة يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدى ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيهم الآن وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان.

فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كثير من الخذلان وهوس شديد من الشيطان إذ لا

(1) إسناده ضعيف. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٨٢) والطبرانى فى (الكبير، ١٠/ ١٠٤) والعقيلى (٤/ ٣٨١) فى الزوائد: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبى زياد الكوفى. لكن لم ينفرد يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم فقد رواه الحاكم فى المستدرك من طريق عمر بن قيس عن الحكم عن إبراهيم.
غريبه: « اغرورقت عيناه» أى غرقتا بالدموع.

(2) ضعيف. أورده الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٨١) وضعفه الشيخ الألبانى (ح/ ٨٥).

دليل عليه ولا برهان لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان.

الثالث: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تُنصَبَ بالياء**» [(١)].

هذه الرايات السود ليست هى التى أقبل بها أبو مسلم الخراسانى فاستهلب بها دولة بنى أمية فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة بل رايات سود أخر تأتى بصحبة المهدى وهو محمد ابن عبد الله العلوى الفاطمى الحسنى رضى الله عنه يصلحه الله فى ليلة أى يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك.

ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه وتكون راياتهم سوداء أيضًا وهو زى عليه الوقار لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب. وقد ركزها خالد بن الوليد على الثنية التى هى شرقى دمشق حين أقبل من العراق فعرفت الثنية بها فهى الآن يقال لها: ثنية العقاب.

وقد كانت عذاباً على الكفرة من نصارى الروم والعرب ووطنت حسن العاقبة لعباد الله المؤمنين من المهاجرين والأنصار ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين ولله الحمد. وكذلك دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح [(٢)] إلى مكة وعلى رأسه المغفر وكان أسود وفيه راية كان متعممًا بعمامة سوداء فوق البيضة صلوات الله وسلامه عليه.

والمقصود أن المهدى الممدوح الموعود بوجوده فى آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الحديث.

الرابع: عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **يكون فى أمتى المهدى إن قصر فسبع وإلا فتسع تنعم فيها أمتى نعمة لم يسمعوا بمثلها قط تؤتى الأرض**

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الترمذى (ح/ ٢٢٦٩) وأحمد فى (المسند، ٢/ ٣٦٥).

(٢) روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما« أن النبى ﷺ خرج فى رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة. فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطروا أفطروا».
وكانت غزوة الفتح فى رمضان سنة ثمان من الهجرة وأن النبى ﷺ خرج من المدينة لعشر مضين من رمضان واستعمل على المدينة أبا رهم الغفارى.

أكلها ولا يدخر منها شيء والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدى أعطنى. قال: فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله» (١).

هذا الحديث الشريف يدل على أن أكبر مدته تسع وأقله خمس أو سبع ولعله هو الخليفة الذى يحثى المال حثيًا والله تعالى أعلم.

وفى زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيزة والمال وافرًا والسلطان قاهرًا والدين قائمًا والعدو راغمًا والخير فى أيامه دائمًا.

الخامس: عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رجل: والله ما يأتى علينا أمير إلا وهو شر من الماضى. قال أبو سعيد فقلت: لولا شيء سمعته من رسول الله ﷺ لقلت مثل ما يقول. سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن من أمرائكم أميرًا يحثو المال حثوًا ولا يعده يأتيه الرجل فيسأله فيقول: خذ فيبسط ثوبه فيحثو فيه وبسط رسول الله ﷺ ملحفة غليظة كانت عليه يحكى صنع الرجل ثم جمع عليه أكتافها. قال: فيأخذه ثم ينطلق»** (٢).

وعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارًا ولا الناس إلا شُحًا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس وما المهدى إلا عيسى بن مريم»** (٣).

---

(١) إسناده صحيح. رواه ابن ماجة (ح/ ٤٠٨٣) والحاكم (٤/ ٥٥٨) وابن عدى فى «الكامل» (٣/ ١٠٥٧).

غريبه: قوله: « قصر» أى بقاؤه منكم.

وقوله: «كدوس» أى مجموع كثير.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم فى (الفتن، ح/ ٦٧، ٦٩) والحاكم (٤/ ٤٥٤) وصححه. ووافقه الذهبى.

غريبه: «يحثو» أى يرميه إلى ثوبه. يقال: يحثو وحثى يحثى.

(٣) ضعيف. أخرجه ابن ماجة (٢/ ٤٩٥) والحاكم فى (المستدرك، ٤/ ٤٤١) وابن عبد البر فى (جامع العلم، ١/ ١٥٥) وأبو عمرو الدانى فى (السنن الواردة فى الفتن، ٣/ ٢٠٣، ٤/ ١٠٩، ٥/ ٢٢) والسلفى فى (الطيوريات، ١/ ٦٢) من طريق محمد بن خالد الجندى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس مرفوعًا.

وأخرجه الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (ح/ ٧٧).

وقال: « وهذا إسناد ضعيف فيه ثلاث علل »: الأولى: عنعنه الحسن البصرى فإنه كان يدلس.

الثانية: جهالة محمد بن خالد الجندى فإنه مجهول كما قال الحافظ فى «التقريب».

الثالثة: الاختلاف فى سنده. قال البيهقى: قال أبو عبد الله الحافظ: « محمد بن خالد مجهول».

وقال الذهبى فى «الميزان»: إنه خبر منكر».

خروج السفيانى على المهدى

وردت أحاديث عديدة عن رسول الله ﷺ فى المهدى وخروج السفيانى عليه وبعثه الجيش لقتاله وأنه الجيش الذى يخسف به:

الأول: حروب بابل والمدينة:

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فورده ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين: جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعنى: مدينة بغداد.**

قال: فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويقتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش على ليلتين فيقتلونهم حتى لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم ويحل جيشه الثانى بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم. وذلك قوله تعالى عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة» (١).

ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين.

الثانى: وحديث ابن مسعود فيه: أن عروة بن محمد السفيانى يبعث جيشًا إلى الكوفة خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشًا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدى ومن تبعه. فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبى من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ثم يرجع (٢).

(١) ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص/ ٥٦٧) وأخرجه الخطيب فى «التاريخ» (١/ ٣٨).
(٢) ذكره القرطبى فى «التذكرة» (ص/ ٥٦٧).

فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بنى تميم يقال له: شعيب بن صالح فيستنقذ ما فى أيديهم من السبى ويرد إلى الكوفة. وأما الجيش الثانى فإنه يصل إلى مدينة الرسول ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسيرون نحو مكة - أعزها الله - لمحاربة المهدى ومن معه. فإذا وصلوا إلى البيداء مسحهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

الثالث: وقد ذكر خبر السفيانى مطولاً بتمامه أبو الحسن أحمد [١] بن جعفر بن المنادى فى كتاب الملاحم له. وأنه الذى يخسف بجيشه. قال: واسمه عتبة بن هند وهو الذى يقوم فى أهل دمشق. فيقول: يا أهل دمشق أنا رجل منكم وأنتم خاصتنا [٢].

جدى معاوية بن أبى سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم وذكر كلامًا طويلاً إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمى وهو على ما يليه من أرض الشام. وأتى البرقى وهو على ما يليه من جد برقة وما وراء برقة من المغرب إلى أن قال: فيأتى الجرهمى فيبايعه.

واسم الجرهمى: عقيل بن عقال. ثم يأتيه البرقى واسم البرقى: همام بن الورد. ثم ذكر مسيره إلى أرض مصر وقتاله لملكها فيقتتلون على قنطرة الفرما أو دونها بسبعة أيام. ثم ينصر أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفاً ونيفًا ثم يصالحه أهل مصر ويبايعونه فينصرف عنهم إلى الشام.

ثم ذكر تقديمه الأمراء من العرب من حضر موت ولرجل من خزاعة ولرجل من عبس ولرجل من ثعلبة. وذكر العجائب وأن جيشه الذى يخسف بهم تبتلعهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رءوسهم خارجة ويبقى جميع خيلهم وأموالهم وأثقالهم وخزائنهم وجميع مضاربهم والسبى على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة.

واسمه محمد بن على من ولد السبط الأكبر الحسن بن علىّ فيطوى الله تعالى له الأرض فيبلغ البيداء من يومه فيجر القوم أبدانهم داخلة فى الأرض ورءوسهم خارجة وهم أحياء فيحمد الله عز وجل هو وأصحابه وينتحبون بالبكاء ويدعون الله عز وجل ويسبحونه ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ويسألونه تمام النعمة والعافية فتبلعهم الأرض من ساعتهم يعنى أصحاب السفيانى الحسنى على حاله والسبى على حاله وذكر

(١) ذكره الكتانى فى «الرسالة المستطرفة» (ص/ ٧).

(٢) ذكره القرطبى فى «التفسير» (ص/ ٥٦٨).

أشياء كثيرة والله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم.

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية: ودانيال نبى من أنبياء بنى إسرائيل كلامه عبرانى وهو على شريعة موسى بن عمران وكان قبل عيسى ابن مريم بزمان. ومن أسند فقد سقطت عدالته إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته.

وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم وما كان من الحوادث وما سيكون وجمع فيه التنافى والتناقض بين الضب والنون وأغرب فيما أغرب فى روايته عن ضرب من الهوس والجنون وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها ويتعذر على المتأول لها تأويلها وما يتعلق به جماعة الزنادقة (١) من تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺ أنَّ فى سنة ثلاثمائة يظهر الدجال معه يهودية أصبهان (٢).

وقد طعنا فى أوائل سبعمائة فى هذا الزمان وذلك شيء ما وقع ولا كان ومن الموضوع فيه المصنوع (٣) والتهافت الموضوع الحديث الطويل الذى استفتح به كتابه فهلا

---

(١) الزنادقة: جمع كلمة الزنديق. والزنديق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الإسلام.

(٢) روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجه عبد الله بن بديل فى جيش فوافى أبا موسى وقد فتح «قم» و «قاشان» فغزا جميعًا «أصبهان» وعلى مقدمه أبو موسى الأشعرى الأحنف بن قيس ففتحا اليهودية جميعًا على ما وصفناه ثم فتح ابن بديل «جى» وسارا جميعًا فى أرض «أصبهان» فغلبا عليها وأصح الأخبار أن أبا موسى فتح «قم» و «قاشان» وأن عبد الله بن بديل فتح «جى» و «اليهودية». تاريخ البلدان: ص/ ٣٣٢).

(٣) **الحديث الموضوع**: هو المختلف المصنوع. وهو شرّ الأحادث الضَّعيفة ولا تحل روايته لأحد عالم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونًا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضَّعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب. (علوم الحديث: ص/ ٨٩).

ويعرف الحديث موضوعًا بإقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة إقراره وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوى أو المروى. فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها.

أسباب الوضع: قال الشيخ ابن الصلاح: الواضعون للحديث أصناف وأعظمهم ضررًا قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الحديث احتسابًا فيما زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونًا إليهم. ثُمَّ نهضت جهابذة الحديث يكشف عوارها ومحو عوارها ومحو عارها والحمد لله.

ثم إنَّ الواضع ربَّما صنع كلامًا من عند نفسه فرواه وربَّما أخذ كلامًا لبعض الحكماء أو غيرهم فوضعه على رسول الله ﷺ. وربَّما غلطَ غالط فوقع فى شبه الوضع من غير تَعَمُّد كما وقع لثابت بن موسى الزاهد فى حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار». أخرجه ابن ماجة فى: قيام الليل، (١/ ٤٠)، والغلط الذى وقع لثابت هو أنَّه دَخل على شريك القاضى وهو يقول: «ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر: قال رسول الله ﷺ. فدخل ثابت عليه فلما نظر إلى ثابت ذكر الحديث يريد به.ثابتًا لزهده وورعه فظن ثابت أنَّ ذلك سند الحديث فكان يُحَدِّث به بهذا الإسناد.

اتقى الله وخاف عقابه. وأن من أفضح فضيحة فى الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ولا رواية تؤخذ فى ذلك عنهم.

وقد روى البخارى فى تفسير سورة البقرة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوارة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا**» [(1)].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء وكتابكم الذى أنزله الله على رسوله أحدث شىء تقرؤونه محضًا لم يشب؟! وقد حدثكم: أن أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه. وقد كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: ﴿**هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ [البقرة: ٧٩] ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم [(2)].

قال ابن دحية رضى الله عنه: وكيف يؤمن من خان الله وكذب عليه وكفر واستكبر وفجر. وأما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن ووجب التصديق بها والإيمان. قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ [النمل: ٨٢].

= **مثال الموضوع**: « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء. ومن لم يتق الله فليس من الله فى شىء. ومن لم يهتم للمسلمين عامة فليس منهم».
موضوع. أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٧) والخطيب فى «تاريخه» (٩/ ٣٧٣)
الشطر الأول منه من طريق إسحاق بن بشر ثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن حذيفة مرفوعًا. وسكت عليه وتعقبه الذهبى بقوله: « قلت: إسحاق عدم وأحسب الخبر موضوعاً» .
قال الشيخ الألبانى: وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» من طريق الخطيب وتعقبه الذهبى فى «اللآلئ» (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) بطرق أخرى وشواهد ذكرها.
أمَّا الطرق عن حذيفة فاثنان آخران:
الأول: عن أبان عن أبى العالية عن حذيفة أراه رفعه. مثل رواية الخطيب.
قال الشيخ الألبانى: « وهذا اسناد لا يُستشهد به لأنَّ أبان وهو ابن أبى عيَّاش كذَّبه شعبة وغيره لكنَّه قد توبع عليه».
الثانى: عن عبد الله بن سلمة بن أسلم عن عقبة بن شدَّاد الجمحى عن حذيفة رفعه. وهذا إسناد ضعيف جدًا. عبد الله هذا ضعفه الدارقطنى. وقال أبو نعيم: متروك. وعقبة لا يُعرف كما فى «الميزان» وفيه جماعة آخرون لم أعرفهم.
أمَّا الشواهد فهى من حديث أبى مسعود وأنس وأبى ذر وكلها لا تصح.

(١) صحيح. رواه البخارى «موقوفا» فى (الشهادات، باب «٩») والبيهقى فى «الكبرى» (١٠/ ١٦٣) والصحيحة (ح/ ٤٢٣).

(٢) صحيح. رواه البخارى (ح/ ٧٣٦٣)..

وكنت بالأندلس قد قرأت أكثر كتب المقرئ الفاضل أبى عمر عثمان بن سعيد ابن عثمان توفى سنة أربع وأربعين فمن تأليفه: كتاب السنن الواردة بالفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها.

وهو مجلد مزج فيه الصحيح [1] بالسقيم ولم يفرق بين عدل وظلم وأتى بالمواضع وأعرض عما ثبت من الصحيح المسموع فذكر الدابة فى الباب الذى نصه: باب ما روى أن الوقعة التى تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام وأسند ذلك عن عبد الرحمن عن سفيان الثورى عن قيس بن مسلم عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: « **تكون وقيعة بالزوراء**» قالوا: يا رسول الله وما

---

(١) **الحديث الصحيح أنواع: أولا: المتفق عليه**: وهو الذى أخرجه البخارى ومسلم جميعًا.

مثاله: عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثَّمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمشترى». صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (البيوع، ح/ ٢١٨٣) ومسلم فى (البيوع، ح/ ٣٣٦٧).

ثانيا: صحيح انفرد به البخارى عن مسلم: مثاله: عن عثمان أنَّ النبى ﷺ قال: « **إنَّ خيركم من تعلَّم القرآن أو علَّمه**. قال: أقرأ القرآن أبو عبد الرحمن فى إمرة عثمان حتى كان الحجَّاج قال: **ذلك أقعدنى مقعدى هذا**». صحيح. رواه البخارى فى: (فضائل القرآن، ح/ ٥٠٢٧).

ثالثا: صحيح انفرد به مسلم عن البخارى: مثاله: عن أنس عن النبى ﷺ قال: « **إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه الثلاث**». صحيح. رواه مسلم فى: (الأشربة، ح/ ٢٠٣٤).

رابعًا: الصحيح الذى على شرطيهما ولم يُخَرِّجاه.

مثاله: عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: « **بسم الله توكلت على الله. اللهم إنِّى أعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا**». صحيح. رواه الحاكم فى: (المستدرك، ١/ ٥١٩) وقال: صحيح على شرطهما.

خامسًا: الصحيح الذى على شرط البخارى ولم يخرجه.

مثاله: عن معاذ بن أنس عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مِنِّى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**». إسناده جيد وهو حسن. رواه الحاكم فى (المستدرك، ١/ ٥٠٧).

سادسًا: الصحيح الذى على شرط مسلم ولم يخرجه.

مثاله: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من جلس مجلسًا كثر فيه لغطه ثُمَّ قال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاَّ أنت استغفرك وأتوب إليك غفر الله ما كان فى مجلسه ذلك**».

صحيح. رواه الحاكم فى (المستدرك، ١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧).

سابعًا: ما كان صحيحا عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما: والمراد ما توافرت فيه شروط الصحة إلاَّ أنَّ رواته ليسوا من رجال البخارى أو مسلم..

الزوراء؟ قال: « مدينة بالمشرق بين أنهارها يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتى تعذب أربعة أصناف من العذاب. ثم ذكر حديث خروج السفيانى فى ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتى دمشق ثم ذكر خروج المهدى قال: واسمه أحمد بن عبد الله وذكر خروج الدابة.

وقال: قلت: يا رسول الله ، وما الدابة؟ قال: ذات وبر وريش عظمها ستين ميلاً ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب وذكر يأجوج ومأجوج وأنهم ثلاثة أصناف: صنف مثل الأرز الطوال وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع فى عشرين ومائة ذراع هم الذين لا يقوم لهم الحديد. وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى [1].

وعن أم سلمة سئلت عن الجيش الذى يخسف به وكان ذلك أيام ابن الزبير

---

(١) أخرجه القرطبى فى « التذكرة» (ص/ ٥٢٩). وقال: وهذه الأسانيد عن حذيفة فى عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف. وفيها ذكر مدينة تقال لها « المقاطع» وهى على البحر الذى لا يحمل جارية قال: لأنه ليس له قعر إلى أن قال حذيفة: قال عبد الله بن سلام: والذى بعثك بالحق إن صفة هذه فى التوراة طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل. قال رسول الله ﷺ: « لها ستون وثلاثمائة باب يخرج من كل باب منها ألف مقاتل».

قال ابن دحية: ونحن نرغب عن تسويد الورق بالموضوعات فيه ونثبت الصحيح الذى يقربنا من إله الأرضين والسموات فعبد الرحمن الذى يرويه عن الثورى هو ابن هانئ أبو نعيم النخعى الكوفى.

وقال يحيى بن معين: كذاب. وقال أحمد: ليس بشىء. وقال ابن عدى: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه. وقد رواه عن الثورى عمر بن يحيى بالسند المذكور آنفًا وقال: « تعذب بأربعة أصناف بخسف ومسخ وقذف». قال البرقانى: ولم يذكر الرباع وعمر ابن يحيى متروك الحديث.

وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابى وأسند عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ وقال: أما إن هلاكها على يد السفيانى كأنى والله بها قد صارت خاوية على عروشها. ومحمد بن زكريا الغلابى قال أبو الحسن الدارقطنى: كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ وعظم هذه الدابة المذكورة وطول يأجوج ومأجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحديث بالتصريح ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح لأن مثل هذا القدر فى العظم والطول يشهد على كذب واضعه فى المنقول.

وأى مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعًا وأى سبيل يضم يأجوج ومأجوج وأحدهم طولاً وعرضًا مائتان وأربعون ذراعًا. ولقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار. فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار أنه قال: « من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»*.

ثم يطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم ويكذبوننا بسبب ذلك فى كل حال.

---

* انظر. الحديث فى: صحيح البخارى (١/ ٢٨، ٢/ ١٠٢، ٤/ ٢٠٧، ٨/ ٥٤) ومسلم فى (المقدمة، ح/ ٣، ٤).

فقالت: قال رسول الله ﷺ: « **يعوذ بالبيت عائذ فيبعث الله إليه بعثًا. فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» فقلت: **يا رسول الله وكيف بمن كان كارهًا؟** قال: « **يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**» (١).

وعن عبد الله بن صفوان قال: أخبرتنى حفصة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كان ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى منهم إلا الشريد الذى يخبر عنهم**» (٢).

أخرجه ابن ماجة وزاد: « فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم. فقال رجل: أشهد أنك لم تكذب على حفصة وأن حفصة لم تكذب على رسول الله ﷺ.

وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: « **سيعوذ بهذا البيت يعنى: الكعبة قوم ليس لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» (٣).

❖❖❖❖❖

من أين يخرج المهدى وقتله السفيانى

جاء فى الخبر من الحديثين اللذين رواهما أبو هريرة وأم سلمة رضى الله عنهما: أن المهدى يبايع بين الركن والمقام. وروى من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة: أنه يخرج فى آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشى النصر بين يديه أربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب: فلا تهزم له راية وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له: ماسنة من قبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر: ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الحديث بطوله وفيه: « فيأتى الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بمكة وهو

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى: (الفتن، ح/ ٤).
قال القرطبى: هى بيداء المدينة.
وقال عبد العزيز بن رفيع: إنما قال: ببيداء من الأرض. قال: كلا إنها والله لبيداء المدينة.
(٢) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٦) والنسائى فى (المجتبى، ٥/ ٢٠٧).
(٣) صحيح. رواه مسلم فى (الفتن، ح/ ٧).

بين الركن والمقـام وهو كاره لهـذه المبايعـة الثانية بعـد البيـعة الأولى التى بايعـه الناس بالمغرب ثم إن المهدى يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرًا. فيخرج المهـدى ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة ابن محمد السـفيانى على أعلى شجرة على بحيرة طبرية والخـائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة» (١).

فيروى عن حـذيفة أنه قال: قلت : يا رسول الله كيف يحل قـتلهم وهم مسلمون موحدون؟ فقال النبى ﷺ: « **إنما إيمانهم على ردة لأنهم خوارج** (٢) **ويقولون برأيهم أن الخمر حلال ومع ذلك أنهم يحاربون الله**».

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٣] (٣).

وروى من حديث مـعاوية بن أبى سفـيان فى حديث فـيه طول عن النبى ﷺ أنه قال: «سـتفتح بعدى جـزيرة تسمى بالأندلس فتغـلب عليهم أهل الكفر فيـأخذون من أموالهم وأكثر بلدهم يسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكثر البلاد فيافى وقفارًا وتنجلى أكـثر الناس عن ديارهم وأموالهم فيأخذون الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها. ويكون فى المغرب الهرج والخوف.

ويستولى عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفـتنة ويأكل الناس بعضهم بعضًا فعند ذلك يخـرج رجل من المغرب الأقـصى من أهل فـاطمـة بنت رسول الله ﷺ. وهو المهـدى القائم فى آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة» (٤).

قال القرطبى: كل مـا وقع فى حديث معاوية هذا فقد شـاهدنا بتلك البلاد وعاينا معظمه إلا خروج المهدى.

---

(١) انظر: التذكرة (ص/ ٥٧٤).

(٢) الخـوارج: قـوم خرجـوا على أمـيـر المؤمنين علىَّ بن أبى طالب رضـى الله عنه عند تحكيم أبى مـوسى الأشعرى بحكم القرآن عند قتال على ومعاوية.

(٣) ذكره القرطبى فى « التذكرة» (ص/ ٥٧٤).

(٤) المصدر السابق: (ص/ ٥٧٤).

وعن محمد بن علي قال: «إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان. وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض» (1).

ويروى من حديث شريك (2) أنه بلغه أن قبل خروج المهدي تكسف الشمس في رمضان مرتين والله أعلم.

❖❖❖❖❖

فتوحات على يدي المهدي

جاء في كتب السنة والفتن أنَّ المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح دومية وأنطاكية وكنيسة الذهب والدليل على ذلك.

أولا: ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية»** (3).

ثانيا: حديث حذيفة عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله: ﴿ **ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٣]. ثم إن المهدي ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة الله عز وجل فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأخذون الأموال.

ثم يملك المهدي أنطاكية ويبني فيها المساجد ويعمر عمارة أهل الإسلام ثم يسيرون إلى الرومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيقتحمون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المدائن والحصون

---

(١) انظر الحديث في: كشف الخفاء (٢/ ٣٩٩).

(٢) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله. صدوق يخطئ كثيرًا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلاً فاضلاً عابدًا شديد على أهل البدع من الثالثة. مات سنة سبع أو ثمان وسبعين. (تقريب: ١/ ٦٤/ ٣٥١).

(٣) إسناده صحيح. رواه ابن ماجة (ح/ ٢٧٧٩) ومشكاة المصابيح للتبريزي (٥٤٥٢).

ويأخـذون الأموال ويقـتلون الرجال ويسـبون النسـاء والأطفـال ويأتون كنيسـة الذهب فيجدون فيها الأموال التى كان المهدى أخذها أول مرة.

وهذه الأموال هى التى أودع فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس فوجد فى بيت المقدس هذه الأموال فأخـذها واحتملها على سبعين ألف عـجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة كما أخذها ما نقص منها شيئاً فيأخذ المهدى تلك الأموال فيردها إلى بيت المقدس.

قال حذيفة: قلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيمًا جسيم الخطر عظيم القدر. فـقال رسول الله ﷺ: « هو من أجل الـبيوت ابتناه الله لسليـمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضـة من المعادن وأتوه بالجواهر والياقوت والزمـرد من البحار يغوصون كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧].

فلمـا أتوه بهذه الأصناف بناه منهـا فجـعل فيـه بلاطاً من ذهب وبلاطًا من فـضة وأعمدة من ذهب وأعمـدة من فضة وزينه بالدر والياقوت والزمرد وسـخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف.

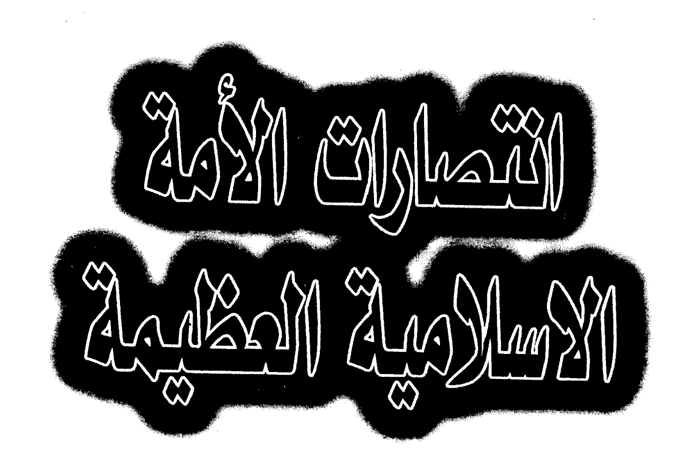
قال حـذيفة: فقلت: يا رسول الله وكـيف أخذت هذه الأشيـاء من بيت المقدس؟ قال رسول الله ﷺ: « إنَّ بنى إسرائيل لما عصوا وقـتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس فكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ [الإسراء: ٥].

فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كـان فى بيت المقدس من هذه الأصناف واحـتملوها على سـبعين ألف عـجلة حتى أودعوها أرض بابل وأقـاموا يستخـدمون بنى إسرائيل ويسـتملكونهم بالخزى والعـقاب والنكال مائة عام ثم إن الله عز وجل رحـمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسيـروا إلى المجوس فى أرض بـابل يستنقـذ ما فى أيديهم من بنى إسـرائيل من أيدى المجوس واستنقذ ذلك الحلى الذى كان فى بيت المقدس.

ورده إليهم كما كان أول مرة وقال لهم: يا بنى إسرائيل إن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم بالسبى والقتل وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨] يعنى: إن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم بالعقوبة. فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصى فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

فغزاهم فى البر والبحر فسبقهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ على جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألف عجلة حتى أودعه فى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدى ويرده إلى بيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك فعند ذلك يرسل الله عليهم ملك الروم « وهو الخامس من آل هرقل».





إعداد وتحقيق

الشيخ / كامل عويضة

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

أسسها حسن البدوي - نبيل خالد

كلمة التحرير

* إلى كل من وثق بالأمس فى الاتحاد السوفيتى وظن أن النصر بيده فكانت هزيمة سنة ١٩٦٧ بل تم هزيمة الاتحاد السوفيتى نفسه.

* إلى كل من يخاف اليوم اليمين الأمريكى المتطرف الذى يحكم الولايات المتحدة ويظن أن فى الرضوخ لمطالبه الأمن والسلامة.

* إلى كل من لم يفهم معنى نصر أكتوبر سنة ١٩٧٣ ونصر المقاومة اللبنانية وصمود المقاومة الفلسطينية والأفغانية والشيشانية رغم النفق المظلم.

* إلى كل من لم يصدق أن الله سبحانه وتعالى كما أهلك فرعون وقارون وعاد وثمود سينصر الأمة الإسلامية نهدى هذه الصفحات المضيئة لانتصارات الأمة الإسلامية التى كتبها فضيلة الشيخ الكاتب القدير كامل عويضة بجهد رائع جزاه الله عنها خيراً.

نبيل خالد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادى له.

ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير. ونشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده. قدوة الأولين والآخرين. وإمام الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد شغلت **انتصارات الأمة الإسلامية** حيزًا واسعًا من اهتمامات الدارسين والباحثين والمؤرخين كما شغلتها من قبل الفتوحات والغزوات الإسلامية فى عهد نبينا محمد ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإخلاص الى يومنا هذا.. يوم أن كتبنا «النصر العظيم».

فهذا الكتاب على قدر حجمه إلا أنّ له أهمية كبيرة ودوراً بارزاً فى حياة الأمة الإسلامية فهو سجل يبين سعادة الأمة وشقاوتها نصرها وهزيمتها آلامها وقوتها. وإننى أسأل الله تعالى للإسلام والمسلمين الخير والنصر والبركة وأن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه،

كامل عويضه

مصر-المنصورة. ٢٠ ش جامع نصر الإسلام بعزبة الشال.

❖❖❖❖❖

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** .

فالمعروف أن سورة الإسراء سورة مكية تهتم بشىءون العقيدة شأنها شأن سائر السور المكية من العناية بأصول الدين «الوحدانية» و «الرسالة» و «البعث» وهى تهتم اهتماماً خاصاً بشخصية الرسول ﷺ بدءاً من صدرها فهى تذكره من خلال ذكر المعجزة التى خصه الله بها دون الأنبياء والرسل وهى رحلة الإسراء والمعراج.

ثم تحدثت هذه السورة الكريمة عن بنى إسرائيل وأسباب تشردهم فى الأرض وهو الفساد والطغيان. وعن بعض المظاهر الكونية كالليل والنهار وتحدثت عن بعض الآداب الاجتماعية بدءاً من قوله تعالى : **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** ثم تحدثت عن العقيدة الباطلة للمشركين وأنهم ينسبون إلى الله الصاحبة والولد بينما هم يتبرءون أن يكون لهم البنات. وتحدثت عن البعث والنشور والمعاد والجزاء وإقامة الدليل على إمكانه وعن القران العظيم وتعنت المشركين فى اقتراحاتهم وخاصة بالإتيان بمعجزة أخرى غير القرآن الكريم.

وختمت هذه السورة الكريمة بتنزيه الله تعالى عن الشرك وعن صفات النقص التى لا تليق به سبحانه. **وسميت بسورة «الإسراء» لذكرها فى أولها تلك الحادثة العجيبة والمعجزة الفريدة لسيدنا محمد** ﷺ . فمدينة القدس تدل فى مفهومها على الطهر والنقاء والرفعة وبيت المقدس اسم سجله التاريخ وأكبر من تسجيل التاريخ قوله تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** .

مدينة القدس التى بها المسجد الأقصى لها تاريخها المشرف الطويل وازدادت شرفاً ورفعة وجمالاً وسموا بعد الفتح الإسلامى الذى أعطى كل ذى حق حقه لأن الأديان السماوية جاءت لتسعد الناس وتطهر النفوس وتخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام. فمدينة القدس يكفيها شرفاً ويكفيها فخراً قول الله سبحانه وتعالى بشأن المسجد الأقصى : **﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** بارك الله حول المسجد الأقصى وحوله يعنى مدينة

بيت المقدس **وبارك الله حوله بالبركات الدينية وبالبركات الدنيوية** لأن مدينة القدس عاش على أرضها عدد كبير من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عاشوا على أرضها ينشرون الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر منهم: سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق ويعقوب وسيدنا زكريا ويحيى وأيضًا انتهت حياتهم ودفنوا فى ثراها فهى بلدة عاش فيها الأنبياء والصديقين والشهداء والأطهار عاش فيها من رفع راية لا إله إلا الله وسبحوا بحمده واستغفروه وماتوا على كلمة التوحيد.

وبارك حولها بالبركات المادية بما تحويه من مزارع من الأشجار والنبات والفواكه والمزروعات النافعة فنجد أن هذه المدينة - أى القدس - باركها الله ببركات متعددة ومتنوعة منها البركات المعنوية ومنها المادية ويشهد بذلك قوله سبحانه وتعالى: **﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** أى جعلنا هذه الأرض التى تحيط به هى من أخصب الأراضى فى هذا المكان وفى العالم أجمع الذى أوجده الله تعالى بقدرته وفى الوقت نفسه عاش على أرضها واستنشق من هوائها واستظل بسمائها واستقى من مائها عدد كبير من المصلحين والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام .

والمعنى المفهوم عن الإسراء أنه مصاحبة رسول الله ﷺ لأمين الوحى جبريل عليه السلام فى رحلة أرضية بدعوة إلهية من مكة المكرمة إلى أرض الشام وذلك لزيارة بيت المقدس أثناء الليل. ثم عودة النبى ﷺ إلى حيث كان فى جزء يسير من الليل وكانت الرحلة فى زمنهم تستغرق شهرًا ضربًا بأكباد الإبل فى الصحراء وشهرًا للعودة. ويتجلى هذا المعنى فى قوله تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** .

ووقع المعراج بعد الوصول إلى بيت المقدس فى نفس الليلة فبعد أن وصل الرسول ﷺ عرج إلى أعلى. تجاوز السماوات السبع إلى سدرة المنتهى عروجًا إليها: **﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾** [النجم: ١٦ - ١٧].

لقد احتوى هذا الحديث الإسلامى المعجز على عدد من التحركات واللقاءات وتضمن عديدًا من الآيات وكل منها له دلالة إسلامية وفكرية خاصة به ثم إن الحدث فى إجماله له دلالاته الكلية التى تميزه عن بقية الأحداث الإسلامية الأخرى. وسوف أكتفى بإبراز الدلالات الكلية دون عرض الأحداث التفصيلية لمعجزة الاسراء والمعراج

التى محلها كتب السيرة والحديث وتفسير القرآن الكريم.

الدلالة الأولى: أنها المعجزة التى تفوق طاقة البشر. وجدنا من يشك فى الإسراء والمعراج منذ أن أخبر به رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا وينضم إلى هؤلاء من يرفضون التسليم بوقوعه عقلاً وهؤلاء لهم عذرهم... فلو ترقت نفوسهم ولو قويت عقولهم لسلموا بوقوع الحدث دون أدنى شك.

انهزم المشركون فى موصلة تكذيب الحدث فقد شهدت قافلة قريش التجارية بما يقوله رسول الله ﷺ وأنهم سمعوا صوتًا كصوته وهم فى الصحراء. ونجح النبى ﷺ فى نعت بيت المقدس كما عرفوه وعاينوه وهو لم يسبق له زيارة البيت ولا رؤيته فانقلب الحدث يقينًا للمؤمنين. أما الملاحدة على مر العصور فحجتنا عليهم ذلك التفوق العلمى فى شتى المجالات وخاصة سفن الفضاء فإذا قدر العلم على تحويل الخيال إلى حقائق فإن خالق الكون لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء. **وأما من استوقفه عقله من أهل الإسلام فقد انقسموا إلى ثلاث طوائف:**

قالت الطائفة الأولى: كان الإسراء والمعراج بالروح فقط وأنه رؤيا منام.

وهذا معناه أن وقوع الإسراء تم كوقوع الأحلام. وإذا كان كذلك فما وجه الإعجاز فى أن يخبر القرآن بوقوع الإسراء على هيئة المنام وأى إنسان - مسلم أو كافر - يقع له من الأعاجيب أثناء النوم ولا يعتبر ذلك من المعجزات.. فليس من المعجزة أن يأتى رسول الله ﷺ بيت المقدس منامًا. فذلك قد يقع لغيره من البشر ولكن المعجزة أن يصل رسول الله ﷺ بالجسد والروح إلى بيت المقدس ثم يعود فى زمن خيالى بالنسبة لعصرهم وفى زمن قياسى لأى زمن من عصور التقدم العلمى. ثم إن قريشًا كذبت الخبر عندما قال الرسول ﷺ: « أتيت » وهم أهل اللغة العربية ويعرفون معنى تلك الكلمة ولو حدثهم: « إنى رأيت فى المنام» لما صدر عنهم أدنى تكذيب قد يقول من يقص مناما: إنى جلست الليلة مع ابن رشد وابن سينا وأجرينا حوارًا فلسفيًا وهؤلاء الفلاسفة قد ماتوا من زمن بعيد وما يكذبه أحد فالأحلام انعكاس لما يجرى فى نفس الإنسان وما يحيط به من تفاعلات ومشاعر.

فإن ما يراه النائم، قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى

كأنه قد عرج به إلى السماء أو ذهب إلى مكة وأقطار الأرض وروحه لم تصعد ولم تذهب.

وإذا كان الإسراء والمعراج بالروح فقط فإن الأرواح جميعها لها عروج فى أثناء النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قالت الطائفة الثانية: إن الإسراء كان بالروح والجسد إلى بيت المقدس وأما المعراج فكان بالروح دون الجسد. فإذا سلمنا بوقوع الاسراء على الوصف الذى نعلمه وما قال به رسول الله ﷺ وما نقله أهل العلم ثبت لنا عظمة قدرة الله وإحاطته بكل الأمور فلم نخرج المعراج من مسار هذه القدرة والإحاطة؟

هنا قالوا: إن الله ذكر الإسراء فى القرآن ومع أن المعراج أعظم من الإسراء إلا أنه لم يذكره صراحة فى القرآن. وكان من الأولى ذكر المعراج.

فإن كان رفض المعراج عائداً إلى عدم ذكره فى القرآن صراحة فالقرآن ليس بالدليل الشرعى الوحيد لقضايا الإسلام إذ قد تضمن القرآن الأمر بالصلاة ولم يتضمن كيفية أداء الصلاة وإيراد الكيفية أولى من إيراد الأمر.

فما قيمة الأمر وأنا لم أفهم كيفية الأداء.

فإن قيل: إن كيفية أداء الصلاة أتت ببيان الرسول.

فأقول: إذًا التصديق بالمعراج يأتى من بيان الرسول وقد ذكر فى حديث أنه أسرى به. وأورد مراحل الإسراء ثم عقب بالمعراج فلا نقبل جزءاً من خبره ونرفض الجزء الثانى: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان... وأتيت بدابة البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا**» (١).

ثم إن من جملة العقيدة الإسلامية أنَّ جبريل عليه السلام نزل بالوحى من عند الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فإذا كنا بخبر نزول الملك ـ وهو مخلوق لله ـ أفلا يجوز صعود النبى ﷺ ـ وهو مخلوق لله ـ لمناجاة خالقه على ما أراده الله دون وساطة ودون حجاب؟

(١) صحيح. متفق عليه. راوه البخارى (٤/ ١٣٣) ومسلم (ح/ ١٥٠) واحمد فى «المسند» (٤/ ٢٠٧) وابن عدى فى (الكامل، ٣/ ٩٣٠، ٦/ ٢٤٢٠).

مع العلم بأن المعراج مذكور في سورة النجم على وجه اليقين لمن تفتحت بصيرته وروحه على تفهم القرآن فقد قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾** [النجم: ١٨] وقال تعالى: **﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾** [النجم: ١٣] وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾** [النجم: ١٤].

قالت الطائفة الثالثة: إن الإسراء تم بالجسد والروح. قال ابن القيم: أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ثم إلى السموات العلا. والبراق آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

الدلالة الثانية: الربط بين الأماكن الأرضية. يقول رسول الله ﷺ: « **أتيت بالبراق فر... حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم وصلت المسجد فصليت ركعتين**» [1].

كان رسول الله ﷺ يقيم بمكة وفي رحلة الإسراء زار المدينة قبل أن يهاجر إليها وزار بيت المقدس قبل أن يتخذه قبلة ثم يتحول عنه إلى الكعبة المشرفة. إذا ما تم ذلك إلا للربط بين تلك الأماكن المقدسة التي لها شأن كبير في الدعوة الإسلامية بتقدير الله سبحانه وتعالى والتي أصبحت فيما بعد من الأماكن التي يشد إليها الرحال.

إنَّ هذا الربط يعطي دلالة بأنه لا فارق بين الأنبياء والرسل وأن الأديان مصدرها واحد تقوم على أصل واحد هو التوحيد ومن ثم فليس هناك تضاد في جوهر الأديان السماوية.

أولاً: مكة والبيت الحرام: يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧].

والسؤال: لماذا كانت مكة موضعًا لأول بيت وضع للناس ولماذا كانت مركزًا لبدء رسالة الإسلام؟

وترد الآية القرآنية على السؤال: **﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾** [الشورى: ٧] إذ مكة أم القرى والأم تتوسط أولادها والموضع من الأرض لا تحيطه القرى إلا إذا وقع

---

(١) صحيح. رواه مسلم في (الإيمان، ح/ ٢٥٩) وأحمد في (المسند، ٣/ ١٤٨، ٥/ ٣٩٢) والحاكم (٤/ ٦٠٦) وصححه. ووافقه الذهبي.

وسطا ولا تتحقق الوسطية الكاملة إلا لنقطة الارتكاز فى الدائرة فهل تعتبر مكة مركزاً للكرة الأرضية؟ وفى عام ١٩٧٧م **يتوصل الدكتور حسن كمال الدين إلى أن مكة مركز اليابسة من الكرة الأرضية: « لقد لا حظنا عندما رسمنا دائرة مركزها مدينة مكة المكرمة وحدودها خارج القارات الأرضية أن محيط هذه الدائرة يكاد يدور مع حدود القارات الخارجية. وذلك يعنى أن موقع مدينة مكة المكرمة هو مركز الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية.**

ولا خلاف على أن الإسراء كان من مكة وأنه ﷺ بات فى بيت أم هانئ - وبيتها عند شعب أبى طالب وأضاف البيت إليه لأنه لا ينام فيه - فنزل جبريل عليه السلام وأخرجه إلى المسجد وكان به أثر النعاس ثم أخرجه إلى باب المسجد فأركبه البراق.

ثانيًا: بيت المقدس الشريف بالقدس بأرض فلسطين:

والسؤال: لماذا كان الإسراء إلى بيت المقدس؟

لنعلم جميعًا أن كل ما يجريه الله سبحانه وتعالى من آيات وأحداث لا يقع إلا لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى وإن كانت تخفى على الكثير وسواء علمنا أم لم نعلم فما علينا إلا التسليم. وإن كان البعض قد أجهد نفسه لإبراز المعانى الذى يحتويها الحدث فما ذاك إلا قليل من كثير. فقد قيل: لو عرج بالرسول إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح. ونحن نعلم أن الرحلة اتخذت مسارين:

الأول: إلى بيت المقدس.

والثانى: إلى السماء العلا.. والرسول بمقدرته أن يصف لهم تمامًا الرحلة الأرضية وسيجد من يوافقه القول لأنهم زاروا بيت المقدس. أما لو تكلم مهما تكلم عن سدرة المنتهى فإن أحدًا لم يرها. وعلى هذا فإن تصديق البعض لرحلته إلى بيت المقدس يلزمه التصديق لبقية ما يذكر.

وأن مصعد الملائكة إلى السماء يقابل بيت المقدس إذ أنه أقرب أماكن الأرض إلى السماء ولذا كان المعراج من هناك .

قاله أبيّ [1] بن كعب. وليجمع بين القبلتين: الكعبة وبيت المقدس ولكى يرى البيت الذى سيتحول إليه فى صلاته وحتى لا يتخذه قبلة وهو لم يره ولم يعلم عنه شيئًا.

وقيل: إن بيت المقدس مجمع أرواح الأنبياء فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ وقد أتت الرواية بأنه جمع للرسول الأنبياء فصلى بهم إمامًا.

وقيل: أن بيت المقدس محل الحشر فأراد الله تعالى أن تطأه قدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدميه ﷺ.

وأقول: للربط بين مكة مهبط الإسلام وأرض الشام مهبط الوحى لسائر الديانات الأخرى وأرض مولد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثا: المدينة المنورة والمسجد النبوى الشريف: وكانت الزيارة بمثابة التعريف بأرض سيهاجر إليها النبى ﷺ وسيقيم بها طيلة حياته بعد ذلك وسيدفن فيها. روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: « **ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة** » [2]. وهذا إعلام من النبى ﷺ بموضع حوضه الذى سيكون يوم القيامة والذى يشتاق كل مؤمن للشرب منه يوم القيامة شربة لا يظمأ بعدها أبدًا. وبذا أصبح للمدينة فضل على ما سواها من جميع بقاع الأرض بعد مكة إذ « لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ».

وبالإضافة لتلك الأماكن الثلاثة ذات المعالم الدينية السامية وذات المكانة العالية فى قلوب المسلمين دينيًا ودنيويًا. فقد قيل: إن الرسول ﷺ نزل وصلى بمدين عند شجرة موسى عليه السلام وبيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

الدلالة الثالثة: القيمة لزمن توقيت الرحلة: المقطوع به أن معجزة الإسراء والمعراج وقعت قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة ولكن الخلاف فى أى سنة كانت؟ فجزم جمع بأنها كانت قبل هجرة النبى ﷺ بسنة.

---

(١) أبى بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن البخاى الأنصارى الخزرجى. أبو المنذر سيد القراء ويكنى أبا الطفيل أيضًا. من فضلاء الصحابة. اختلف فى سبب موته اختلافاً كثيراً. قيل: سنة تسع عشرة. وقيل: سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: غير ذلك. (تقريب: ١/ ٤٨).

(٢) صحيح. رواه البخارى (٣/ ٢٩) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٦٤) والبيهقى فى (الكبرى، ٥/ ٢٤٦) وابن أبى شيبة فى (المصنف، ١١/ ٤٣٩).

وقال القاضى عياض.[1]: إنها قبل الهجرة بخمس سنوات لأن السيدة خديجة رضى الله عنها صلت مع النبى ﷺ والصلاة لم تفرض إلا بعد المعراج.

ولكن الصلاة التى صلتها السيدة خديجة رضى الله عنها كانت صلاة تطوع قبل أن تفرض الصلوات الخمس. ومن هنا فعلينا العمل بالمتفق عليه والبعد عن المختلف فيه ولا داع للخلاف حول فرعيات الدين. أما المتفق عليه فإن معجزة الإسراء والمعراج كانت قبل الهجرة بسنة أو ما يزيد عليها بقليل أو ينقص عن السنة قليلاً أى أنها كانت فى السنة الثانية عشرة من البعثة المحمدية.

والسؤال: لماذا وقع الإسراء فى هذا الزمن بالتحديد ولم يحدث قبله ولم يتم بعد الهجرة؟

وتتبع كتب السيرة النبوية وقفنا على أن السيدة خديجة الزوجة الأولى لرسول الله ﷺ وعمه أبا طالب قد ماتا فى عام واحد وذلك فى السنة العاشرة من البعثة « فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب». ففى عام الحزن هذا فقد الرسول ﷺ أعز نصيرين له. بل وفوق ذلك فقد اشتد الأذى عليه من كل جانب والتمس من ثقيف النصرة والمنعة ولكنهم قابلوه بالجحود والنكران وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم وهنا حزن الرسول ﷺ من موقف ثقيف.

لقد تتابعت الأحزان والمصائب على رسول الله ﷺ ولم يكن له مخرج من تلك الهموم إلا بالتسرية عن نفسه بالإسراء والعروج به إلى ما فوق السموات.

يقول البوصيرى:

سريت من حرم ليلاً إلى حرم — كما سرى البدر فى داج من الظلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة — من قاب قوسين لم يترك ولم ترم

وقدمتك جميع الأنبياء بها — والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم — فى موكب كنت فيه صاحب العلم

(١) القاضى عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبى السبتى الحافظ. كان إمام أهل الحديث فى وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنجوم واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. مات ليلة الجمعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش. (أنباء الرواة للقفطى: ٢/ ٣٦٣).

فإذا كانت الخطوب قد اجتمعت على رسول الله ﷺ وما كان لأحد أن يتحملها مجتمعة ومتتابعة ولكن قوة روح النبى ﷺ جعلته يصبر عليها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠].

الدلالة الرابعة: اجتماع علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين للرسول ﷺ: أوحيت آيات القرآن الكريم إلى رسول الله ﷺ وتلقى الرسول ﷺ الآيات بالتصديق المطلق وبلغها لمن حوله من صحابته كما أنزلت عليه ولم تأخذ الآيات نسقاً واحدًا بل تنوع محتواها.... ذكرت الآيات أخبار الرسل السابقين كل باسمه ولم ير رسولنا واحدًا منهم.

ووصفت الآيات النار بما فيها من الشقاء والعذاب غيبًا ووضحت معيار الجزاء إما إحساناً وإما سوءاً.

ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن ينقل رسوله من علم اليقين - آيات الوحى الحكيم - إلى عين اليقين حيث يعاين حقيقة المخبر عنه ثم يدخله فى حق اليقين ليصبح معايناً لواقع ما تلقاه وحيًا.

وبذا تجتمع لرسول الله ﷺ حقائق الأشياء مع أخبارها حتى إذا وصف فيها بعد الجنة أو النار - وصفُ طبقًا لما علم وعاين وعايش.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

« ولقد رأى من آيات ربه الكبرى» رأى الأنبياء - والملائكة والجنة والنار والدنيا وفضل المجاهدين عند الله - عقاب المتغافلين عن الصلاة ومانعى الزكاة والزناة وآكلى الربا وخطباء السوء.



إن للبيت ربا يحميه؟؟

« إن للبيت ربا يحميه» جملة قيلت فى ساعة شدة منذ خمسة عشر قرنا فجرت مجرى المثل. ثم أصبحت قضية زاد فيها الخلاف والجدال. والجملة كما هو معروف قالها « عبد المطلب» جد رسول الله ﷺ حين واجه أبرهة الحبشى وهو فى طريقه ليهدم الكعبة قدس أقداس العرب قبل الإسلام وبعده.

سؤال على المفكرين؟ هذه الحادثة تناولها فى العقدين الأخيرين أربعة من المؤرخين سوريين ومصريين قوميين وإسلاميين فوقفوا جميعهم من الحادثة بأشكال شتى: منهم من رفض الرواية جملة وتفصيلا بدعوى أنها تزرى بالموقف التاريخى للعرب من مقدساتهم. ومنهم من رأى أنّ الرواية لم تصلنا كاملة. ومنهم من قال: إن الله ألهم عبد المطلب بأن يقول ما قال.

وقال رابعهم: إنّ عبد المطلب كان فى موقف الضعيف العاجز فسلم أمره إلى الله!! مما يوحى بأن الجميع يدين موقف عبد المطلب ومن ثم يحاول أن يجد له مخرجًا من موقفه.

فهل كان عبد المطلب فى موقفه أمام أبرهة متخاذلاً حقًا؟

طرحت هذا السؤال على العديد من المفكرين والمؤرخين فأقروا بأنهم يجدون الموقف برمته مربكًا. وبالتالى فلا يجوز التلبث عنده لأنه سيؤدى إلى إدانة عبد المطلب. ونصح أحدهم بحذف الحادثة من التاريخ « فأية بداية لتاريخ العربى هذه البداية؟» ورجعت إلى أمهات التاريخ العربى وأصوله المتعددة فوجدتها تثبت الحادثة. وبالتالى فلا مناص من مناقشتها وهذه المناقشة غير ممكنة إلا بالرجوع إلى الصراع التاريخى على بلاد العرب بين عملاقى ذلك الزمان: **القسطنطينية وفارس**.

كانت شبه الجزيرة العربية من أغنى البقاع وأخطرها على مر التاريخ. وكان العرب فيها مسيطرين على طرق التجارة الدولية بين الشرق الأقصى (الهند والصين وأندونيسيا) وأوروبا عبر مصر وسوريا والعراق.

وقد نشأت فى القرن الأول للميلاد فى الجنوب دولة قوية تحت حكم شرحبيل «ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها فى الجبال والسواحل». وقد دامت

هذه الدولة إلى عام ٣٤٠م حين غزا ملك الحبشة « إيللا ميدا» اليمن وتلقب بملك «أكسوم وحمير وذى ريدان وحبشتا وسلع وسبأ وتهامة» وكان هذا يعنى أن نفوذ الروم - عن طريق النصرانية - قد وصل إلى أهم مناطق شبه الجزيرة العربية - بواسطة الأحباش خاصة أن بحرية القسطنطينية كانت تحتل ميناء عدن.

وهنا برز دور اليهود الذين تسللوا إلى الجزيرة العربية بعد أن دمر الرومان أورشليم عام ٧٠ ق. م. وأجلوا اليهود عن فلسطين فانتشر هؤلاء فيما بين الحجاز وفارس آملين أن يساعدهم الفرس على العودة إلى فلسطين مثلما ساعدهم من قبل كورش بعد أن دمر بلاد بابل فعادوا قوافل بين ٥٣٦ و ٤٤٤ ق. م.

فى البداية تحالف اليهود مع ملوك حمير بقيادة « ملك كرب» واستطاعوا أن يحتلوا قسمًا من اليمن ثم خطا ابنه « أسعد أبو كرب» خطوة أبعد فأعلن اعتناقه لليهودية فى وجه الأحباش طمعًا فى دعم الفرس أيضًا إلى أن أجلى آخر ملوك الحبشة « ذى الشناتر» ويوقع بالنصارى فى « مذبحة نجران» الشهيرة سنة ٥٢٣م ثم جمع الأمير الحميرى من نجا منهم وخيرهم بين اليهودية أو القتل فاختاروا القتل فخدد لهم أخدودًا وأحرقهم فيه: ﴿**النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ**﴾ [البروج: ٥] فوجدها نجاشى الحبشة فرصة لاحتلال اليمن مرة ثانية والسيطرة على الشواطئ الشرقية للبحر الأحمر فنقل بمساعدة « جوستنيان» من القسطنطينية حوالى مائة ألف جندى بزعامة « أرباط» الذى ذبح اليهود ومنعهم من الاختلاط بالعرب. حين وضعت الحرب أوزارها شرع فى تأسيس وجود للمسيحية فى اليمن فشيد كنيسة فى ظفار وأخرى فى نجران وعين عليها أسقفًا جلبه من الإسكندرية.

وحين رحل ترك على قيادة جيش الحبشة قائده « أبرهة» الذى شيد كنيسة «القليس» فى صنعاء وزينها بالفسيفساء والذهب لكى يصرف « حاج العرب إليه ويتركوا الحج إلى بيتهم» كما كتب إلى أبرهة.

إلا أن الأمر استفز العرب استفزازًا أدى بهم إلى تلطيخ الكنيسة مما جعل أبرهة يقتنع بأنه إذا لم يهدم الكعبة ويحتل الحجاز بحيث يصل بين قواته فى اليمن وجيوش بيزنطة فى سوريا فإن وجوده ووجود المسيحية يظلان مهددين فى شبه الجزيرة العربية. فعاود تجميع قواته وسار بها قاصدا مكة.

فى البداية قـاوم اليمنيـون الحملة بزعامـة « ذو نفر» ثم تصدت لها قـبائل « خثعم وينهبون مـيرته ويطمرون الآبار فى الطريق الطويل إلى مكة. ولكى نعـلم حجم العداء الذى يكنه العرب لجيش أبرهـة يكفى أن نذكر أن دليل الجيش الحبشى كـان عربيًا يدعى «أبا رغال» فقـتله العرب وجعلوا له قبرًا رمـزيًا خارج مكة وجعلوا من رجمـه بالحجارة إحدى الشعائر « حسب إحدى الروايات» والتى لا يصح حج بدونها !

ويبدو أن المقاومة « حرب الغوار» التى تخطفـت جيش أبرهة بالتحالف مع الجفاف وعواصف الرمال أسـاءت إلى معنويات الجيش وصحـته فتفشت فـيهم الأمراض. وقد يكون الجدرى هو أحد مظاهر هذه الحجارة « من سجيل» بالإضافة إلى حجارة المقاومين وسهامـهم ونبالهم مما ساعد على الإجهاز عـلى الجيش الغازى فاحتل تطامه واسـتحال عليه طريق العودة فهلك من هلك وأسـر الباقى واستعبد مما يفسر كثرة العـبيد الأحباش فى الحجاز عند ظهور الإسلام.

رد بارع.. أم محاولة للتنصل: ويبدو أيضًا أن أبرهة وهو فى إحدى مراحل الطريق إلى مكة التقى بعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الذى ادعى أنه كان يسير فى الطريق عرضاً فاختطف الجيش إبله فقابل أبرهة مطالبًا بالإبل. فلما علم أبرهة مقام عبد المطلب فى قريش استغرب أن يقصر هذا حديثه عن الإبل فى مثل تلك الظروف. فرد عليه عبد المطلب ردًا غامـضًا فى منتهى البراعـة قال: « أما الإبل فهى لى.. أمـا البيت فله رب يحميه».

إن ظاهر الكلام يحـمل الاستقـالة من المسئـولية - إذا قطعنا الكلام عن مـلابساته وفهمناه فهمًـا سطحيًا. ولكن لو أنعمنا الطرق فى عبارة « وأما البـيت فله رب يحميه» وتساءلنا ماذا كان عبد المطلب يعنى بهـا لأوصلتنا إلى الصراع العقائدى الذى كان يدور فى شبه الجزيرة العربية وعليها.

فحين وجـد مفكرو العـرب وسيـاسيوهم أن اليـهودية أدت بهم إلى الاسـتعـمار الفارسى وأن النصرانية أوقعـتهم تحت النفوذ البيزنطى والاستعمـار أو الاحتلال الحبشى رجعـوا إلى رصيـدهم الروحى - الثـقافى - التـاريخى الضخم الذى ورثوه عن جـدهم الأعلى إبراهيم ومن بعده إسـماعيل: الحنيفـية وهى دين توحيدى سابق علـى اليهودية والنصرانية ومختلف عنهمـا كما أنه بعيد عن الشرك والأصنام: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا**

ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقد ورد الحديث عن حنيفية إبراهيم فى القرآن الكريم أكثر من عشر مرات للتأكيد على أنها دين عربى توحيدى متميز عن بقية الأديان وعلى أن الإسلام استمرار له. وقد أكد سلوك الرسول الكريم على هذه المعانى فقد كان خالد بن سنان العبسى من حكماء العرب وكان يدعو قومه فى نجد إلى دين إبراهيم. وحين وفدت ابنته إلى المدينة مع وفد من قومها لمبايعة الرسول ﷺ رحب بها وفرش لها عباءته وأثنى على أبيها وحكمته.

إذن فكلام عبد المطلب إصرار وتحد فيه خلاف مع أبرهة وما يقصد إليه: «رب البيت» هو غير الرب الذى يدين له أبرهة ورب البيت يحمى بيته من أبرهة» (١).

وعبد المطلب لم يأت للتفاوض وإنما ليلفت نظر أبرهة إلى أنه سيحارب رب العرب. أى أنه سوف يثير عليه العرب قاطبة.

أى أن عبد المطلب الأعزل يهدد أبرهة برب البيت ولم يدل لأبرهة بمعلومات محددة فهو كأى قائد حصيف لم يكشف عن خطط قريش فى مقاومة الغزو.

بل إن سلوكه أكد الطابع السلمى للقيادة القرشية فى مكة حيث كان الاتفاق بالإجماع بين العرب على اعتبار مكة أرضًا مقدسة لا يجرى فيها قتال لكنه من جهة أخرى أثبت أنه لا يخاف أبرهة ولا جيشه فهو متمسك بحقه فى استرجاع إبله. وبالتالى فلا يقبل أى عدوان عليه فى شخصه وماله. هذا الموقف الذى يجمع الشجاعة إلى الحكمة أهَّل عبد المطلب فيما بعد أن يسفر إلى النجاشى باسم قريش ويعقد معه معاهدة تجارية تكون تجارة الحبشة بموجبها تحت خفارة قريش. وهو ما شجع حفيده النبى العربى بعد ذلك بنصف قرن أن يرسل أوائل المسلمين إلى نجاشى الحبشة فرارًا بدينهم من أذى قريش. فرحب بهم النجاشى بوصفهم لاجئين سياسيين على الرغم من فناء الجيش الحبشى فى الطريق إلى مكة فالتجارة ترأب ما صدعته السياسة.

أخذ ولم يعط: وفى حين أن عبد المطلب لم يعط أبرهة أى شىء فقد أخذ منه كل شىء! لقد تعرف على عدوه وعرف شخصيته ونمط تفكيره من محاورته معه.

(١) قلت: وعبد المطلب لم يكن حضوره إلى أبرهة للتفاوض فى استرجاع إبله ولكن ليشد ذهنه ويلفت نظره أنه سيحارب رب الناس.

كذلك رأى ضباطه وقادته من حوله ولا يستبعد أن كانت له عيون في جيش العدو من العرب الذين وافقوا جيش الغزاة فاتصل بهم بصورة من الصور تحت ستار أنه بدوى يرعى إبله ويصطنع الغفلة والتشاجر مع الجنود ليطلع على استعدادهم وانضباطهم ومعنوياتهم بعد كل الذى عانوه في الطريق إلى هدفهم الذى لم ولن يبلغوه! فيرى ويحكم إن كان في وسعهم أن يستمروا فى حملتهم أو تهن قواهم فيتشتتوا تحت وطأة المزيد من المقاومة. وهو في انتحاله لنفسه هذا المظهر البرىء - مظهر البدوى الذى يسترحم عدوه لرد إبله - قد ضمن لنفسه مدخلاً سالمًا ومخرجًا آمنًا.

كما أنه بتعرفه على أبرهة صار في إمكانه أن يقابله مرة أخرى لو ساءت **الأحوال ووصل الجيش الحبشى إلى مكة. وبظهور عبد المطلب بمظهر الواثق وغير المبالى بأمر الغزو فإنه غادر أبرهة نهبًا للظنون عما ينتظره وجيشه فى قادم الأيام ما دام « للبيت رب يحميه» وربما قصد عبد المطلب أن يتصل بالقبائل التى تهاجم جيش أبرهة.**

ولكن هل صحيح أن عبد المطلب ضاع فى الصحراء وهو يرعى الإبل فوجد نفسه فجأة وسط جيش أبرهة؟ هذا محال. فقد كان عبد المطلب سيدًا فى قريش وكان له من العبدان والرعيان ما يكفيه مشقة أن يخرج بنفسه مع إبله ناهيك أن يبتعد بها عن مكة وقت الغزو مما يدفعنا إلى الاستنتاج بأنه خرج إلى الجيش عمدًا وقصد إلى مقابلة أبرهة قصدًا ليكون لنفسه فكرة مباشرة عما ينتظره إذا سارت الحملة إلى غايتها. وفى هذا الموقف منتهى الإحساس بالمسئولية كما فى تنفيذه لهذه المهمة منتهى الشجاعة وفى طريقة إدارته للأزمة تتجلى حكمته ورجاحة رأيه. ولعل أبرهة حين وجد عبد المطلب بين أيدى الجنود فوجئ ولم يعرف ماذا يفعل بقوته أمام الرجل الوحيد الأعزل.

من كل ذلك نجد سلوك عبد المطلب سلوك قائد محنك شجاع بعيد الغور صاحب فكرة صائبة وجرأة جسور.



الإسراء نصر من الله تعالى

الإسراء والمعراج فى سيرة النبى ﷺ معلم بارز يمثل نقطة تحول هامة فى حركة الدعوة فى مكة. ولأجل هذا عندما تحدث القرآن الكريم إلى الأمة عن آية الإسراء وما تحمله من عجب وروعة وانبهار بدأها بالتنزيه تنزيه القوى القادر الذى قدر ودبر وضمها بذكر الهدف الأسمى وراء رحلة اليقين. قال جل شأنه: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

وآتت آية الإسراء ثمرتها فى مسيرة الدعوة فدعمت اليقين وأكدت وحدة الدين الإلهى إذ كانت رحلة عبر خط الوحى وجاء المعراج تأكيدًا لذلك كله. ونتيجة لهذا رأينا تحولاً واضحًا فى حركة الدعوة فماذا حدث؟!!

الداعية العظيم والنبى الكريم عليه أفضل صلاة وسلام الذى عصر الحزن قلبه لوفاة عمه أبى طالب الذى كان خير ردء وأكرم عون. وزوجته خديجة رضى الله عنها التى كانت سندًا وعضدًا. أضف إلى ذلك أحاسيس الهوان التى طافت بمشاعره بعد رحلة الطائف.

الخروج إلى الطائف والبحث عن محضن للدعوة: لم يكن من الممكن إذا أن تكون مكة بجوها الخانق وعدائها للنبى ﷺ والتمسك بدين الوثنية الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع لا يمكن أن تكون مركزًا وهى على هذا الحال للدعوة العالمية المباركة. وبالتالى فلا مناص من مغادرتها مؤقتًا للعودة إليها فى ظروف مهيأة وبوسائل غلابة.

فيمم رسول الله ﷺ وجهه شطر الطائف عساه يجد عند أهلها قلوبًا ألين وعقولا أرشد فيحظوا بشرف حماية الدعوة وحملها فعرض دعوته على أهلها فإذا به يلقى من سادتها وسفهائها ما لم يخطر له على بال حتى إنه ليرى أنَّ ما لقيه منهم هو أشد ما لقى من الأذى:

فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: « **هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: « لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ. وكان أشدُّ ما لقيتُ**

منهم يوم العقبة. إذ عرضتُ نفسى على عبد ياليل بن عبد كُلال. فلم يُجبنى إلى ما أردتُ. فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهى. فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى. فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى» [1].

وعاد ﷺ من هذه الرحلة وقد يئس من نصرتهم وقد ازداد اختناق الدعوة على النحو الذى يصوره دعاؤه ﷺ غداة عودته من الطائف.

عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال: لما توفى أبو طالب خرج النبى ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه. فانصرف فأتى ظلّ شجرة. فصلى ركعتين ثم قال: « **اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وهوانى على الناس؛ يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين. إلى من تكلنى؟ إلى عدوّ يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم تكن غضبان علىّ فلا أبالى. غير أن عافيتك أوسع لى. أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**» [2].

وإذا فقد أصبحت الدعوة بين عدوين: عدوّ يتجهم وعدو يملك الأمر ولم يعد

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (بدء الخلق، ٦/ ٣١٢، ح/ ٣١٣، ٣٢٣١) ومسلمْ فى (الجهاد، باب من أذى المشركين والمنافقين، ٣/ ١٤٢٠ (١٧٩٥/ ١١١) وابن حبان (ح/ ٦٥٦١، ١٤/ ٥١٦) والبيهقى فى (الدلائل، ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

قرن الثعالب. ويقال له: قرن المنازل: الموضع الذى يحرم منه أهل نجد (النهاية: ٤/ ٥٤) وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير. وما زال الوادى يسمى قرناً.

والبلدة تسمى السيل وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية يبعد عن مكة (٨٠) ميلاً. وعن الطائف (٥٣) ميلاً. (معجم المعالم الجغرافية فى السيرة: ص/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه الطبرانى فى « الكبير» وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة. وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد) (٦/ ٣٥) وهو من مراسيل الصحابة فإن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لم يدرك القصة إذ قد ولد بالحبشة حين كان أبوه مهاجرًا إليها. وقد روى الحاكم فى « المستدرك» (٣/ ٥٦٧) عن مسلم بن الحجاْج: أن عبد الله بن جعفر سمع من النبى ﷺ. ومات النبى ﷺ وهو ابن عشر عشر سنين.

وعلى كل حال فمراسيل الصحابة مقبولة لأن معظم رواياتهم عن الصحابة أو عن النبى ﷺ كما قرر علماء الحديث. وهذا الدعاء أخرجه ابن إسحاق ـ وعنه أصحاب السير ـ عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى مرسلاً وإسناده صحيح. وفيه: « أن الشجرة كانت شجرة عنب في حائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة وفيه كذلك قصة عداس المشهورة والحديث بطريقيه قوىّ مقبول « إن شاء الله».

غريبه: قوله: « يتجهمنى» يلقانى بالغلظة والوجه الكريه. وقوله: « لك العتبى» أى لك الاسترضاء بالرجوع عن الذنب والإساءة. ويستعتب أى يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا. (النهاية: ٣/ ١٧٥).

المقام فى مكة يصلح لنشر هذه الرسالة العالمية.

أمن الخير - والحال ما سبق - أن تبقى الدعوة حبيسة فى مكة مقيدة الإرادة مشلولة الحركة وأن يقيم الداعى الكريم ﷺ وأصحابه على الضيم؟

ولا يقيمُ علـى ضَيْم يُـراد به ... إلاَّ الأذلان عيرُ الحى والوتد

هذا على الخَسْف مربوطٌ برُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فمـا يـرثى له أحدُ

لابد - إذًا - من البحث عن متنفس جديد للدعوة ولابد من البحث عن القاعدة الحصينة التى يمكن أن تنطلق منها الدعوة.

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن رام العُلا مُتَحَوَّل

سؤال: فمن إذن هؤلاء الأعداء الذين يتجهمون برسول الله ﷺ وبأصحابه؟

والإجابة على هذا السؤال سهلة وواضحة: هم الكفار والمشركون بمكة وأهل الكتاب الذين يكنون فى صدورهم حقداً شديدًا للإسلام والمسلمين يريدون أن تغرق سفينة الإسلام فى البر والبحر كى ينفرد لهم النفوذ فى الأرض **لأنهم يعتقدون بالباطل أنهم شعب الله المختار.**

واليوم: فإن نيران الحقد الصهيونى على الإسلام كما كان شأن آبائهم من القردة والخنازير. فاليوم تواصل الفئة الباغية مسيرتها إلى غايتها الضالة والحقد الصهيونى يتلمظ غيظاً ويدفع بجماعات أكل الحقد التاريخى قلوبهم ليدنسوا ساحة الحرم بأقدامهم بحثاً عن هيكلهم المزعوم الذى يرونه فى قلب الأقصى.

وتكاثرت عمليات الحفر والتنقيب حول جدرانه لينهار يومًا على رءوس ذويه فينهار بانهياره تاريخ عريق ومجد باذخ . ولا يستطيع هوان الحاضر أن يصون كرامة الماضى والمأساة لا تزال فى طريقها إلى النهاية التى لا يعلم إلا الله وحده مداها.

ويتصدى المسلمون العزل فى الأرض المحتلة للمؤامرة بحجارتهم وما يقع فى أيديهم من وسائل للمقاومة فى مواجهة أسلحة متقدمة تحملها أيد ملوثة بالغدر وتراق الدماء المسلمة فى ساحة الحرم أنهارًا وبحارًا عنه من أحقاد المتعصبين.

وهذا حاكم العراق بتأثير جنون العظمة وما يدفع إليه من سفه وحمق اعتدى على جارته وخرب البلاد ودمر السلاح الذى ادخره ودفع ثمن تدميره وأضاع جزءًا من إمكانات الأمة المسلمة كان يمكن أن تدخره لمعركة فاصلة مع عدوها المتربص بها. لعله أراد أن يقوم بإسراء جديد يرفع ذكره ويعلى فى العالمين شأنه فأخطأ الطريق العلوى

وأسرى إلى جنوب العـراق صوب جارته الكويت بدلاً من الإسراء إلى القـدس الأسير ليفك الإسار ويغسل العار وأنىَّ له هذا الشَّرف؟!!

وكانت النتيجة أن الله يمهل الظالم، وإن أراد انتـقامه سلط عليه من هو أظلم منه، وأشد عـبسًا وقـهرًا، فـهاك أمريكا أقلعـته عن العـراق كما يقلع الفـيل بغيظه شـجرة بجذورها ولا يعـرف أحد من الناس إلى أين بات صـدام حسين، واليـوم يدفع الشعب المسلم من إخواننا بالعراق ظلم صدام وقهره المذموم، ولم نعد نعرف إلى أين وإلى متى ستكون العراق بعد الحرب.

وهذه إسرائيل فى قلب المنطقة العربية تعـيث فى الأرض فسادًا وتتأبى على الجهود المخلصة الساعية إلى السلام الذى يحقق الأمن ولا يضيع العدل.

ولبنان بين الأمن والخوف والأمل والرجاء... والمسلمون الذين تتعلق نياط قلوبهم بالإيمان وبحب الله ورسوله عليـهم بالإسراع لاستـيقاظ إخوانهـم المسلمين في كل بقاع الأرض ليحـذروا من عدوهم الآثم الذى يريـد أن يتخطفهـم. إن الأمة المسلمة مـطالبة بالإسراع نحو وحدة شاملة لتكون قلب واحـد ونفس واحد وقوة واحدة وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان الصادق واليـقين الراسخ فتقـضى بها على أهوائها الغـالبة وفرقـتها الباغـية وسلامها المضيع وغفلتها اللاهية كيما تستعيد الأقصى السليب والمسجد الأسير. وانظروا إلى نبيكم صلوات الله وسـلامه عليه كـيف تحمل الشدائد والمحن فى ظل نشـر الدعوة الإسلامية.

فـقـد فـارق الرسـول ﷺ وطنه وأهله مـن أجل إعـلاء كلمـة لا إله إلا الله وتحطيم الأصنام والأوثان وبناء المساجد التى يذكر فيها اسم الله تعالى رافعين أصواتهم بالنداء:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

النبى ﷺ يعرض نفـسه على قبـائل العرب: أخذ الداعى الكريم ﷺ يعـرض نفسه على قبـائل العرب المختلفة طالبًـا الإيواء والنصرة ويستـغل موسم الحج فى المرور على الخيام والأخبية. فيأتى كل قبيلة فى منازلهـا عارضًا دعوته وشارحاً مبادئه وسائلاً نصرة هذه الدعوة وتلك المبادئ وإيواء صاحبها والمؤمنين بها.

قام رسـول الله ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى من قلب صـادق ملىء بحب الله تعالى وحب الطاعة والانقياد لكل ما نزل عليه مـن القرآن الكريم. وكل من معه من الصحابة الكرام منقاد بين السنة النبوية وملتزمين بمنهج الله تعـالى والسير على رضاه. يقول النبى

ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» (١).

ويقول الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥] وقد طلب الله تعالى من نبيه أن يقول للمؤمنين: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٣١].

فليس الحب كلمة تقال وإنما هى عاطفة واتجاه وطاعة وسلوك. وقد نبه الله سبحانه وتعالى أبا بكر الصديق والمسلمين إلى مثل ذلك. بعد براءة عائشة رضى الله عنها من حديث الإفك فقد قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح بن أثاثة شيئاً أبدًا بعد الذى قاله فى عائشة وأدخل عليها ما أدخل. فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر: والله إنى لأحب أن يغفر الله لى وأرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفقها عليه. وقال: « والله لا أنزعها منه أبدًا».

وهذه السرعة فى الاستجابة تبين مدى حب أبى بكر لخالقه سبحانه وتعالى ومن هذا المنطلق الإسلامى يبدو للمسلم وللمسلمة مدى اهتمام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى.

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: « **كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل فى المواقف. فقال: « ألا رجل يحملنى إلى قومه فإنَّ قريشًا منعونى أن أُبَلِّغ كلام ربى؟**» (٢).

زاد فى رواية: « فأتاه رجل من همدان. فقال: « ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان. قال: « فهل عند قومك من منعة؟».

قال: نعم. ثم إنَّ الرجل خشى أن يُخْفِرَه قومه. فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم

(١) حسن صحيح. رواه الخطيب فى « التاريخ» (٤/ ٣٦٩) والمشكاة (١٦٧) وفتح البارى (١٣/ ٢٨٩).
(٢) إسناده صحيح. رواه أبو داود فى (السنة، باب: فى القرآن ٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ح/ ٤٧٣٤) والترمذى فى (فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبى ﷺ ٥/ ١٦٨، ح/ ٢٩٢٥) وقال: غريب صحيح. وابن ماجة فى (المقدمة، باب: فيما أنكرت الجمهية ١/ ٧٣، ح/ ٢٠١) والدارمى فى (فضائل القرآن، باب: القرآن كلام الله ٢/ ٥٣٢، ح/ ٣٣٥٤) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٣٩٠).

فأخبرهم وفد الأنصار فى رجب» (١).

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: « **لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر رضى الله عنه فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب.** فتقدم أبو بكر رضى الله عنه ـ وكان مقدمًا فى كل خير ـ وكان رجلا نسَّابة. وقال: ممن القوم؟ ـ قالوا: من ربيعة. . .» فذكر الحديث فى حوار أبى بكر معهم ثم ذهابهم إلى مجلس بنى شيبان بن ثعلبة. وعرضهم نصر النبى ﷺ مما يلى العرب دون الفرس إلى أن قال: « فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ. قال: « فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سُرَّ بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم» (٢).

وفى هذا النص ما يدل بغاية الوضوح على أنه ﷺ قد رأى ضرورة التحول من مكة. وضرورة إيجاد منطلق حصين منيع للدعوة العالمية المباركة.

تباشير النصر. نتيجة لهذه الحركة الدائبة من الداعية الأعظم ﷺ شرح الله صدر من شاء لهم الهداية من خلقه فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى (٣) ثم عرض على النبى ﷺ الهجرة إلى دوس بالطائف إلاَّ أنَّ النبى ﷺ أبى عليه ذلك.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أنَّ الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنهما أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك فى حِصن حصين ومنعة؟ قال: حصن

---

(١) إسناده صحيح. رواه أحمد فى (المسند ٣/ ٣٩٠) وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥): «رجاله ثقات» وصححه الحاكم (٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣) على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى.
ورواه البيهقى فى (الدلائل، ٢/ ٤١٣ ـ ٤١٤) ولعل المقصود بوفد الأنصار الذى جاء فى رجب: وفد جاء ليعلن للنبى ﷺ أنَّ نفرًا قد أسلموا. وسوف يأتون للمبايعة فى موسم الحج. والله أعلم.
غريبه: قوله: « يُخْفِره» بضم أوله وكسر ثالثه: يغدروا به ولا يحفظوا عهده وجواره. وأخفرت الرجل: إذا نقضت عهده وذمامه. (النهاية: ٢/ ٥٢).

(٢) أخرجه البيهقى فى (الدلائل، ٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٧) وأبو نعيم فى (الدلائل، ١/ ٢٣٧ ـ ٢٤١) وقال ابن حجر فى « الفتح» (٧/ ٢٢٠): « إسناده حسن» كما حسنه القسطلانى فى « المواهب» غير أن ابن كثير أورده وقال: « هذا حديث غريب جدًا» كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب (السيرة النبوية: ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٩).

(٣) الدَّوسى: بفتح الدال المهملة وسكون الواو وكسر السين المهملة. هذه النسبة إلى دوس. (الأنساب: ٢/ ٥٠٦).

كان لدوس فى الجاهلية ـ فأبى ذلك رسـول الله ﷺ للذى ذخر الله للأنصار فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمر وهاجر معه رجل من قومه . . . »[1].

ولعل رفض النبى ﷺ لعرض الطفيل كان بسبب أنَّ دوسًا لم تكن قد أسلمت بعد فخشى أن لا يستطيع الطفيل منعه وأن لا يكون له فيه منعة والله أعلم. فإن دوسًا قد أسلمت فيما بعد ذلك بكثير.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « جاء الطفيل بن عـمرو إلى النبى ﷺ فقال: **إن دوسًا قد هلكت عصت وأبَتْ فادعُ الله عليهم** فقال: « **اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم**»[2].

وقد كان قدوم الطفيل ذلك بعد إسلام أبى هريرة رضى الله عنه أى أنه كان بعد خيبر فى العام السابع للهجرة وهذا يدل على أن دوسًا لم تكن تصلح أن تكون مهاجرًا لرسول الله ﷺ وأن الطفيل لم يكن ليمنع رسول الله ﷺ لو فعل ذلك.

ثم إن ذلك الرفض كان ـ كما ذكر جابر رضى الله عنه للذى ذخر الله للأنصار إذ بدأت طلائع يثرب المباركة فى الإيمان برسول الله ﷺ بعد أن لقى النبى ﷺ وفدًا من الخزرج أراد الله لهم الخير فآمنوا به وصدقوه وذلك عند العقبة فى السنة الحادية عشرة من بعثته ﷺ.

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: **مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة وفى المواسم بمنى. يقول: «من يؤوينى؟ من ينصرنى؟ حتَّى أُبلغَ رسالة ربى وله الجنة؟»**. حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه. فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمضى بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب. فآويناه وصدّقناه فيخرج الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه. حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها

---

(١) صحيح. اخرجه مسلم فى (الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ١/ ١٠٨ ـ ١٠٩، ح/ ١٨٤/ ١١٦) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٣٧٠).

(٢) صحيح. أخرجه البخارى فى (المغازى، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسى ٨/ ١٠١، ح/ ٤٣٩٢) وأحمد فى (المسند، ٢/ ٤٤٨).

رهط من المسلمين يظهرون الإسلام. . . » [(١)] الحديث.

أما قصة النفر الخزرجيين الأول وبدء إسلامهم فيحكيه ابن إسحاق.

فيقول: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: « **لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: « من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج. قال: « أمن موالى يهود؟» قالوا: نعم. قال: « أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه.**

فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام: أنَّ يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: إنَّ نبيًا مبعوث الآن قد أظلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم.

فلما كلَّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنَّه النبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يُجَمِّعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزُّ منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا [(٢)].

قال ابن إسحاق: « **فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فَشَا فيهم**. فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل - الثانى عشر للبعثة - وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة - قال: وهى العقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٣٩ - ٣٤٠) والبزار (٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨ -، ح/ ١٧٥٦) وقال الهيثمى فى « المجمع» (٦/ ٤٦): « رجال أحمد رجال الصحيح» وقال ابن كثير فى « البداية والنهاية» (٣/ ١٥٩): « هذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه». وقال ابن حجر فى « الفتح» (٧/ ٢٢٢): « بإسناد حسن».

(٢) أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية: ١/ ٤٢٨ - ٤٢٩) وعند أصحاب السير و «الإسناد حسن » ولا تضر جهالة شيوخ عاصم فالغالب أنهم من الصحابة. ولعل بعضهم ممن حضر الوقعة والله أعلم.

وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب» [١].

أما قصة هذه البيعة فيحكيها عبادة بن الصامت رضى الله عنه وهو أحد شهودها والمبايعين فيها. فيذكر أنَّ النبى ﷺ قال لهم: « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف. فمن وفَّى منكم فأجره على الله. ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفاوة له. ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك [٢].

وفى رواية عنه رضى الله عنه قال:« كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنا عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء...» فذكر الحديث [٣].

والمقصود: أنهم بايعوا على وفق بيعة النساء التى نزلت بها الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة بعد صلح الحديبية إذ لم يرد فيها ذكر القتال.

وعاد الوفد بعد هذه البيعة المباركة إلى يثرب ومعهم مصعب بن عمير رضى الله عنه يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين - ثم عاد فى العام التالى - الثالث عشر للبعثة - ومعه سبعون رجلاً وامرأتان من المؤمنين ليبايعوا النبى ﷺ بيعة العقبة الثانية حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته. والنصر لنبيه ﷺ وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله [٤].

إن تاريخ إسرائيل هو سلسلة من النكبات وسلسلة من المآسى ولم يستقر لهم حال إلا فى ثلاثة عهود هى التى أشار إليها القرآن الكريم: عهد طالوت. ويليه عهد داود. ويليه سليمان. وعهد طالوت أشير إليه فى آيات سورة البقرة فى قول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٤٣١).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الإيمان، ١/ ٦٤، ح/ ١٨) ومسلم فى (الحدود، ٣/ ١٢٣٣، ح/١٠٧٩/ ٤١ - ٤٢) والترمذى فى (الحدود، ٤/ ٣٦، ح/١٤٣٩) والنسائى فى (البيعة، ٧/ ١٢٨، ١٣٣) وأحمد (٥/ ٣١٤، ٣٢١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٣ - ٤٣٤ والإسناد صحيح.

(٤) انظر: الثقات لابن حبان (١/ ٩٦).

وبعده عهد سيدنا سليمان عليه السلام ما يقرب من ثمانين سنة [1] ما عدا هذه الفترة فتاريخهم سلسلة من النكبات ما بين البابليين والفرس واليونان والرومان وغيرهم سلسلة من النكبات. أما بالنسبة للهيكل فهو دمر عدة مرات على يد «بختنصر» ودمر على عهد «سرجول» سنة ٧٢١ ق.م ودمر تماماً على عهد «طيطس» الرومانى سنة ٧٠م ودمرت المدينة بأثرها.

لذلك صاحب تاريخ الإسرائيليين هذا الرجل الذى كتب تاريخ الإسرائيليين عندما تحدث عن قيصر الرومان وذكر بعد ذلك إلى هنا انتهت إسرائيل كأمة وبعد ذلك انتشروا فى بقاع الأرض وكان منهم ـ أيضاً ـ كما يرى كثير من المحققين والمفسرين وبنو قريظة وهؤلاء هم من آثار الذين شردهم «طيطس» الرومانى.

نعم الحياة معركة ومنذ أن أوجد الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الكون والحياة صراع بين الحق والباطل صراع بين الأخيار والأشرار معركة ما بين الحق وبين الباطل. هذه سنة الحياة وتلك الأيام نداولها بين الناس. **ونحن عندما نرى ظلماً قد انتشر لا نيأس لأن وظيفتنا أن نحارب الظلم أيًا كان مصدره.**

قد يكثر الظلم فترة من الوقت ولكن بثبات أهل الحق وبثبات أهل الصدق لابد أن ينتصر أهل الحق فى النهاية والقرآن الكريم وضع لنا سننًا لا تتغير ولا تتبدل: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ .

ومن الموضوعات البارزة فى التاريخ الإسلامى: **مسألة الحروب الصليبية**: وهى فى حقيقتها حروب بين معسكرين متنافرين طوال عدة قرون. فالحروب الصليبية التى بدأت فى أواخر القرن الحادى عشر بالمشرق العربى تعتبر إحدى الحلقات الرئيسية فى سلسلة هذه الحروب لأن المواجهة الإسلامية والصليبية كانت مستعرة فى هذا القرن ومنذ مطلعه فى شمالى الأندلس الإسلامية وفى جزيرة صقلية عندما طرد الصليبيون النورمان الأغلبية المسلمة منها ومحوا منها الهوية العربية.

ومن استقرائنا لأحداث ووقائع الحروب الصليبية التاريخية

ومطالعتنا للمآسى والمذابح التى تعرض لها مسلمو العالم الإسلامى على أيدي

(١) انظر القصة فى: (البداية والنهاية) لابن كثير.

الصليبية العالمية سنجد تفسيرات لما يدور لمسلمى البوسنة والهرسك وكشمير وكمبوديا والفلبين وجنوبى السودان والصومال والخليج العربى فالتعرف على أبعاد ومخططات الحروب الصليبية سيعطينا تفسيرات لا لبس فيها عما يعود فى أذهان حكام الغرب المسيحى تأكيدًا لقوله: «الشرق شرق والغرب غرب لا يلتقيان أبداً» ويقصد بالشرق العالم الإسلامى.

وحقيقة تقال: إن الحروب الصليبية قد استعرت بعد سقوط طليطلة عام ١٠٨٥ فى أيدى القشتاليين الذين كان يؤازرهم صليبيو فرنسا وألمانيا وإيطاليا وكان من ورائهم البابا الذى كان منفيًا فى «كلير مون» بجنوبى فرنسا.

وهذه الحروب الصليبية الوافدة أيقظت العالم الإسلامى شرقه وغربه. فأعلن الجهاد زهاء قرنين فى المشرق العربى وأربعة قرون فى الأندلس.

وبينما كان الإسلام يتهاوى فى أسبانيا **كان المسلمون العثمانيون يدقون أبواب أوروبا شرقًا بعنف فى محاولة لتطويق العالم المسيحى الغربى حتى وصلت جيوش المسلمين لفيينا بعدما أعلن محمد الفاتح سقوط الإمبراطورية البيزنطية وسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٨م**. والغرب لا ينسى المد الإسلامى فى غرب أوروبا عندما زهت الخلافة الأموية كما لم ينس الزحف الإسلامى فوق اليونان ورومانيا والصرب والجبل الأسود وكرواتيا والبوسنة والهرسك والمجر والنمسا فتهاوت عروش وتداعت تيجان هناك أمام هذا الزحف الإسلامى الكاسح.

بهذه المقاومة نضع الأوراق الإسلامية فى مكانها الصحيح على مائدة البحث حتى لا تختلط علينا المفاهيم المعاصرة والتفسيرات السياسية حول ماهية الصراع الإسلامى الأوروبى.

السلاجقة والصليبيون: استطاع السلاجقة تحت ظلال الخلافة العباسية إخضاع أجزاء كبيرة من تخوم الإمبراطورية البيزنطية فتوسعوا فى الأناضول وآسيا الصغرى. ومما قوى من مركزهم السياسى وموفقهم العسكرى انتصارهم الساحق على البيزنطيين عام ١٧٠٢م فى موقعة «متزكت» التى أسر فيها الإمبراطور البيزنطى نفسه. بعدما استولى السلطان «ملكشاة» على شواطئ مضيق البوسفور المؤدى للقسطنطينية عاصمة البيزنطيين.

ومما منع سقوط العاصمة فى يده عدم وجود أسطول بحرى له لكنها ظلت سنوات تحت خطر الفتح الإسلامى السلجوقى حتى أتى الصليبيون عام ١٠٩٦م عندما نزحوا إلى آسيا الصغرى عبر القسطنطينية وواجهوا قوة السلاجقة فى الأناضول فاستطاع الصيليبيون بقيادة «جود فرى» ومعاونة البيرنطيين الاستيلاء على «نقية» ولم يستطع السلاجقة الصمود فانسحبوا من آسيا الصغرى تاركين طريق الشام مفتوحاً أمام جحافل الصيليبيين الذين انتزعوا منهم أرمينية وأثرها وأنطاكية.

وكان السلاجقة قد استولوا على مدينتى «نيقية» و «أنطاكية» عام ١٩٠٢م. .من البيزنطيين وهما مدينتان استراتيجيتان فى شرق البحر الأبيض المتوسط. وهذا ما جعل الإمبراطور البيزنطى يهادنهم بأى ثمن. ولجأ للبابا فى «كليرمون» بفرنسا يستنجد به وليرسل قوات صليبية لوقف المد الإسلامى فوجد البابا فى هذا فرصة لدمج الكنيستين الشرقية والغربية بعدما انشقتا عام ١٠٥٤م. ومستغلا حشد القوات الصليبية فى شمال الأندلس.

وكانت القوى الإسلامية فى المشرق العربى تتمثل فى السلاجقة فى «قونية» بالأناضول والعباسيين الخاضعين لنفوذ «البويهيين» فى فارس والفاطميين فى القاهرة. وفى عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. **استطاع السلاجقة تحرير الخلافة العباسية من نفوذ البويهيين الشيعة بعدما قضوا على حركة «البساسيرى» ببغداد التى كانت لحساب الفاطميين بمصر. وأنقذوا الخلافة العباسية من هذا الانقلاب الفاطمى الشيعى ودولة السلاجقة كانت القوة الإسلامية العظمى فى الشرق كله حيث كانت تحكم مساحة الأرض من خراسان حتى الشام بما بينهما من أرمينية والعراق والأناضول وكانت تتوسع على حساب الأرمن والبيزنطيين والفاطميين فى الشام.**

وفى عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م لو ألقينا نظرة على العالم الإسلامى سنجد السلاجقة قد انقسموا شيعاً ودويلات وأصبح سلاجقة الروم فى مواجهة ضد سلاجقة الشام. بينما كانت الدولة الفاطمية بالقاهرة تحتضر وبينما كان الصيليبيون فى أنطاكية عام ١٠٩٨م. استرد الفاطميون بيت المقدس من السلاجقة.

بداية الحروب الصليبية: بعد سقوط «طليطلة» عام ١٠٨٥م فى أيدى «الفرنسو السادس» ملك قشتالة وسقوط صقلية الإسلامية فى أيدى «روجرز» ملك «النورمان»

بإيطاليا عام ١٠٩١م وهزيمة الإمبراطور البيزنطى «ألكسيس الأول» أمام السلاجقة فى معركة «منزكزت» عام ١٠٧١م. وقف البابا «إربانش الثانى فى ساحة ميدان «كليرمون» بمنفاه فى جنوبى فرنسا عام ١٠٩٥م فأعلن أمام الكرادلة والنبلاء الحروب الصليبية ضد الكفار والوثنيين يعنى المسلمين «هكذا» والتصدى للزحف الإسلامى على الشرق المسيحى البيزنطى بعدما اشتعلت الحروب الصليبية لمدة قرنين منذ عام ١٠٩٦ وحتى عام ١٢٩١م.

وأرسل البابا «كرادلته» ورهبانه ونساكه وعلى رأسهم الناسك «بطرس» ليجوبوا أوروبا ويدعوا للحرب المقدسة لتخليص قبر المسيح من أيدى السلاجقة الكفار «كما يزعمون» وأشاع «بطرس» الناسك أن الخليفة الفاطمى «الحاكم بأمر الله» قد هدم كنسية القيامة فانضم لهم العبيد الأقنان هرباً من إقطاعيات النبلاء ورجال الكنيسة والمغامرون بحثًا عن كنوز الشرق والمجرمون والقتلة ليكفروا عن ذنوبهم فى هذه الحرب المقدسة «فى زعمهم» والمدهش حقاً أن الصليبين لما دخلوا بيت المقدس وشاهدوا كنيسة القيامة قائمة اكتشفوا إفك بطرس الناسك.

والأدهى من هذا كله أنهم لما دخلوا الكنيسة ذبحوا قساوستها والرهبان واللائذين بها من الأقباط واعتبروهم هراطقة قد نجسوا قبر المسيح فيجب تطهيره منهم ففر النصارى الأرثوذكس مع المسلمين الملتاعين لمصر والعراق ودمشق.

والبابا «إربان الثانى» كان منفياً فى «كليرمون» بفرنسا بأمر من الإمبراطور البيزنطى «بالقسطنطينية» تحت عباءته. فافتعل هذه القضية الدينية ليشغل الجماهير المسيحية بها قائلاً فى مؤتمر «كليرمون» ليشعل حماس المحتشدين: «إن بيت المقدس مهد إيماننا ومهبط رأس مولانا ومنبع الخلاص قد تملكه عنوة شعب غير متأله «يقصد المسلمين» هو ابن الجارية المصرية «هاجر» والذى يفرض على المرأة الحرة «سارة» ظروفًا بالغة السوء حتى قالت لزوجها إبراهيم: اطرد الجارية وابنها».

وهذه النظرية التعصبية التى أظهرها البابا فى خطابه لا تتفق ومنطق التاويخ اليهودى والمسيحى لأن العرب ساميون وهم من نسل إسماعيل وإسحاق ويعقوب وهم أبناء هاجر وسارة بينما الغرب أصلهم آديون لا يمتون لسيدنا إبراهيم بصلة رحم.

ونص هذا الخطاب جاء فى «كتب الحروب الصليبية» التى كتبها «وليم الصورى» وكان معاصرًا لها. وقال البابا على لسان المسيح: «لا تظنوا إنى جئت لألقى سلاماً على الأرض بل سيفاً». وهذا القول الذى أورده «وليم الصورى» على لسان البابا يؤكد أن المسيحية تدعو إلى التبشير القسرى بالسيوف رغم أن المستشرقين فى مطاعنهم ضد الإسلام يدّعون أنه دين سيف انتشر فى ظلال الفتوحات الإسلامية الشهيرة متناسين أن الأغلبية العظمى من المسلمين قد دانوا بالإسلام طواعية عن طريق الدعاة وليس عن طريق الرماة.

خلفية تاريخية: حقيقة تقال: إن الكنيسة الغربية قد قامت بعمليات غسيل مخ جماعى للقوات الصليبية المتجهة للشرق أو العائدة منه لأن الصليبيين عندما وفدوا للمشرق العربى كانوا برابرة غير متحضرين فلما رأوا الشرق انبهروا بحضارته وعظمة الإسلام فى داره. وكانت الكنيسة تعدم الجنود العائدين إعدامًا جماعيًا بتهمة حملهم الطاعون «الموت الأسود» الذى كان يحصد الآلاف فى أوروبا كما أباحت لكتاب ومؤرخى العصور الوسطى تشويه صورة نبى الإسلام وبث المطاعن عنه ولاسيما فى الفترة ما بين سنتى ١١٠٠م و ١٤٠٠م **فوصف (ساوترن) الرسول بأنه ساحر كبير هدم الكنيسة فى أفريقيا والشرق عن طريق** السحر والزيف والخديعة.

ومن المفتريات الملفقة ادعى كتاب الغرب فى هذه الفترة أن القائد «صلاح الدين الأيوبى» أصله مسيحى من إيطاليا ألقت أمه به فى اليم وهو طفل رضيع داخل صندوق فوصل ساحل الشام والتقطه عربى رباه هناك واستعان كتاب الغرب فى مطاعنهم بما كتبه المؤرخون البيزنطيون فى أعقاب الفتوحات الإسلامية الكاسحة للدولة البيزنطية فى مصر والشام وشمال أفريقيا إبان القرن السابع.

وضمن شحن الكنيسة للرأى العام الغربى الذى كان منبهرًا **بعظمة الإسلام** والمسلمين أطلقت المغنيين القصاصين فى كل ربوع أوروبا ليقصوا مفتريات عن نبى الإسلام ووصفوه بأنه صنم كبير للسراقوة «العرب».

ومن الكتاب المنصفين للإسلام المؤرخ الشهير «أدولف» الذى وصف الغرب إبان العصور الصليبية بأنه كان تحت الخطر الإسلامى الداهم فقال فى كتابه «الإسلام وأوروبا فى العصور الوسطى»: أن معظم أوروبا لم تكن قد تحولت للمسيحية وكانت الوثنية تتفشى فيها.

وكانت الكنيسة تنظر إلى الإسلام وقتها على أنه كارثة دينية قد أحلت بأسبانيا وجنوبى إيطاليا. لهذا تكتل السلاف والنورمان والمجريون وتحالفوا معًا إبان القرن الحادى عشر لضرب الوجود الإسلامى فى الأندلس وإيطاليا وجنوبى فرنسا وكان إجلاء المسلمين من شبه جزيرة أيبيريا بغرب أوروبا هدفا من الأهداف العليا للكنيسة الغربية.

والمطالع لما قاله الأمير « تشارلز» فى محاضرته الأخيرة عن « الإسلام والغرب» يلاحظ من خلال كلماتها نظرة الغرب للإسلام حيث قال: إنها أصبحت واقعية بعد عدة قرون من التشويه والمطاعن حيث كان الإسلام غازيا فى القرون الوسطى وحاليًا مصدراً للتعصب والإرهاب والتطرف.

وهذه النظرة التى عبر عنها الأمير « تشارلز» للإسلام تدل على أن الغرب لم يتخل بعد عن نظرته التعصبية تجاه العالم الإسلامى. لما وقر فى أذهان الغربيين من مطاعن ومفتريات أشيعت عن المسلمين منذ العصور الوسطى.

فالإسلام بوداعته وسماحته وعدله واجه فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر عدة جبهات صليبية كانت تتربص به فى آن واحد فانطلق النورمان واحتلوا جزيرة صقلية الإسلامية منذ عام ١٠٦٠ م. واستولى « الفونسو السادس» ملك قشتالة على طليطلة الأندلسية عام ١٠٨٥ م وواجه السلاجقة السنيون البيزنطيين فى « منزكرت» بأرمينية عام ١٠٩٩ م وواجهوا فى السنة نفسها الصليبيين فى القدس وجيش الفرنجة المرتزقة من أوروبا الذين أمدتهم فرنسا بقواتها لأنها لم تنس أنها كانت تحت الخطر الإسلامى فى «بواتييه» عام ٧٣٢ م.

صمود المسلمين: لقد صمد المسلمون أمام سبع حملات صليبية شرسة كان وراءها اثنا عشر بابًا من باباوات الكنيسة الغربية وهذه الحملات قام بها ملوك فرنسا و أوروبا تحت راية الصليب. وهذه الحملات الضارية شنت على مدن وقرى وقلاع وحصون المسلمين فى مصر والشام وفلسطين وتونس بلا هوادة أو رحمة. وفى الحقبة نفسها شهد العالم الإسلامى فى مشرقه الهجمة الوحشية المغولية ما بين عامى ١٢١٩ م و ١٢٥٨ م. وهذه الهجمات اجتاحت بلاد ما بين النهرين وفارس والعراق وأحرقت فيها مدن بخارى وسمرقند ونيسابور وبلخ والرى وهراة وبغداد حيث دمرت معالم الحضارة الإسلامية وآلاف المدارس والقصور والمكتبات.

ولعب المماليك : بمصر والشام دوراً بارزاً عام ١٢٦٠ م فى صد هذا المد المغولى الكاسح واستطاعوا هزيمة المغول فى « عين جالوت» ووحد السلطان« الظاهر بيبرس» مصر ودمشق وطهر معظم الأراضى المحتلة من الصليبيين.

وقد حاول « لويس التاسع» بعد هزيمته النكراء فى المنصورة احتلال « تونس» عام ١٢٧٠ م ونزل بقواته هناك لتطويق مصر من المغرب وحاول تنصير التونسيين لكن السلطان « الأشرف بن قلاوون» حرر طرابلس وعكا عام ١٢٩١ م بعدها أغلق ملف الحملات الصليبية فى مصر والشام وفلسطين.

أهداف الحملات الصليبية: من الكتب المصنفة التى ألقت الضوء على أهداف الحملات الصليبية كتاب « الصليبيون والشرق» للمؤرخ الروسى « رابورف» حيث بين فيه كيف أن الصليبيين فى عام ١٠٩٦ عند مرورهم بمدينة « القسطنطينية» موئل الكنيسة الشرقية نهبوها وسلبوا ديارها ونزعوا الرصاص من فوق قباب كنائسها بقيادة قائدهم الدينى «بطرس الناسك» فدمروا وأحرقوا المدينة التى آوتهم واستقبلتهم كأخوة لهم فى المسيحية وكانوا قبل وصولهم قد اغتصبوا وسرقوا أهل اليونان وسلوفينيا الذين فروا لائذين بالجبال من الهول الصليبى عندما داهمت القوات الصليبية ديارهم رافعة الأعلام المزينة بالصلبان.

والحملة الصليبية الرابعة عام ١١٩٩ م كان هدفها احتلال مصر لكن تجار البندقية عارضوا الفكرة ولا سيما وأن مصر كانت وقتها مركز التجارة العالمية فاتجهت الأساطيل للقسطنطينية لاحتلالها بهدف توحيد الكنيستين الشرقية والغربية وإخضاعهما للكرسى البابوى فى روما.

والصليبيون عندما استولوا على أراضى المسلمين جعلوها إقطاعيات سخروا فيها المسلمين والأقباط كعبيد أقنان وباعوا المسلمات كإماء لكن المسلمين لم يستسلموا وقاوموا الاحتلال الصليبى. فأصبح الصليبيون يعيشون فى أجواء متوترة مما جعلهم يبنون الحصون والقلاع لتأمين وجودهم.

وأهم أسباب نجاح الحملة الصليبية الأولى تمزق العالم الإسلامى وكان معظم حكامه فى خلافات مستمرة ومستعرة فى مصر والشام وفلسطين ومما أسقط أنطاكية عام

١٠٩٧م القتال بين أمراء السلاجقة وهذا ما أضعف قوتهم على خطوط المواجهة بينهم وبين الصليبيين. وكان لتقاعس الفاطميين بالقاهرة وضعفهم تمكين الصليبيين من الاستيلاء على القدس عام ١٠٩٩ م وتفاوض الخليفة الفاطمى معهم على اقتسام ديار فلسطين والشام فى مقابل تركهم القدس لمصر.

حروب الاسترداد: أصبحت مملكة القدس الصليبية تهدد مصر بشن الهجمات عليها برًا وبحرًا ولم يكن للخلافة الفاطمية حول أو قوة ترد بها على الغارات الصليبية المتلاحقة على شمالى شرق الدلتا. ولعب السلاجقة دوراً كبيرًا فى تخفيف الضغط الصليبى على الحدود المصرية بشن الغارات المكثفة على الصليبيين من جهة صحراء الشام على الإمارات الصليبية الشمالية.

فقد هاجم صاحب دمشق عام ١١٣٧م إمارة طرابلس الصليبية وأعقبه عماد الدين ابن زنكى وهاجمها ثانية وأسر الكونت «ريمون» ثم اتجه ابنه نور الدين وحرر وادى الفرات.

وكان لاسترداد المسلمين لإمارة الرها وقعه السيئ على البابا « أوجينوس الثالث» فى روما فوقَّع مرسومًا باباويًا بشن الحرب الصليبية رسميًا ولأول مرة وكلف بقيادتها الملك الفرنسى « لويس السابع» للانتقام من المسلمين واسترداد إمارة الرها بالذات لأنها كانت أول إمارة صليبية فى الشرق لكن السلاجقة لاحقوا القوات الصليبية وانتصروا على الألمان قرب « طورليوم» بآسيا الصغرى وهزموا القوات الفرنسية قرب « قونية» العاصمة. وحاول الصليبيون شن حصار على دمشق السلجوقية عام ١١٤٧ م لكن قوات الموصل وحلب ردتهم عن المدينة

كان لانتصار صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين فى حطين عام ١١٨٧ م أثره عليهم وكان بداية العد التنازلى لوجودهم هناك ولا سيما بعدما أوقع الملك « لويزيان» وقادته فى الأسر بعدها اتجه لتحرير بيت المقدس وسمح للصليبيين بالخروج منه سالمين.

وكان لاسترداد المسلمين للقدس أثره السيئ على البابا فدعا لشن حملة صليبية ثالثة اشتركت فيها فرنسا وألمانيا وانجلترا لكنها فشلت.

بعدها حرر صلاح الدين عكا ويافا وبيروت وعسقلان وغزة والمدن الساحلية لطرابلس الشام واستهدف هذا حماية المدينة المقدسة وعزلها عن أى اتصال مباشر بينها

وبين العالم الغربى المتربص بها.

ولعب المماليك دوراً بارزًا فى القضاء على الوجود الصليبى فى الشرق ففى عام ١٢٦٣ م قام السلطان « بيبرس» بتطهير الشام وفلسطين من جيوب الصليبيين ثم أعقبه«الأشرف بن قلاوون» عام ١٢٩١ م بتحرير عكا آخر معاقلهم ليطوى صفحة الصليبية هناك. ورغم الحملات الصليبية والملفقات للإسلام والمسلمين هناك حقيقة دامغة وسط هذه الأراجيف وهى أن المسلمين كانوا قد استعمروا أوروبا تجاريًا واقتصاديًا وحضاريًا وكان الدينار العربى هو العملة الدولية فى أسواق المال والتجارة العالمية.

فى القرن الرابع عشر تزعمت قبرص الحملات الصليبية بهدف الاستيلاء على بيت المقدس وكان المصريون قد غزوا أرمينية المسيحية عام ١٣٦٠ م فاستنجد ملكها «ليو» بملك قبرص فأرسل أسطولاً صليبيًا تعاونه قوات «ردوس والجنويون» واشتركت معهم أساطيل جنوة وميلانو والبندقية وفيرونا. ودعم البابا « أوريان الخامس» هذه الحملة. ولأول مرة تنزل القوات القبرصية فى آسيا الصغرى بجزيرة «جوريجوس» الأرمينية ثم شن ملك قبرص بعدها حملته البحرية بأساطيل الخلفاء على الأسكندرية مستغلاً الصراع السياسى حول السلطنة المملوكية بالقاهرة فنزلت القوات الصليبية المدينة ودافع الأهالى عن أسوارها حتى نفدت ذخيرتهم عام ١٣٦٥م ودخل الصليبيون شوارع الأسكندرية وأحرقوا البيوت والحمامات والمساجد والكنائس وأسروا أهلها وذبحوا المئات من المسلمين والأقباط.

واستطاع حاكم المدينة بعد أسبوع إزاحة هذه الغمة بعدما نزع أعلام الصلبان ورفع أعلام الإسلام وظل الصراع بين مصر وقبرص مستعرًا حتى أرسل السلطان « برسباى» حملة بحرية استولت على جزيرة قبرص عام ١٤٢٦ م. وأسرت ملكها « جانوس» وسير به فى شوارع القاهرة مكبلاً بالحديد. وأصبحت قبرص ولاية تابعة لمصر وللعثمانيين بعد ذلك فى ١٥١٧ م.

وأخيرًا فإن أصدق تعبير يصف هذه الحملات الصليبية ما قاله عنها « كافين رالى» من أنهم قادرون على تبرير أى درجة من درجات الوحشية والفساد بخلع القداسة عليها وهذا ما حدث فى البوسنة والهرسك.

شعب البوسنة من الوثنية إلى الحضارة الإسلامية

ينتسب سكان البوسنة والهرسك أساسًا إلى القبائل السلافية الوثنية التى ترحلت إلى شبه جزيرة البلقان ومنطقة جبال الألب الشرقية. وفى القرن التاسع عمل الألمان الذين استوطنوا النمسا والمجريون الذين استوطنوا سهل بانونيا على فصل سلاف الشمال عن سلاف الجنوب ونشط المبشرون المسيحيون هناك فى الغرب والشمال الغربى ودفعوا الكثيرين إلى اعتناق المسيحية.

وفى بداية القرن الثامن عشر فتح الأتراك المسلمون البوسنة والهرسك فى إطار توسعهم فى منطقة البلقان وأوروبا بأسرها وبدأوا ينشرون حضارة الإسلام وثقافته فى تلك المنطقة المشهورة بالجبال والمناطق الزراعية فأنشأوا المكتبات والمساجد ودور العلم مما دفع عدداً كبيراً من الصرب البوصوليين إلى اعتناق الإسلام.

وبعد أربعة قرون من الحكم التركى أصبح المسلمون البوشناق أكثرية فى تلك الفترة أغرى الإمبراطورية النمساوية لغزوها. وكان ذلك فى عام ١٨٧٥ م وإعلانها دولة تحت الانتداب وفى عام ١٩٠٨م تم ضمها رسميًا لتلك الإمبراطورية بعد أن تأكد الجميع من أن الإمبراطورية التركية لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ولكن الشعب البوسنى هب للدفاع عن استقلاله وحريته.

وتشكلت حركة « بوسنة الفتاة» التى قادت الثورة ضد المحتلين وكانت ذروة كفاحها اغتيال الأمير « فرانيا فردينانيد» ولى عهد النمسا حينما كان يزور « سراييفو» فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ م مما تسبب فى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وبعد هزيمة النمسا وألمانيا فى تلك الحرب وانهيار الإمبراطوريات القديمة وظهور الاتحاد السوفيتى الشيوعى قرر سكان جمهوريات البلقان إنشاء دولة فيدرالية جديدة هى «يوغسلافيا» كانت البوسنة والهرسك جزءاً منها.

الصراع الصربى الكرواتى: ولكن وفى الحرب العالمية الثانية احتل الألمان « كرواتيا» إحدى الجمهوريات التى تتألف منها « يوغسلافيا» وضموا إليها البوسنة والهرسك فدارت معارك شرسة بين الصرب والكروات الذين يدعمهم الألمان. واعتقد الصربيون أن المسلمين يساعدون الكروات فارتكبوا مذابح مروعة ضدهم راح ضحيتها حوالى ١٢٠

ألف مسلم وكانت مـذبحة « فوكا» فى عـام ١٩٤٣م كبرى تلك المذابح حيث استـشهد خلالها ١٥ ألف مسلم على يد جماعة دقنك الصربية.

من الشيوعيـة إلى القومية: وفى ٢٧ نوفمبر ١٩٤٣ م تم تشكيـل مجلس التحرير الشعبى الوطنى المعادى للألمان بقيادة « جـوزيف بروزتيتو» وفى ٦ إبريل ١٩٤٥ قاد تيتو عملية تحرير سراييفو من الحكم النازى تمهيدًا لإعادة ضمها للدولة اليوغسلافية. وشارك المسلمون فـى معركـتى نيريتفـا وسوينسكا ضـد القوات النازية فى عـام ١٩٤٣ م وبعد الاستقلال تضمن الدستور البوسنى أن الجمهورية جزء من يوغسلافيا الموحدة.

وقد ساد الاستـقرار يوغسلافيا بجـميع جمهورياتها الست وهى البـوسنة وكرواتيا وصربيـا وسلوفينيا والجبل الأسـود ومقدونيـا وإقليميهـا المتمتـعين بالحكم الذاتى وهما كوسوفو وفـوفوديتا خلال حكم الرئيس الراحل « جوزيف برورتيتـو» حيث عمل على المساواة بين جميع القوميات رغم أنه حارب الأديان خاصة الإسلام الذين دخلوا السجن لهذا السبب الرئيس البوسنى « على عزت بيجوفتش».

ومع وفاة « تيتو» انتـهى دور الزعامة التاريخية التى كانـت تحكم البلاد وتجعل منها فى الظاهر نسيجًـا واحداً تمكنت خلاله من تحقيق إنجازات عـديدة على المستوى الدولى أبرزها مشاركتها مع مصر والهند وأندونيسيا فى تأسيس حركة عدم الانحياز. وقد بقيت النار تحت الرمـاد نظرًا للقهر الشـيوعى فى حكم « تيـتو» ضد الشـعوب اليـوغسلافـية وبخاصة المسلمين.

وبعد « تيـتو» تولى السلطة مجـلس رئاسة جمـاعى يضم ممثلاً عن كل جمـهورية وإقليم ويتم تداول الرئاسة فى المجلس بشكل دورى كل عام حـيث ترأس كل جمهورية المجلس لمدة عام ويتولى أحد الإقليمين السلطة لمدة عام واحد أيضًا كل سبع سنوات.

ولم يؤد هذا النظام إلى الاسـتقرار مما عـجل بظهور نزعـات قوميـة استـفحلت مع بداية انهيار الشيوعـية فى العالم فى أواخر الثمانينيات وبرغم إعلان الأحـزاب الشيوعية فى يوغسلافـيا عن تحولها إلى أحزاب اشـتراكية أو ديمقـراطية إلا أن ذلك لم يكن سوى تغيير فى الأسماء مع بقاء السياسات الشمولية القمعية.

وكانت بداية النهـاية ليوغسـلافيا فى عـام ١٩٩٠ م حينما تولى زعـماء قومـيون

السلطة فى كل من كرواتيا وسلوفينيا. وأعلنوا عزمهم على السعى لتخفيف قبضة سلطة بلجراد المركزية والتى يهيمن الصرب عليها.

وتصادف فى بداية عام ١٩٩١ م أن كان رئيس وزراء يوغسلافيا « أنتى ماركوفيتش» وهو كرواتى وكان وزير الخارجية « بوديمير لونشار» وهو أيضًا كرواتى. وحان الدور على كرواتيا كذلك فى تولى رئاسة مجلس الرئاسة الجماعى فخشى الصرب من قيام الكروات بالسيطرة على البلاد وتقليص النفوذ الصربى أو فصم عرى الوحدة اليوغسلافية فعملوا بكل قوة على إعاقة انتخاب المندوب الكرواتى « ستيبان ميزيتش» رئيساً للبلاد وهو ما أدى لتصاعد الأزمة.

وفى ٢٥ يونيو ١٩٩١ م أعلنت كرواتيا وسلوفينيا استقلالهما عن يوغسلافيا فاندلعت المعارك بين الجيش اليوغسلافى الذى يهيمن الصرب عليه وبين أفراد الميليشيات القومية فى الجمهوريتين ولم تتوقف رغم اضطرار الصرب فى الأول من يوليو ١٩٩١م للاعتراف برئاسة « ميزيتش» للبلاء حيث كانت الأمور قد وصلت إلى نقطة اللاعودة.

ورغم أن البوسنة والهرسك لم تكن طرفًا مباشرًا في هذا النزاع إلا أنه أثر عليها كثيراً لعدة أسباب:

أولها: أن سكانها ينتمون إلى القوميتين الصربية ٤٠٪ والكرواتية ١٧٪ علاوة على المسلمين ٤٣٪.

وثانيها: أن ٧٠٪ من مخازن أسلحة وذخيرة الجيش الاتحادى اليوغسلافى موجودة بأراضيها علاوة على تمركز ١٠٠ ألف جندى.

وثالثها: أن ذلك من الأسباب التى تمثلت فى قطع طرق الإمدادات إليها عن طريق البحر من كرواتيا وعن طريق البر من صربيا.

وبعد محاولات مصالحة فاشلة اعترفت أوروبا تحت ضغط من ألمانيا وفرنسا باستقلال كرواتيا وسلوفينيا وكان ذلك فى منتصف يناير ١٩٩٢ م مما كان يعنى سقوط يوغسلافيا وتفككها بالفعل.

وحتى لا يقع سكان البوسنة من المسلمين والصرب والكروات فريسة لأية

صراعات حالية أو قادمة قرر مجلس الرئاسة الاتحادى فى الجمهورية إجراء استفتاء فى ٢٩ فبراير وأول مارس ١٩٩٢ م لتقرير المصير وكانت النتيجة تأييد أغلبية الشعب للانفصال عن يوغسلافيا وإنشاء جمهورية مستقلة. واتفق زعماء الطوائف الثلاث فى البلاد على اقتسام السلطة من خلال مجلس الرئاسة الحاكم والذى يمثل المسلمين فيه حزب العمل الديمقراطى الإسلامى برئاسة « بيجوفتش» والحزب الديمقراطى الصربى وحزب الاتحاد الديمقراطى الكرواتى.

وحول الصربيون الذين يسيطرون على الجيش اليوغسلافى نشاطهم من كرواتيا وسلوفينيا إلى البوسنة حيث بدأوا فى إبريل ١٩٩٢ م أكبر عدوان عرفه الإنسان فى القرن العشرين على شعب آمن فنصبوا المدافع فوق الجبال ودكوا المدارس والمساجد والمنازل واجتاحوا المدن المسلمة خاصة فى شرقى البوسنة حيث تلتقى المنطقة بأراضى جمهورية صربيا المجاورة وتمتد عبر شرقى البوسنة لتلتقى مع الأراضى التى يسيطر عليها الصرب فى كرواتيا تحت اسم كراينيا.

موقف المتفرج: أى وقوف الأمم المتحدة منذ بداية الأزمة موقف المتفرج لتفاقم الأوضاع فتحول طبيب الأمراض العقلية « رادوفان كاراد زيتش» زعيم ما يسمى بصرب البوسنة إلى مجنون حرب ووجدها الرئيس الشيوعى « سلوبودان ميلوسيفيتش» فرصة للبقاء فى منصبه كرئيس لصربيا ويوغسلافيا ورفضا نداء العقل رغم أن المجموعة الأروبية « الاتحاد الأوربى فيما بعد» اعترفت باستقلال البوسنة فى ١٩ إبريل ١٩٩٢ م بعد أن اعترفت بها الأمم المتحدة فى بداية الشهر نفسه.

وجاء التحرك الأول للأمم المتحدة بعد حوالى شهر ونصف شهر من بدء العدوان الصربى حيث أصدرت فى ٣٠ مايو ١٩٩٢ م .

القرار رقم ٧٧٥ الذى ينص على فرض عقوبات اقتصادية ضد الصرب وما يسمى بيوغسلافيا الجديدة.

ولم ينص القرار السابق على ضرورة تخلى الصرب عن الأرض التى استولوا عليها بالقوة مما كان يعنى إعطاء الضوء الأخضر لهم لخلع الملابس العسكرية الرسمية للجيش اليوغسلافى ومواصلة القتال تحت علم « الميليشيات» الصربية المستقلة التى تملك كل أسلحة وعتاد الجيش الذى انسحب اسمًا فقط.

المناطق الآمنة: وتفاصيل العدوان الصربى على مسلمى البوسنة طويلة ومعقدة جدًا ولا يمكن رصدها بسهولة لأنها تحتاج إلى مساحات كبيرة. ولذا سنكتفى بهذه المقدمة من التاريخ والواقع وننتقل مباشرة إلى الجانب الذى يهمنا وهو ما يسمى بالمناطق الآمنة.

ويعود إطلاق لفظ المناطق الآمنة إلى بدايات عام ١٩٩٣ م وبعد أن تولى « بيل كلينتون» رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عقب دعاية ضخمة بأنه جاء لوقف العدوان الصربى على مسلمى البوسنة ومعاقبة مجرمى الحرب الصرب على جرائمهم في حق الإنسانية.

وفى تلك الأثناء اختارت الأمم المتحدة ست مناطق مسلمة هى: « سراييفو العاصمة وتوزلا الصناعية فى الشمال الشرقى - وبيهاتشى فى الغرب - وجورازدى - وزيبا - وسريبرنتسا» لوضعها تحت حمايتها باسم المناطق الآمنة بعد اشتداد الحصار الصربى لها. واعتقد الجميع آنذاك أن معاناة سكان تلك المناطق قد انتهت خاصة بعد أن أصبح الاعتداء عليها اعتداء على هيئة الأمم المتحدة.

سراييفو والمناطق الآمنة: فى ٤ فبراير ١٩٩٤ م لقى تسعة أشخاص مصرعهم عندما قصف الصرب طابورًا ينتظر شراء الخبز من أحد مخابز سراييفو.

وفى اليوم التالى الخامس من فبراير ١٩٩٤ م حدثت المذبحة الكبرى التى هزت ضمير المجتمع الدولى. ففى هذا اليوم اصطف المئات من سكان المدينة فى أحد الأسواق التجارية بها يريدون شراء ما يحتاجونه من سلع وأشياء وبيع ما يزيد على حاجتهم الضرورية لشراء الخبز والطعام بدلاً ما كانوا يريدون شراءه بالأمس فوجهت المدفعية الصربية قذيفة واحدة إلى هؤلاء كانت كفيلة بقتل وإصابة أكثر من مائتين وستين شخصًا.

وعقب هذه المذبحة اجتمع مجلس الأمن وحلف شمالى الأطلنطى وبعد شد وجذب لمدة طويلة صدر الإنذار إلى الصرب بسحب أسلحتهم الثقيلة من حول المدينة إلى مسافة عشرين كيلو مترًا على الأقل وتسليم هذا السلاح للقوات الدولية أو تشوينه تحت رقابتها.

ورغم أن الصرب امتثلوا فى نهاية المهلة فى ٢٠ من فبراير إلا أنهم نقلوا تلك

الأسلحة لمناطق أخرى لم يشملها الإنذار كان أولها « ماجلاى» التى تعرضت لقصف وحشى لما يزيد على خمسة عشر يومًا. وثانيها: «بيهاتشى» وهى من المناطق الآمنة. وثالثها «توزالا» الآمنة أيضًا. وأخيرًا « جورازدى» الآمنة التى تعرضت لمأساة عنيفة.

وقبل الانتقال للحديث عن «جوارازدى» يجب أن نشير إلى أن تلك المدينة والمدينتين المسلمتين الأخريين فى شرق البوسنة وهما « زيبا وسريبرنتسا» كانتا تمثلان أهمية خاصة للصرب ربما تفوق العاصمة « سراييفو» لأن المدن الثلاث تعد آخر جيوب يسيطر المسلمون عليها فى المنطقة التى احتلها الصرب بأكملها تقريبًا لربط جمهورية «صربيا» بمنطقة «كراينيا» التى يحتلونها فى كرواتيا.

ولذلك كان يجب على الأمم المتحدة من البداية توفير عدد كاف من المراقبين الدوليين لحماية المدن الثلاث فى ظل معرفة نوايا الصرب للاستيلاء عليها لإكمال السيطرة على شرقى البوسنة وهو الأمر الذى لم تقم به المنظمة الدولية لأسباب غير معروفة بالرغم من أن الصرب دأبوا منذ البداية على تضييق الخناق حول المسلمين بل والجنود الدوليين هناك.

وعلى سبيل المثال فقد منعت القوات الصربية الوحدة الكندية الموجودة فى «يريبرنتسا» من مغادرتها لاستبدالها بوحدة دولية أخرى واستمر ذلك لمدة طويلة ولا أحد يعرف لماذا لم تتحرك الأمم المتحدة للدفاع عن هيبتها بعد هذا الحادث.

و«سريبرنتسا» كما نذكر تمثل عقدة خاصة للصرب لأنها استعصت عليهم رغم محاصرتهم لها من كل جانب لأكثر من عام وقام أبناؤها وعلى رأسهم البطل الشاب « ناصر أوريتش» الضابط السابق فى الشرطة اليوغسلافية بشن حرب استنزاف غير مسبوقة ضد القوات الصربية اضطرتها للتراجع لمسافة بعيدة عن المدينة.

و«زيبا» المنطقة الآمنة الثالثة فى شرقى البوسنة كانت أيضًا تخضع للضغط الصربى خلال الأشهر الماضية. بالنسبة للمنطقتين الآمنتين الأخريين وهما « بيهاتشى» فى الغرب و« توزلا» فى الشمال الشرقى فلم يؤثر قرار الأمم المتحدة بوضعهما تحت الحماية الدولية فى إصرار الصرب على استمرار الاعتداءات عليهما. وتعرضت «توزالا».بشكل خاص لضغوط شديدة وقصف وحشى رغم اكتظاظها بالسكان والمصانع الضخمة ومنها مصنع

للكيماويات من الممكن أن يؤدى تدميره لحدوث كارثة بيئية فى أوروبا بأسرها.

مأساة جورازدى: وبالنسبة لجورازدى التى يقطنها ٦٥ ألف نسـمة وتعد آخر مدينة كبرى يسيطر عليها المسلمون فى شرقى البوسنة فقد قرر الصرب عقب سحب أسلحتهم من سراييفو إسقاطها بأى ثمن.

وبدأوا بالفعل هذه العملية فى الحادى والثلاثين من مارس ١٩٩٤ م مستخدمين كل ما أتوا من قوة وتسليح ومنتهزين فرصة انشغال العالم بشرب نخب انتصاره المعنوى عليهم فى سراييفو فقاموا بصنع المأساة للمدينة الآمنة طبقا لقرار الأمم المتحدة.

تخاذل دولى: ويأتى تخاذل المجتمع الدولى عن نصرة مسلمى البوسنة ومنع تزويدهم بالسلاح للدفاع عن أنفسهم رغم علمه بمدى التفوق الضخم لتسليح الصرب على تسليح المسلمين مما يسمح للمعتدين بمواصلة مجازرهم التى راح ضحيتها حوالى مليونى شخص بين قتيل وجريح ولاجئ علاوة على اغتصاب عشرات الآلاف من المسلمات.

حدث كل هذا والأمم المتحدة واقفة موقف المتفرج. وإذا مات ضمير العالم وبخاصة الدول الكبرى فإن مقاومة شعب البوسنة لم تمت.



انهيار الاتحاد السوفيتى

وفى أيام الاتحاد السوفيتى السابق كان العدو موجوداً ظاهرًا يمكن تحديده والعمل على مواجهته بكل أدوات الصراع وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى أصبح عدو الأمس على مدى ٤٥ عامًا صديق اليوم سعى إلى تحقيق الديمقراطية وحرية الوسق ويرغب فى إلحاح فى تقليل الترسانات الحربية التقليدية والنووية على حد سواء مما طرح سؤالاً خطيرًا أمام الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين يتلخص فى : **من العدو؟**

والسؤال خطير وغامض وليست له إجابه سهلة أو متفق عليها علماً بأنه أمر يجب تحديده حتى يتسنى لرجال التخطيط فى « البنتاجون» أو « قيادة حلف الأطلنطى» وضع استراتيجيتهم المقبلة على أساسه.

البحث عن العدو: إذن فأوروبا والولايات المتحدة تبحثان فى جدية عن « العدو» الذى تتبنى إستراتيجية مواجهته. كان العدو حتى منتصف الثمانينات هو الاتحاد السوفيتى ولكن روسيا الآن أقرب إلى الصداقة لهم من العداوة. فعدو الأمس الذى أصبح صديق اليوم حائر هو الآخر لتحديد اتجاهه فى ظل النظام العالمى المراوغ الذى شارك فى صنعه نتيجة للتحولات الخطيرة التى بدأت بفرقعات موسكو ثم انتشرت فى كل مكان داخل حدود الكتلة الشرقية وتجاوزتها بعد ذلك إلى كل بقعة فى الكوكب الذى نعيش فيه.

فمن هى « الروسيا» الآن؟

سؤال خطير لتحديد إستراتيجية أوروبا الموحدة يصعب الإجابة عنه. هل تركز مجهودها الرئيسى لكى تكون دولة أوروبية. فتتجه غربًا لاستكمال بناء البيت الأوروبى بعكس الاتجاه الذى كان يتحمس له « ويلى برانت» المستشار الألمانى الأسبق أثناء مناداته بإستراتيجية « الأوست بوليتيك» أى الاتجاه نحو الشرق والتى ذهب ضحية لها لأنه نادى بها مبكرًا فى الوقت غير المناسب؟

طبعًا كل دول أوروبا ترحب بذلك على الأقل لكى توازن الروسيا الجديدة مخاطر ألمانيا الموحدة التى أصبحت كالمارد وسط أوروبا كما كانت دائمًا منذ أيام البرنس « أوتو بسمارك» موحد ألمانيا.

ولا أظن أن الولايات المتحدة تتحمس لهذا الاتجاه فوحدة أوروبا بعد تنفيذ اتفاق

«ماستر يخت» مصيبة أقلقتها وانضمام روسيا إلى العائلة الأوروبية يصبح كارثة تضاف إلى الكوارث التى يواجهها « البيت الأبيض».

ولكن السؤال الآن: هل تركز روسيا لكى تكون دولة أوروبية آسيوية بالعمل كجسر بين الغرب والشرق.. فتمد يدها إلى الصين واليابان والنمور الأربعة؟

نعم هو اتجاه يغرى من الناحيتين: الإستراتيجية والاقتصادية خاصة بعد التعاون المشترك بين اليابان والصين وجنوب شرق آسيا. وكذلك التدخل الأمريكى الثقيل فى هذه الأماكن التى تشكل سوقًا يسيل لها اللعاب.

هل تتجه روسيا جنوبًا إلى الجمهوريات الإسلامية وبها ملايين الروس الذين يعيشون هناك منذ عهد القياصرة ثم عهد الشيوعيين بعد ذلك. وحيث يسعى ثالوث غامض لتركيز أقدامه هناك متمثلاً فى تركيا وإيران وإسرائيل؟

هل تتجه الروسيا إلى الشرق الأوسط مرة ثانية حيث المخزون الهائل للنفط ـ أى الطاقة ـ والذى يشكل منطقة العبور إلى أفريقيا وهى المخزن الهائل للمواد الخام. وبذلك تكرر الخطأ الذى وقع فيه الاتحاد السوفيتى حينما تجاهل نصيحة « بطرس الأكبر» الذى ركز على أن تحصر روسيا نشاطها فى الدول المتاخمة ولا تنفذ بعيدًا إلى المجهول!.

أسئلة تحير واضعى الإستراتيجية فى الجناح الغربى من البيت الأوروبى لا أظن أنهم يعرفون لها إجابة حتى الآن على وجه التحديد.

مصير الإسلام فى أوروبا: ويزداد الأمر غموضًا أمام الجانب الإستراتيجى للوحدة الأوروبية نتيجة لموقف الولايات المتحدة منها إذ تشعر واشنطن أن حاجة أوروبا لها تضاءلت بعد سقوط الاتحاد السوفيتى. فأوروبا كانت تحقق أمنها تحت المظلة النووية الأمريكية التى كانت تحول دون انتشار أقوى جيش برى فى العالم ـ وهو الجيش السوفيتى ـ نحو الغرب.

وفى الولايات المتحدة تصر على أن تحتفظ بوجودها قويًا فى أوروبا خاصة بعد توحيدها وما زالت تلعب بأصابعها لإثارة المشاكل أمام هذه الوحدة إلى حد إثارة التناقضات العلنية كما حدث فى مشكلة ـ البلقان ـ إذ وكما يبدو فإن السياسة الأمريكية تحاول بناء الجسور الراسخة مع كل من تركيا وألمانيا والأقليات المسلمة فى بلغاريا

واليونان ويوغسلافيا وتعترض على المشروع الذى اقترحه الوسيطان الدوليان ـ اللورد ديفيد أوين « عن الجماعة الأوروبية» وسايروس فانس عن « الأمم المتحدة» لأنه مشروع يكافئ المعتدى الصربى ولا ينصف الشعب المسلم فى البوسنة.

وتم إدخال التعديلات المناسبة عليه برغم أنه كان يمثل آراء الدول الأوروبية ومصالحها والتى لا تنسى أبدًا أن العثمانيين المسلمين هددوا أوروبا من الشرق. وأن المسلمين وضعوا أرجلهم فى الأندلس مهددين إياها من الغرب.

ونتمنى لو أنها أجهزت على كل بقعة مسلمة فى القارة حتى لا يكرر التاريخ نفسه. **والولايات المتحدة تتخذ هذا الموقف لأنه يحقق مصالحها** ولأن البوسنة وألبانيا بعيدتان عنها ولتكتشف الموقف الأوروبى المتقاعس عن الدفاع عن أبسط حقوق المسلمين. والمباركة الضمنية لما اقترفه الصربيون من فظائع. ثم يزداد الموقف الأمريكى وضوحا فى «كوسوفو» إذ أعلنت وبحزم أنها لن تسمح للصرب بتكرار جرائمهم وسياستهم فى البوسنة وأنها ستستخدم القوة إذا أقدم الصرب على استخدام القوة ضد الألبان فى «كوسوفو» ثم قامت الولايات المتحدة بعد ذلك ـ بطريقة منفردة ـ بإسقاط إمدادات الإغاثة فوق المناطق التى تحتاج إليها فى « البوسنة» مستخدمة أسطولاً صغيراً من طائرات « هرقل س ـ ١٣٠» ولم تشارك أوروبا بأى جهد فى هذه العملية سوى ما أعلنته قيادة ـ حلف الأطلنطى ـ من أن طائرات للمراقبة والإنذار من طراز « أواكس» تابعه للحلف ستدعم عملية إسقاط المساعدات الإنسانية فوق البوسنة.

فالأغراض السياسية اختلفت بين الحلفاء والأصدقاء والعدو الذى كان يجمعهم قد انقلب فجأة إلى صديق أو على أقل تقدير لم يعد يشكل تهديدًا لهم ولفترة طويلة قادمة الأمر الذى يصعب الأمور لوضع إستراتيجية واحدة لأن المفروض فى الإستراتيجية أن تحقق سياسة متفقًا عليها وهذا غير موجود أو تواجه عدوًا واحداً وهذا قد غاب واختفى.

هذا علاوة على اختلاف وجهات النظر بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة من جانب وبين الدول الأوروبية بعضها وبعض من جانب آخر على الأمور الاقتصادية مثل تطبيق اتفاقية « الجات» المعروفة باسم الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة والتى

تدعو إلى المزيد من إزالة الحواجز الجمركية بين دول العالم وإلغاء دعم الصادرات وسياسة الإغراق فى التجارة الدولية.

وبنود الاتفاقية لا تنفذ بطريقة ترضى جميع الأطراف مما يجعلها تهدد بالحواجز الجمركية وفرضها بين الدول المختلفة.

وآخر هذه التناقضات نشب حول الدعم الحكومى الأوروبى لشركة صناعة الطائرات الأوروبية « إيرباص» والتى تمولها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وأسبانيا والتى أدت منافستها لشركة صناعة الطائرات الأمريكية « ماكدونال وجلاس» إلى انخفاض المبيعات الأمريكية من ٢٥٪ من حجم السوق العالمية إلى ١٥٪ وعلاوة على ذلك فإن هناك خلافات حادة بين الدول الأوروبية على العملة الأوروبية أدت بكل من الدانمارك وبريطانيا إلى الانسحاب منها مما عرض وحدة العملة الأوروبية إلى هزات كبيرة. وربما يجعل مستقبلها غامضًا بالرغم من التصريحات المشجعة لكل من بون وباريس عن تمسكهما بالاتفاق.

والذى نريد أن نقوله حتى الآن دون الدخول فى تفصيلات أكثر هو أنه هناك صعوبات حقيقية أمام الإستراتيجية الجديدة لأوروبا الموحدة.

فمن العدو الذى تواجهه هذه الإستراتيجية؟

*** غموض مستقبل روسيا من ناحية استقرارها أولاً واتجاهها المرتقب ثانيا.**

*** الخلافات السياسية والاقتصادية بين أوروبا والولايات المتحدة من جانب وبين الدول الأوروبية بعضها ببعض من جانب آخر لأن اختفاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب أبرز حربًا باردة أخرى بين الغرب والغريب فى تنافسه على الجنوب.**

أوروبا والتصوير الإستراتيجى: هذا الغموض ينعكس بشقل كبير على التصور الإستراتيجى لأوروبا الموحدة لأنه كان يعنى طرد الولايات المتحدة من البيت فهو مبرر به حلاوة حينما يفهم على أنه يركز على استبعاد الخلافات التاريخية بين دول أوروبا وفى الوقت نفسه به خبث ومرارة لأنه يعنى شق الصف الغربى بإبعاد الولايات المتحدة وكأنه يريد أن تحقق روسيا عن طريق السلام ما فشل الاتحاد السوفيتى فى تحقيقه عن طريق السلاح.

ولكن هذا الأمر لن يقبل من دول أوروبا والولايات المتحدة فى الوقت نفسه. وهذا

يثير أزمة حلف الأطلنطى بعد زوال العدو الذى أنشئ الحلف لمواجهته وبعد حل حلف « وارسو» الذى أنشئ « الناتو» للتصدى له.

ومن المعروف أن التحالفات تبنى ليس على أساس العاطفة والحب ولكن على أساس الشعور المشترك بالخوف من تهديد معين متفق عليه. وكما ظهر من حديثنا السابق فإن مصدر التهديد اختفى أو على أقل تقدير تغير نوعه. وترتيبًا على ذلك فإن حلف الأطلنطى لابد أن يعاد النظر فى مهامه ونظم علاقاته الجانبية. بل يذهب البعض إلى ضرورة حله فقد زالت دواعى إنشائه فهو فى حقيقته حاليًا منبر سياسى أكثر منه حلفًا دفاعيًا والأحلاق لا تعيش إلى الأبد بل تفتقد ضرورة وجودها إذا فقدت واجبها الدفاعى الجماعى الذى أنشئت لتحقيقه.

ولا نظن أن هذا التصور يمكن أن ينفذ فى المدى القريب لأن السياسية العالمية هى سياسة قوة وممارسة الدبلوماسية بدون قوة تساندها مصيرها إلى الفشل.

إذن فوجود القوة ممثلة فى حلف الأطلنطى أو أى حلف بتسمية أخرى وشكل آخر أمر ضرورى **ولكن هناك تصوران بهذا الخصوص:**

التصور الأول: وهو التصور الأطلنطى وهو يتمسك بالارتباط الأمريكى حتى فى ظل الوحدة الأوروبية. وهذا يستدعى استمرار وجود قوة أمريكية كبيرة فى أوروبا حتى فى حالة الحد من هذا الحجم لدواع اقتصادية بما فى ذلك استمرار أن يكون للولايات المتحدة الكلمة الأولى فى قيادة الحلف كالوضع الحالى.

التصور الثانى: وهو التصور الأوروبى بأن يكون لأوروبا الموحدة قوتها الدفاعية القادرة مع وجود أمريكى بقوات محدودة وأن تتنازل أمريكا عن تميزها فى مجال القيادة.

هل تصبح أوروبا دولة موحدة؟ واختيار أحد التصورين يحتاج إلى قرار سياسى على مستوى القمة ويتوقف أولاً وأخيرًا على نوع الوحدة الأوروبية التى ستنتهى إليها الأمور. وهل ستصبح أوروبا دولة واحدة تشكل الإطار السياسى للشخصية الأوروبية.

الأمر الذى يحتم وجود إستراتيجية دفاعية مستقلة أوروبيةداخل هذا الإطار ولا مانع عندئذ من ارتباطها بشكل ما مع الإستراتيجية الأمريكية الأمر الذى يخالف الاتجاه الآخر وهو الاتجاه المحافظ والذى تزعمته« مارجريت تتشر» رئيسة وزراء بريطانيا السابقة

إذ أبرز للوجود دولة أوروبية عظمى سوف يكون لها أهدافها وأغراضها التى سوف تتعارض بالضرورة مع أهداف وأغراض الولايات المتحدة.

وهنا سوف نتحرك من نظام عالمى مستقر برئاسة الولايات المتحدة إلى نظام عالمى له طابع التنافس بين كتله المختلفة. ولذلك فالأفضل أن تبقى أوروبا كدول لها شخصيتها المستقلة مفتوحة لباقى الدول الأوروبية خارج المجموعة الأوروبية وعلى الأخص دول أوروبا الشرقية.

ولكن إلى أى مدى تتجه نظرة أوروبا الموحدة شرقًا وهى تنظر إلى الأمن الأوروبى؟ يقول خبراء السياسة: من المجازفة أن نقيم حقيقة ما يحدث فى ظل هذا النظام العالمى المراوغ فما زال الوقت مبكراً لذلك.

ولكن سؤال هام: هل ستكون أوروبا على أساس الوطنية الكبرى أو فوق الوطنية بطريقة أكثر عمقاً أو أكثر اتساعًا؟ وبمعنى آخر: هل ستتعاون دولها على جبهة أوسع أكثر من تعاونها على جبهة أعمق؟

وهو يعنى ولا شك: هل ستبقى المجموعة الأوروبية فى حدود الدول الاثنتى عشرة التى تكونها حالياً وتعمق علاقاتها على هذا الأساس أم أنها ستسمح بالتعاون ليمتد إلى دول أوروبا الشرقية بما فيها روسيا. أى من الأطلنطى إلى الأورال إذا تهيأت الظروف لذلك؟

أسئلة تحتاج إلى إجابات متفق عليها قبل التعاون على إستراتيجية أوروبا الموحدة التى تعانى من مشاكل عميقة تحول دون السرعة فى إقامة البناء الموحد. فهناك فجوة حقيقية بين الاتفاقات التى يوقع عليها الفريقان وبين ما يحدث فى طبيعة العلاقات الفعلية.



الحصار المر لانتفاضة الأقصى

لا أظن أن إسرائيل قد غـاب عنها أن ما تنفذه فى مجـال الهدم بالدبابات وتشريد الشعب الفلسطينى والقـتل العشوائى للأبرياء العزل هو خطر يهدف بعـملية السلام وهو بمثابة البنزين على الكبريت ومن شأنه أن يأكل الأخضـر واليابس ويخلق مشاكل جديدة بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى.

إن عملية القـتل التى تستهدف بها إسرائيل الشـعب الفلسطينى الأعزل يتناقض مع عملية السـلام وبواسطته تعود إسرائيل أدراجـها إلى معادلة العـقائدية والهيمنة واغـتيال الحقائق والقفز فوق القانون فى تعاملاتها مع دول العالم العربى.

وعلى الرغم من الجهود المضنيـة التى يبذلها الرئيس مبارك تجاه عـمليه السلام فإن إسرائيل اليوم هى التـى تصعد الأحداث وتتراجع فى اتفـاقها حول السلام ولهـذا تشهد المفاوضات مع السلطة الفلسطينية الجمـود وإضاعة الوقت وتمييع المواقف فى محاولة من إسرائيل لتفويت الفرصة..

وكذا تظل إسرائيل غير معنية بالـسلام والأمن والاستقرار فى المنطقة . لقد داست إسرائيل عن عـمد على معادلة السلام مـقابل الأرض رغم أنها المصل الشـافى لعلاقات صحية أبدية بينها وبين الفلسطينيين .

لقد افـتضحت الحكومة الصـهيونية أمـام العالم أجمع والإنسانيـة بكل أشكالها ..
هاهى الخسة والخـيانة والغدر يدهمهـا الاحتلال والاغتـصاب والقوة الغاشـمة. وتواجه أصحاب الحق العزل وتحاصرهم وتبيدهم دون أن تدرك العصابات الصهيونية التى تشكل دولة غاصبة أن هذه الممارسات هىّ المدد والرواء لهذه الانتفاضة المباركة.

وعلى الجـانب الآخر تمر القضـية الفلسطينية بمنعـطف خطير فى هذه الآونة وذلك بعد تعنت الحكومـة الإسرائيلية فى التـعامل مع عملية السـلام وهدمه لها. فالصـهاينة أغلقـوا كل الطرق لإقامـة مفـاوضات وأخـذ يصبـوا جام غـضبهـم على الفلسطينيين بالصواريخ والطائرات والمدرعات فهدموا المنازل وشردوا الشعب الفلسطينى.

وهذا كله يؤكد أن التعامل مع مثل هؤلاء لا يكون إلا بالمثل وأن الانتفاضة والجهاد هما الحل لردع هؤلاء السـفاحين وعلى الرغم أن الجيش الإسرائيلى يسـتخدم كل أنواع

الأسلحة مثل صواريخ أرض أرض والدبابات والعربات المدرعة والطائرات والهليكوبتر.

وتم تدمير كل البيوت والمزارع فى كافة الطرق فى الضفة وغزة وإلى جانب أن الجيش الإسرائيلى يتعرض لسيارات الإسعاف وقاموا بتخريب وتدمير سيارات الإسعاف فى وقت وجيز.

والأغرب من ذلك أن الجيش الإسرائيلى يقوم بالتعرض لمشيعى جنازة الشهداء فى قطاع غزة ويطلقون عليهم الرصاص فى سابقة غير إنسانية تعد الأولى من نوعها فى تاريخ البشرية جمعاء.

ومع خسائر الأرواح فقد بلغت الخسائر المباشرة أكثر من أربعة مليارات دولاراً بالإضافة إلى تدمير مئات البيوت.

وعلى الرغم من ذلك فإن سلطة عرفات تحاول استئناف المفاوضات.. إلا أن الصهاينة يرفضون الجلوس معهم قبل وقف الانتفاضة.. **فماذا يريد هؤلاء اللصوص؟ هل يريدون أن يسحقوا الفلسطينين ويصفقون لهم؟**

وعلى الرغم من أن الرئيس مبارك أوضح للعالم جميعًا أن القضية الفلسطينية ليست قضية أمنية وإنما هى قضية شعب له حقوق وطنية تستند إلى الشرعية الدولية فى إقامة دولته المستقلة فى أرضه المحتلة محبطاً بذلك محاولات الحكومة الصهيونية الذين جعلوا القضية الفلسطينية قضية أمنية وليست قضية سياسية.

وأكد الرئيس مبارك أنه لا سبيل لحل القضية القلسطينية إلا بالمفاوضات بين الطرفين المتنازعين من النقطة التى توقفت عندها مؤكدًا أن طريق التوصل إلى هذا الهدف الحيوى هو رفع الحصار الإسرائيلى عن الشعب الفلسطيني رفعًا كاملاً وفتح المعابر والمنافذ ومطار غزة وفك الحصار البحرى وعدم التصرف فى فتح وغلق هذه المنافذ على حسب هوى إسرائيل مع سحب القوات الإسرائيلية إلى الوضع الذى كانت عليه قبل اشتعال الانتفاضة الفلسيطينية فى الثامن والعشرين من سبتمبر وعدم وضع قيود على تنقل البضائع والأغذية والأدوية الواردة إلى الفلسطينيين لدى سلطات الاحتلال الفلسطينية.

فإذا كانت هذه طبيعة اليهود .. فمن إذن هؤلاء المرتزقة الذين يعيشون في فلسطين الآن .. وما طبيعتهم.

أكثر المؤرخين يرجعون بأبى الأنبياء إلى أصل آدامى والآداميون ينتسبون إلى أصول عربيـة هاجرت من الجنـوب فى أزمنة سابقـة وظلت اللغة الآدامـية تحمل فـى جذورها السمات العربية.

والتقى إبراهيم عليه السلام بديانات مختلفة تسللت إلى ديانته وإلى ديانة أبنائه من بعده عن طريق الأخبـار المتناقلة فى تلك الجماعات الكبيرة المتـحركة مع تطور الروايات المنقولة فنسب إلى إبراهيم وإلى الأنبياء من بعده حـتى جاء عصر التوراة المدونة ـ أعداد من الآلهة لا شك فى براءتهم منها.

وما لبث إبـراهيم أن رزق بإسماعـيل من جاريتـه «هاجر» التى ارتحلت بابـنها إلى الجنوب إلى واد غير ذى ذرع عند بيت الله المحرم لتفسح الطريق إلى «سارة» التى أنجبت إسحـاق الذى أنجب يعقـوب. وخلف يعقوب اثنى عـشر ولدًا وهم الأسـباط: دأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشاكر وذبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وجاد وأشير.

وقد هيـأ لهم «يوسف»عليه السلام فى مـصر. وارتحل يعقـوب وأولاده بدعوة من يوسف وكان عددهم سبعين فردًا [(١)] وظلوا فى مصر خمسمائة عـام تقريبًا تكاثروا فيها غاية التكاثر حتى صاروا سبعمائة ألف تقريبًا ـ كما تدعى التوراة (عدد ـ ١) عندما بدأوا رحلة الخروج هربًا من فرعون سنة ١٢١٣ ق. م.

وإن كـان المؤرخـون يرون أنهم لم يتـجـاوزوا عشـرة آلاف لأن ـ مـا بين مـوسى وإسرائيل ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون. ويبعد أن يتشعب النسل فى أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد ـ كـما يقول ابن خلدون [(٢)]. ثم إنهم عبـروا البحر بمواشيهم «الـعظيمة العدد» فى ليلة واحدة مؤتمرين بأمر موسى المباشر بعد أن قتل «فرعون» منهم كثيرين[(٣)].

وخلال وجودهـم فى مصر ربطوا مصـالحهم بوجود حكام مصـر من «الهكسوس» المستعـمرين (٢٠٩٨ ـ ١٥٨٧) ق. م ـ وأنشبوا مـخالبهم فى الاقتـصاد المصرى واتسع

---

(١) هناك من يقول إن هذا تم فى القرن السابع عشر قبل الميلاد زمن العمارنة.

(٢) فى تاريخه

(٣)يذكر رحمة الله الهندى أن مـدة بقائهم فى مصر كانت مائتين وخـمس وعشر عامًا. وبهذا أقر مفسروهم ومؤرخوهـم وهذا الزمن قد يضاعف السبـعين إلى أقل من ألفين إذا وضح فى الحسبـان تضاعف السكان اليوم مع العناية الصحية وقلة عدد الوفيات. إظهار الحق ـ ص ١٣٥.

نفوذهم فى مجالات مختلفة.

فلما انتصر المصريون على الهكسوس نقم الحكم الوطنى عليهم لأنهم أثروا على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم وتآمروا مع المستعمر ضد أصحاب الأرض ولم يشاركوا فيما يباشر المصريون من أعمال البناء وفلاحة الأرض وحينما كانت الشدائد تنزل بالبلاد استغلوها لإضعاف معنويات الشعب وضيقوا عليه وسائل العيش.

ومن ثم أحس اليهود فى ظل الحكم الوطنى بأن دولتهم إلى زوال فأخذوا يجمعون أموالهم ويستعدون للإفلات بمكاسبهم . لكنهم تجاوزوا وطمعوا فيما يملك المصريون من الذهب. ونهبوا الخزائن الممتلئة بالقمح فى المنطقة التى تمركزوا فيها بإقليم الشرقية - منطقة الصالحية اليوم - إذ صدرت إليهم أوامر الرب : «إنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا وتضعونها على نبيكم وبناتكم فتلبسون المصريين) [(١)].

لكن مطاردة المصريين لهم وقسوة ما أصابهم من الهلع والرعب جعلهم يتيهون فى سيناء أربعين عامًا لا يدرون من أمرهم حتى كاد يفنى جيل - الخروج - وقدَّر - الرب - ما أصابهم . فقال: «لايرد الشعب إلى مصر. الرب قد قال لكم : لا تعود وترجعون فى هذه الطريق) - (تثنية- ١٧) ونسى (الرب) ميثاقه لإبراهيم.

أراد موسى أن يخفف من آلامهم وأن يبث فى قلوبهم الأمن والأمل فقال على لسان الرب فى جبل حورين: «إني قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين. وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جديدة واسعة إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً إلى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين» [(٢)].

وقد اختلف المؤرخون فى أصل موسى هل هو مصرى أو عبرانى؟

وحجة من يدعون أنه مصرى كون اسمه مصريًا. بمعنى الطفل أو الابن . وأنه كان ذا مكانة بين الحاكمين إذا كان ضابطاً فى جيش مصر ضد الأحباش كما يقول فرويد

---

(١) خروج - ٣.
(٢) خروج - ٣.

مستعينا بما قال «فيلو» الفيلسوف اليهودى اليهودى ويوسيفوس المؤرخ اليهودى.

وهذا زعم باطل لأن اسم المكانة يرجعان إلى تبنى امرأة فرعـون له كما تقول عبارة القرآن الكريم بعدما أمر فرعـون بذبح مواليد اليهود من الذكور: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٧-٩].

وبدون نظر إلى ما جاء فى القـرآن الكريم فليس مـا يمنع من التسـمى بالأسمـاء المصرية خلال خـمسمائة عام بحكم الوجود الاجـتماعى الذى يتبادل العادات والتـقاليد والثياب والأطعمة والأسماء والأهواء أو بحكم التقية.

والمعروف أن اليهـود يلبسون ثيابًا غـير يهودية ليصلوا إلى مـقاتل الأديان الأخرى. فكيف إذا أرادوا الوصول إلى المناصب اليهودية؟!

وماذا يحول دون أن يصبح موسى قائداً فى جيش مصر وقد ربط يوسف بين اليهود وأهم المناصب فى الدولة؟!

ثم إن اليهود كانوا فى خدمة - الهكسوس - المستعمرين مما يساعد على الوصول إلى المراكز الحساسة وتاريخ الشرق مع اليهـود - حتى عهد قريب - لم يكن يحرمهم من هذا المركز. فكان منهم أصحاب الكلمة النافذة فى المجـتمع الإسلامى وفى المجتمع الحديث حتى منتصف القرن العشرين وما بعده فى بعض البلاد الإسلامية.

ومن ثم يكون فرار موسـى إلى مدين بسبب «جريمته» فى الدرجـة الأولى. بل بسبب موقف «تحـتمس» من «حتسـبشوت» ومن هنا كـانت صعوبة مـواجهة الفرعـون الجديد بالدين الجديد. ونجح مـوسى فى تجميع الشـعب اليهودى من حوله وانضم إليـه عدد من المصريين الساخطين من الأسارى والعبيد.

لكن طبيعة الجحود فى نفـوس هؤلاء القوم تأبى إلا الكفر بالله وبنعمته. ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨

ـ ١٣٩].

وما لبث موسى أن ذهب للقاء ربه فإذا هم ينتهزون فرصة غيبته فيصنعون عجلاً من الذهب يعبدونه.

وتسجل التوراة أن هؤلاء القوم قد وقعوا فى أسر الآلهة الأسطورية فى المناطق التى نزلوا بها وبخاصة الإله «يهوه» إله البراكين الذى يظهر مغلفًا بالسحاب نهارًا وبالنار ليلاً ويتابعهم حيثما ارتحلوا[١].

وبعدما قويت شوكة اليهود بقيادة «يشوع» أطلق الرب يده فى أصحاب الأرض قتلاً ونهبًا وختلاً ورجمًا وحرقًا وصلبًا وتمثيلا: «حرقوا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما [٢].

وجاء الفلسطينيون من جزيرة كريت فرارًا من وجه الهجرات اليونانية التى زاحمهم فى مواطنهم ودخلوا أرض «كنعان» وسكنوا غزة وأشدود وعسقلان وأكرون وجاث وانتصر على سكان البلاد بفضل أسلحتهم المصنوعة من الحديد وبلغوا أوج قوتهم فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ق. م. مزودين شقافة متقدمة ـ كما يقول روبنسون ـ ومزودين بعربات حديدية كانوا يركبونها فى الحرب.

*****

(١) تثنية ـ ٢٣.
(٢) يشوع ـ ٦، ٨ ، ١٠.

النصر العظيم

خاضت الأمة الإسلامية منذ عهد رسول الله ﷺ معارك كثيرة وكتب الله للأمة الإسلامية النصر، ونذكر من بين هذه المعارك ثلاثًا وقعت فى شهر رمضان وحقق الله تعالى فيها النصر للمؤمنين .

أولها معركة بدر الكبرى: وهى معركة لم يتخذ المسلمون فيها أهبة للقتال وكان خروجهم للاستيلاء على عير قريش القادمة من الشام تحت قيادة أبى سفيان حتى يعوضوا بعض ما استولى عليه أهل مكة من أموال المهاجرين وعقاراتهم فقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله فإذا سنحت لهم الفرصة لاسترداد جزء من الأموال التى غصبت منهم فإن من العجز أن يضيعوها **ولذلك كان خروجهم من المدينة تحدوهم الرغبة فى الحصول على هذه العير بأحمالها وتجارتها.**

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد لهؤلاء المؤمنين أن يواجهوا معركة لم تدر بخلدهم ولم يستعدوا لها ونزلت آيات القرآن الكريم تصور حالهم الذى أرادوه وما قدر الله بإرادته الغالبة فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وكان ما أراده الله فأفلتت العير بعد أن غيرت طريقها ونجت تجارة قريش من الاستيلاء عليها **وليتحقق وعد الله بقطع دابر الكافرين** أخذت قريش العزة بالإثم وركب القوم رؤوسهم وأوعدوا وأبرقوا واستولى على نفوسهم الكبر والطغيان وقالوا:

كيف تجرؤ هذه الشرذمة على التعرض لتجارتنا ونحن سادة العرب وحماة البيت والشأن لتجارتنا وعيرنا أن تغدو وتروح آمنة لا يتعرض لها أحد كائنًا من كان والناس يتخطفون من حولنا. ولو أننا سكتنا على هذه المبادرة لضاعت هيبتنا واهتزت كرامتنا وتحفزوا للخروج سراعًا وعلموا أن العير قد نجت وأن لا داعى لخروجهم لقتال. ولكن أبا جهل قائد الجيش الذى قوامه ألف مقاتل قال فى كبرياء وتغطرس: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا فكان خروجهم كما وصفه

الله تعالى ﴿بطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وتطورت الأمور تطورًا مفاجئاً ورأى المسلمون أنفسهم فى مواجهة جيش كثير العدد قوى العدة وهم لا يبلغون ثلث هذ الجيش ولم يكونوا مستعدين للقتال. وقد تركوا فى المدينة إخوة لهم لو كانوا يعلمون قتالاً لخرجوا معهم ولعل رهبة الموقف داخلت بعض النفوس التى قال الله تعالى عن أصحابها: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[الأنفال ٥-٦].

ولكن قوة الإيمان وصدق العزيمة فى الله حسمت الموقف وتحدث القادة من الجيش الإسلامى من المهاجرين والأنصار يعلنون الطاعة لله ورسوله والحرص على الإستشهاد فى سبيل الله. وكان مما قاله سعد بن معاذ قائد الأنصار وحامل لوائهم قال مخاطبًا رسول الله ﷺ : **لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لما أردت. فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا. إنا لنصبر فى الحرب. صدق فى اللقاء. ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله.**

لقد كانت هذه الكلمات الصادقة معبرة عن الإيمان القوى الذى يتمتع به أصحاب رسول الله ﷺوالثقة الكاملة فى أن الله لا يخذل عباده المؤمنين ذلك وعد الله الذى لا يتخلف ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

لقد كانت معركة بدر فى ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. ونصر الله الإيمان على الكفر فى هذه المعركة التى فرضت على المسلمين بغير استعداد لها وظهرت عناية الله بعباده وتأييده لهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا﴾.

وهزم المشركون وقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون وصدق الله وعده مع المؤمنين الذين استنصروا بالله واستغاثوا به وأخلصوا لله وتضرعوا له وأنجز لرسوله ما وعده به من النصر والتأييد.

وكانت أول معركة خاضها المسلمون ضد الذين تجبروا وتكبروا عليهم وأذاقوهم ألواناً من العذاب فما وهنوا فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وكان النصر فى هذه المعركة أول مظاهر قيام دولة الإسلام على يد الرسول العظيم ﷺ وأصحابه الأكرمين.

ثانيها: غزوة فتح مكة: وإن كانت معركة بدر قد جاءت فى تطور مفاجئ على غير استعداد من المسلمين للقتال غير أن فتح مكة كان قد استعد له الرسول ﷺ وعزم عليه لما نقض كفار مكة معاهدة الحديبية واعتدوا على قبيلة خزاعة التى دخلت فى حلف وحماية رسول الله ﷺ. وجاء عمرو بن سالم الخزاعى يستنصر رسول الله ﷺوأنشد أبياتًا منها

يا رب إنى ناشد محمدًا حلفنا وحلف أبيه الأتلدا

إلى قوله.

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلوا ركعًا وسجدًا

فقال رسول الله ﷺ : «نصرت يا عمرو بن سالم» .

وتجهز رسول الله ﷺ وأمر المسلمين بالجهاز وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال: **«اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها» . ولم تكن قريش فى حاجة إلى أن يعلمها رسول الله ﷺ بأن العهد الذى بينهم وبينه قد انتقض فهم الذين نقضوه وحاولوا إحياءه وأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة لذلك فلم يجبه أحد إلى ما طلب.**

ولعشر خلون من شهر رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة غادر رسول الله ﷺ المدينة متجهًا إلى مكة فى عشرة آلاف من الصحابة - رضى الله عنهم - وواصل رسول الله ﷺ سيره وهو صائم والناس صيام حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - فأفطروا وأفطر الناس معه ثم واصل سيره حتى نزل بمر الظهران - وادى فاطمة - وفى صباح يوم الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ٨ من الهجرة غادر رسول الله ﷺ مر الظهران إلى مكة ودخلها الجيش من جوانبها.

ولم يلق رسول الله ﷺ مقاومة تذكر ودخل رسول الله ﷺ البيت الحرام وطهره من الأصنام وكسرها وهو يقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع بهم؟

ووقف عند باب الكعبة يخطب وكان مما قاله: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

ومنحهم الرسول ﷺ العفورحمة منه وسماحة وحسن صنيع وخلق وما كانوا لذلك أهلاً.

ثالثاً: معركة العبور في العاشر من رمضان هجرية ١٩٧٣ ميلادية: وكانت لتحرير الأرض التي احتلها العدو الإسرائيلي ست سنين أحس فيها المسلمون بمرارة الهزيمة التي حاقت بهم في عام ١٩٦٧م وكان لابد من معركة ينفر فيها كل قادر على القتال فإنه إذا احتل العدو أرض المسلمين صار القتال فرض عين على كل مسلم فتخرج المرأة بغير إذن زوجها للمعاونة.

ويخرج العبد بغير إذن سيده ويخرج الولد بغير إذن والديه حتى يجلو العدو عن الأرض التي احتلها من ديار المسلمين وهذه حالة النفير العام. وكان من تباشير النصر في هذه المعركة أن وقتها في شهر رمضان المبارك وكان شعارها «الله أكبر» هتف بها الجنود بغير ترتيب سابق ولا إعداد حتى أذاعت إذاعات العالم أن صوت التكبير يهز ميدان القتال ويعلو على صوت القذائف.

وقد نظر الله إلى هذا الجند الهاتف باسمه فكتب لهم النصر على عدوهم الذى صنع من الحصون والسدود ما كان يظنه أنها مانعة إياه من الهزيمة.

وسوف تعود القدس مرة أخرى كما عادت من قبل حينما احتلها الصليبيون وعادت إلى أيدي المسلمين. وكما فتحها المسلمون سنة ١٧هـ ٦٣٨ م في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. وعودة القدس إلى المسلمين أكيد وانتصار المسلمين على اليهود أمر لا شك فيه فسوف يتقاتل اليهود والمسلمون وينطق الحجر والشجر: تنطق وكل الأشجار تنطق إلا شجر الغرقد فإنها من أشجار اليهود: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

فوق جسر المتاعب

وإذا تحدثنا عن رؤية سياسية عربية تتجاوز الحدود الضيقة القطرية فإن الساحة العربية ـ كلها ـ كانت موصومة ومدانة ومجروحة وبسبب تعدد الآراء والمواقف وتدخل الأهواء وتعارض المصالح ومن المفارقات المؤسفة ـ تطبيقا لما تقدم جميعه ـ أن الرؤية العربية للعلاقات الدولية كانت تستمد المرجع الذى تستند إليه من مهمة فكر سياسى «خارجى» لذلك اختلطت الأمور وتداخلت الانقسامات العربية مع تعقيدات صراعات مذهبية وفكرية وأصبحت التفسيرات المتعددة تتأرجح بين الظن واليقين وهى فى مجمل الأحوال إما مواقف «تابعة» أو مواقف لا تقوم على أساس الفهم لما يحدث وإنما فرض عليها أن تكون بين فكى أطراف وصراعات انقادت إليها انقيادًا لا إراديًا . . وكلا الموقفين ضاع منهما موضوعية النظر ودقته وشموله.

وهل يمكن أن نحدد إطار الصورة بتعبير «الغفلة» أو النظرة الواحدية الضبابية؟ قد يكون ممكنًا ولكن لا يهمنا الآن الوصف بقدر ما نحتاج إلى عرض (بعض) النقاط التى تسلط الضوء على «بعض» جوانب من الصورة منها:

شغلت مشكلة أفغانستان منذ التدخل السوفيتى عام ١٩٧٩ حيزًا مهما من الاهتمامات العربية وارتفعت صيحات الحماس للدفاع عن المجاهدين الأفغان ـ بعض الأقطار العربية وبموجب اتجاه موقفها كانت تطلق عليهم المعارضة الأفغانية ـ وتم تجنيد مساحة عريضة من الإعلام العربى لتوجيه الدعوات للتبرعات المادية والانخراط فى صفوف المقاتلين للجهاد والتطوع بالقتال.

وحازت قضية أفغانستان على قدر هائل من حركة الفعل العربى وانزوت بجانبها القضية العربية الفلسطينية والمقدسات الإسلامية المحتلة . والواضح أن الانحياز وتبنى المشكلة الأفغانية كان بدافع التجاوب مع الموقف الأمريكى فلم يكن الصراع حول «كابول» سوى مواجهة عقائدية بين الوجود الشيوعى والرفض الأمريكى لتوسيع السوفيت لنفوذهم داخل مواقع جديدة .

فمنذ انقلاب الدولة الذى قاده الجنرال ـ محمد داود ابن عم الملك محمد ظاهر شاه ـ بمساعدة الشيوعيين ثم تثبيت نفوذهم مع بداية حكم ـ الرئيس كارمال ـ وتولى حزب

الشعب للحكومة الأفغانية ودعم الولايات الأمريكية للمعارضة الأفغانية ـ الإسلامية ـ والقضية تندرج تحت أسس صراع الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن ومواجهة كل منهم لتمدد نفوذ الآخرين. وفي هذا السياق يمكن مثلاً ـ قراءة مبررات الموقف الباكستاني سواء بحكم الجوار مع أفغانستان أو بفروض العلاقات مع أمريكا ـ وإن كانت قد احتضنت ائتلاف المجاهدين السنة ـ وكذلك الموقف الإيراني بحكم التزامات الجمهورية الإيرانية الإسلامية تجاه المجاهدين الأفغان ـ وإن كانت أيضًا قد احتضنت ائتلاف المجاهدين الشيعة.

أما الموقف العربي فكان خاضعاً لتفسيرات الموقفين السابقين .. موقف التابع.: أو موقف الانقياد اللاإرادي .. والغريب حقاً أن حركة ذلك الموقف كانت واضحة ومتسارعة وكريمة العطاء رغم أن نفس الحركة فوق جسر المتاعب العربية وفي مختلف قضايا ومشاكلنا وهمومنا ـ كانت حركة «عرجاء» تتقدم خطوة بطيئة لتنتقل إلى الخلف خطوات متعثرة. . وكانت الفتوى السياسية العربية قائمة على أساس أن الرؤية واضحة تمامًا لما يحدث في أفغانستان وهناك فرض الدفاع عن حرمة المسلمين (!!).أما الرؤية المشتتة لواقعنا فلم تستوجب تعليقًا ربما لتعدد الفتاوى بشأنها.

ثم انكشفت عورات المواقف العربية بعد أن تولى «جوربا تشوف» سلطة الاتحاد السوفيتيي في عام ١٩٨٥ وبداية «الغزل الهادئ» بين موسكو وواشنطن والاتفاق بينهما على أن يسحب السوفيت قواتهم من أفغانستان مقابل أن تتكفل واشنطن بالحيلولة دون وصول حكومة أصولية «إسلامية» إلى مقعد السلطة في «كابول».

ومن ثم فماذا حدث بعد؟

لقد كانت نيران المدافع ولهيب الصواريخ المدمرة والرصاصات الطائشة والقتل العشوائي ينصب على الشعب الأفغاني المحاصر بين سلاح الطرفين . . ولكن القصد من تسلسل السطور هو إبراز التساؤل حول تسلسل اهتمامات الأمة العربية وكأن رؤيتها قد أصيبت بمرض «طول النظر»تعي وتتفاعل وتشارك في قضايا خارج الحدود وباهتمام بالغ وحين ترجع البصر إلى موقع أقدامها تصاب عقولها بالدوار.

وحينما واجهت أفغانستان نيران جهنم من صواريخ وقنابل القاذفات الأمريكية

ولهيب القصف اليومى يدمر ويشرد بحثاً عن عناصر «القاعدة» وطالبان المحاصرة باتهامات الإرهاب وتنفيذ دراما الثلاثاء الدرامى فى نيويورك وواشنطن.. وانقسمت الرؤية والموقف بين الشعوب الإسلامية وقياداتها وأنظمتها الحاكمة . . ثم وجد تحالف المعارضة الشمالية الأفغانية فرصة بمساندة أمريكية لتصفية الحسابات والعودة إلى الحكم فى «كابول» وأصبح الخطاب الرسمى ـ العربى والإسلامى ـ غالبًا يردد «القصف الأمريكى ضد بؤر الإرهاب فى أفغانستان ـ والصورة فى الأغلب والأعم تحكمها الرؤية والأهداف والمصالح الأمريكية!!

وجسر المتاعب العربية والحركة البطيئة المتثاقلة من فوره لم يمتد فوق الجسد العربى أو باتجاه العالم الإسلامى ولكنه كان متصلاً حتى العمق الأفريقى حيث شهد التعاون العربى الأفريقى فتورًا مقطوع الصلة بأية تنظيمات تعمل على استمرارية التنسيق وتدفعه حركة التعاون إلى مجالات أوثق خصوصًا فى ظل الظروف التى خلقتها تلك السنوات من تاريخ الأمة العربية.

ومن المؤكد أنه كان لخروج مصر ـ أو تجميد دورها كما تردد من تعبيرات وقتئذ ـ من دائرة العمل داخل جامعة الدول العربية تأثير كبير على تراجع الحماس الذى رافق عقد القمة العربية الأفريقية الأولى والوحيدة فى القاهرة فى شهر مارس / آزار ١٩٧٧.

ومن بين هذه القرارات التى تضمنتها هذه القمة إقامةعدة أجهزة تعقد اجتماعات دورية منتظمة وهو مؤتمر القمة كل ثلاث سنوات . والمؤتمر الوزارى الأفريقى العربى كل ثمانية عشر شهرًا. واللجنة الدائمة تنعقد مرة كل ستة شهور بالإضافة إلى لجنة التنسيق المكونة من رئيس المجموعتين ومن الأمينين العامين ومجموعات العمل المتخصصة ولجنة الوساطة والتحكيم.

وكانت هناك مجموعة اعتبارات انعكست سلبياً على مسيرة التنسيق **والتعاون العربى ـ الأفريقى منها على سبيل المثال فقط:**

أولا: من التطور الأفريقى . . أن بعض الدول العربية قد حرصت على تطوير علاقاتها الثنائية بالدول الأفريقية وذلك من أجل استغلال إعاناتها المالية لتوفير نفوذ سياسى يمكنها من فرض بعض شروطها . وهذه النقطة بالذات كانت تمثل دائمًا نقطة الضعف فى العلاقات العربية ـ الإفريقية نظرًا لأن بعض الدول الأفريقية قد فشلت فى

تفسير فلسفتها من التعاون الاقتصادى وما يتبعها من تعامل سياسى.

ثانيا: اعتبارات الأمن .. وتتعلق بالمجال العسكرى والأمنى وبعد أن حرصت «إسرائيل» دائمًا على التسلسل إلى أفريقيا من خلال توفير الحماية الشخصية للعديد من الرؤساء الأفارقة وتقديم معاونات عسكرية بشروط ميسرة جدًا ووجود حضور متواصل داخل هذه الدول.

ثالثا: الدول الأفريقية لم تغفر للدول العربية امتناعها عن معاملتها معاملة أفضلية خلال الأزمنة البترولية مما جعلها تعانى أزمات حادة.

رابعاً: لجأت بعض الدول من الجانبين إلى التعامل الثنائى وإبرام الاتفاقيات المحددة عوضًا عن العمل المتعدد وغياب الاستراتيجية الشاملة على المستوى العربى ـ الأفريقى.

وكل ما سبق ليس تحديدًا ـ شاملا ومتكاملا ـ للمتاعب العربية ومشاكلها وقضاياها ولا ندعى القدرة على رسم الصورة واضحة المعالم والقسمات فليس الهدف من وراء ذلك إعادة سور من ذاكرة الأجندة العربية وإنما القصد من وراء المحاولة المتواضعة كان بهدف البحث عن مسببات تلك الحركة البطيئة العاجزة عن العمل والمتابعة وتصحيح المسار.

وقد تكون الصورة «متموجة» الخطوط أو تكون المحاولة ـ جهد فاشل ـ فى تتبع الأحداث فوق جسر المتاعب .. **ولكنها أولا وأخيرًا محاولة للبحث عن هوية الشخصية العربية مثل تلك المحاولة التى ـ فعلها ـ «جرهام سوترلاند» حين رسم لوحة لتشرشل بالقلم الرصاص ومغطاة بطبقة رقيقة من الطلاء الأبيض فلم يتعجب الكثيرون.**

وعندما أرسل «سوتولاند» صورة فوتوغرافية من اللوحة إلى «تشرشل» رد عليه برسالة قال فيها: «إنها قد تكوت جيدة كدراسة للشخصية فقط» أى أن الملامح غير مطابقة وأن ريشة الفنان قد جانبها التوفيق.

*****

الأمريكان صانعوا ابن لادن

فانقلب السحر على الساحر أصبح الصديق عدوًا فصار أعلم بالمضرة هذا إذا سلمنا بأن ابن لادن هو الذى دمر مركز التجارة العالمى ووزارة الدفاع البنتاجون وهدد البيت الأبيض بالدمار ١١ سبتمبر من العام الجارى.

الخبراء يشككون : كل الخبراء المحايدين أجمعوا على أنَّ ابن لادن لا يملك إمكانيات القيام بمثل هذا العمل الكبير بدون دعم دولة أو دول لها مصلحة فى ضرب هذه المنشآت الأمريكية وقتل الآلاف ومرمغة كرامة أمريكا فى الطين والوحل والهباب والقطران وكل ما خطر على بالك من تسميات العار.

مليارات تنفق على المباحث الفيدرالية والمخابرات المركزية والعدو يضرب البيت الأبيض دولة تضع تظلمًا اسمه حرب الكواكب وكرامتها تضرب «بالشباشب» على رأى عم بصير . نعم لابد من وجود دولة أو دول لإنجاز مثل هذا العمل بهذه الدقة بعضهم قال: الموساد **ودللوا على ذلك باعتذار شارون عن عدم زيارة أمريكا فى اليوم الموعود وعدم ذهاب الموظفين اليهود إلى مركز التجارة العالمى صبيحة هذا اليوم المشئوم والأمريكان لا يصدقون مثل هذا الكلام طبعًا فالموساد بالنسبة لبوش أكثر أدبًا من أن تفعل أو تقول ما يسىء إلى أمريكا!!**

والبعض قال: إنها دولة جزر القمر بإمكانياتها الهائلة البشرية والتكنولوجية والآخر قال: إنها دولة فيجى لأنها أكثر تقدمًا من جزر القمر وأكثرهم جرأة قال: إنها دولة «نيبال» لأنها المملكة الأكثر عظمة من أمريكا وقدرها على الناس.

ولو اتهم الأمريكان الدول الثلاثة إضافة إلى هندوراس لصدقها العقل عن اتهام «ابن لادن» ولكن الذى يتهم صهيونى والذى يكتب ممن ينتقم الأمريكان صهيون ويا عطارين دلونى العقل فين أراضيه .. أصبح الأمريكان نعاجًا يقودهم اللوبى الصهيونى إلى ضرب من تريد إسرائيل ضربه ..؟؟

لا حول ولا قوة إلا بالله ويا ليتهم يسمعون مثلاً يقول لهم الناس أن ضرب أفغانستان سيؤدى إلى كارثة غير محسوبة بالنسبة للأمريكان. ومع ذلك يدادون فى

تجهيز وتجييش الجيش وضربوا أفغانستان فى المرحلة الأولى. المهم فعلوها واشتعلت الدنيا ولم يدر أحد من يطفئها حتى أن الأمريكان يعرفون أن الحل هو فى إنهاء الحصار المفروض على العراق وحل مشكلة فلسطين وشطب ديون الدول الفقيرة التى تئن تحت وطأة «الدين» الحل هو أن تقوم أمريكا بدلاً من تزويد إسرائيل «بطائرات الفانتوم» بتزويد الشعب الفلسطينى بالمدد والعون والضغط على إسرائيل لا قرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

ورفع سوريا وإيران من قائمة الممنوعين بحجة أنها دول تدعم الإرهاب. الأمريكان حتى الآن يواجهون الإرهاب بإرهاب السيطرة على كل مؤسسات الأمم المتحدة والتحكم فى الاقتصاد العالمى والقرارات السياسية حيث تستخدم الفيتو لمساعدة العدوان الإسرائيلى المستمر على الشعب الفلسطينى.

ما الفرق بين الأمريكى والفلسطينى؟هل يقول لنا الرئيس بوش ما الفرق بين الطفل الأمريكى الذى فقد أبويه فى مركز التجارة العالمى والطفل الفلسطينى الذى فقد أبويه فى الانتفاضة إذا عرفت أمريكا الفرق فإنها ستتحدث عن ثمن غال للأمريكى مع أن الاثنين من بنى البشر. وإذا أقرت أنه لا فرق بين الاثنين وهذا هو الدافع ـ فلماذا تدعم إسرائيل لتقتل الأطفال والنساء والشيوخ فى فلسطين وتهدم البيوت وتعتدى على المقدسات.

إذا اعتبرت أمريكا أن مركز التجارة العالمى جزء من التاريخ والتراث الأمريكى ـ فماذا تسمى الاعتداءات على المقدسات الإسلامية والمسيحية فى فلسطين؟

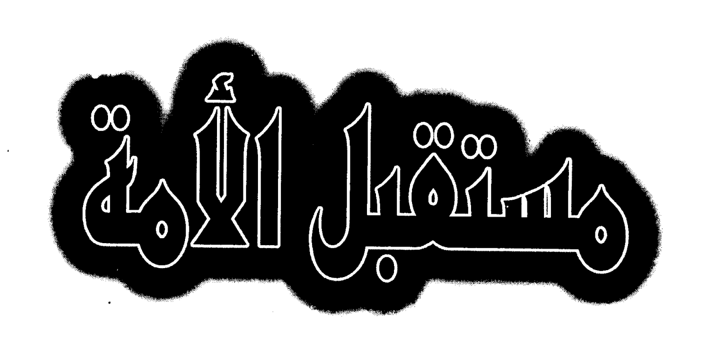
نحن لا نقر الإرهاب ولا قتل المدنيين ـ ولكن لماذا يساعدون على قتلنا؟

أمريكا وتعديل المسار لقد آن الأوان لتعديل المسار .. آن الأوان لأن يفهم الأمريكان أن البشر كلهم سواء وأن موت طفل عراقى أو فلسطينى أو لبنانى أو صومالى من الجوع جريمة تعادل قتل طفل أو رجل أمريكى فى مركز التجارة العالمية.. إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.. وهذا ما حدث بالضبط .. مجرد تذكير بأن هناك قوة فوق أمريكا وفوق أمريكا وفوق كل البشر قوة الله عز وجل.

استراحة على الورق

آخر نكتة عما حدث في واشنطن تقول : بأن الرئيس بوش طلب إلى كل معاونيه رسم صورة لمركز التجارة العالمي من الذاكرة . فرسموا غير أن صورة واحدة هي التي خرجت عن كل المألوف حيث رسم أحدهم على ورقة بيضاء علم يحترق وكتب تحته : هذا العلم كان علمًا لبلد ذات كرامة.

تم بحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على
محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،
المؤلف ـ كامل عويضه ،



بقلم

نبيل خالد

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع
أسسها حسن البدوي - نبيل خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البروج ١٢ - ٢٢].

الإهداء

إلى أنظمة الحكم التى تتفانى فى إرضاء الإدارة الأمريكية الإسرائيلية طمعاً فى الحصول على رضاها ضمانا لتثبيت سلطانها.!

اعلموا....

أنهم سيهيئون المناخ لاستبدالكم بأنظمة حكم مناهضة لهم لإعطائهم المبرر لمهاجمة دولكم لتحقيق أهدافهم.

وأنصحكم....

ألا تتعبوا أنفسكم وتخسروا

دينكم ودنياكم

ولا حول ولا حول إلا بالله

نبيل خالد

جرس الإنذار لنفكر جميعاً

هذا الكتاب يحذر ويقترح

* حرب المخابرات لإثارة الفتن وحرب الجيوش لتغيير الأنظمة الحاكمة والاحتلال المباشر وتسرب أسرار إسرائيلية عبر مصلحة الأحوال إلى الدول التى ستحتل على أنها عربية مسلمة لتكرار النموذج التركى.

* تقسيم دول المنطقة وإثارة حروب إقليمية وانهيارات اقتصادية رهيبة وتمنى الأحياء الموت.

* تحريض مصر للدخول فى حروب إقليمية تستهدف جيرانها.

* ظهور القوة الشيعية فى العراق والخليج لتشكل خطرا على أمريكا وإسرائيل.

* عمليات إرهابية تستهدف سيناء و قناة السويس تمهيدا لاحتلال سيناء وفتن جنوب مصر والنوبة وتقسيم السودان.

* توطين الفلسطينين فى الصحراء الغربية.

* نسف المسجد الأقصى بعملية تخريبية والتلكؤ فى إعادة نبائه.

* ازدياد عدد المسلمين فى أوروبا وأمريكا وتعرضهم لاضطهاد يشبه اضطهاد الرومان للمسيحيين.

* صراع الحكم فى الجزيرة العربية ومحاولة تقسيمها.

* حصار الشام وكل مائة مقاتل يقتل تسعة تسعون وإسرائيل تفقد صوابها عند تدخل إيران النادى النووى وتقصفها بقنبلة نووية لمحاولة إزالتها من الوجود وتحرض الهند لإشعال حرب نووية بمساعدة أمريكا ضد باكستان.

* احتراق آبار النفط.

* حروب نووية بين الصين مع روسيا ضد أمريكا وبعض الدول الأوروبية وإزالة بعض الجبال من الوجود.

* مفأجاة النهاية التى قد لا نراها الآن..

* هل نظل نسن السكين لينحرنا به عدونا أم نجابه الخطط بالخطط ونعمل على تنفيذها. ماذا نفعل؟ هذا الكتاب يحذر ويقترح.

ولا حول ولا قوة إلا بالله فإليه الأمر من قبل ومن بعد

وصلى الله على محمد ﷺ.

نبيل خالد

....

فـــــائـــــدة

....

ننصح لاستكمال الفائدة قراءة الكتب التالية

• أبطال الموت •

من سلسلة بطولات مصرية حقيقية عن فن المقاومة الشعبية والقتال توزيع الأهرام.

• بروتوكولات حكماء صهيون •

من سلسلة كتاب الجيب السياسى توزيع الأهرام.

• الدعاء المبارك للنصر على الأعداء •

من سلسة فى ظلال الشعراوى الإسلامية توزيع الأهرام.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

الماضى وآفاق المستقبل

هذا الكتاب يستكشف آفاق المستقبل من خلال نبوءات الرسول ﷺ وأحداث الماضى وما يحدث الآن فى الحاضر من تحليل واستنتاج نتمنى أن نكون قد وفقنا بإذن الله تعالى وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى ولصالح البشرية. فهذا ليس كتاباً يختص بدين معين ولا يقصد أصحاب دين أو عقيدة معينة فإذا تحدثنا عن الصهيونية وفئة باغية من بنى إسرائيل فنحن لا نعمم ذلك على كل اليهود ولكن نقصد هذه الفئة المنحلة من العهد القديم والعصر الحديث. وإذا كان الكتاب يتعرض إلى اليمين الأمريكى المتطرف من المسيحية الصهيونية فإنهم بالتأكيد لا ينتمون إلى تعاليم السيد المسيح السمحاء وعلى النقيض من ذلك فإن الأغلبية من المسيحيين الشرفاء يهاجمونهم معنا. وإذا كنا نتعرض لفئة منحرفة من المسلمين صارت تعمل لصالح الفكر الصهيونى فإن جموع المسلمين الشرفاء بريئة منهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. وهذا جهد لا يذكر وإنما الجهد الأكبر على القارئ والقارئة فالأمور القادمة جسام والفتنة عظيمة لن يفلت منها الذين يظنون أنهم يجلسون فى مقاعد المتفرجين سيربحون. وهذا وقت التفكر والعمل على النهوض بالأمة ومجابهة الخطر القادم بالتغلب على الفتن بالوحدة والفهم الواعى والتفكير العلمى ولن يتم هذا إلا بالتوكل على الله تعالى. ولا حول ولا قوة إلا بالله. وأختتم بالصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

معد الكتاب

نبيل خالد

مستقبل الأمة

(البداية والنهاية)

﴿ولا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

خالق العلم هو الله ويعطى من علمه من يشاء فى الوقت الذى يشاء فمثلا مخترع الهاتف والتلفاز وغيرها من وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية استفاد من تحرك موجات الصوت والصورة فاخترع وسيلة تجميعها ولو لم تكن موجات الصوت والصورة تتحرك لما استطاع أن يفعل شيئاً وهذا الفرق بين علم الله وعلم البشر وكذلك فالله يعلم تاريخ الإنسان كله قبل أن يتكوّن فى الأرحام إلى أن يموت وما توسوس به نفسه ويعطى البشر معرفة نوعه فقط بعد أن يتكون فى الأرحام فهل علم الله كعلم البشر؟

ويعرف الله تاريخ البشرية كله من خلق آدم ليوم البعث وأعطى الأنبياء لمحات عن مستقبل البشرية وأعطى بعض البشر القدرة على تحليل إشارات الكتب المقدسة وأقوال الأنبياء وتوقع ما سيحدث من أحداث جسام وهذا لمنفعة للناس يراها رب العالمين.

وهل يجوز أن نعتمد أهل الكتاب مصدراً من مصادر التفسير (١) ؟

(١) إن أهل الكتاب يطلقون على اليهود والنصارى وإن كان إطلاقهم على اليهود أكثر لأنهم الذين كانوا يسكنون بالمدينة وما جاورها ولأن أكثر ما نقل من المرويات عن أهل الكتاب فى التفسير كان عن طريقهم ولقد ذكرهم الله جل وعلا فى القرآن الكريم باسم اليهود فى غير ما آية وإن كان قد أكثر الله سبحانه وتعالى من خطابهم فى القرآن الكريم ببنى إسرائيل.

ويذكر سفر التكوين الإصحاح الثانى عن سبب التسمية هذه ما نصه: « وسارعه - يقصد يعقوب عليه السلام - إنسان حتى طلع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه وقال: أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركنى فقال له: ما اسمك؟ فقال يعقوب: فقال: لا يدعو اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

ويقول الدكتور جورج بُست فى قاموس الكتاب المقدس: إسرائيل لقب يعقوب وهى تفيد معنى الأمير المجاهد مع الله ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال العشرة أسباط عن بيت داود. المجلد الأول تحت كلمة «إسرائيل». وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من «إسرا» بمعنى عبد أو صفوة ومن «ئيل» وهو الله. فيكون معنى الكلمة عبد الله وصفوته من خلقه. (دائرة معارف القرن العشرين: ١/ ٢٨٠).

وأما سبب تسميتهم باليهود: فقد قيل: أنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] - أى تبنا ورجعنا - قال صاحب لسان العرب: « الهود التوبة هاد يهود هوداً وتهود تاب ورجع إلى الحق فهو هائد. وفى التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أى تبنا إليك. وقيل: نسبة إلى قبيلة يهوذا وعرب بقلب الذال دالاً وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]

- **إن للقرآن الكريم** موقفاً موجهًا من الكتب السماوية في حالة عدم تحريفها. وموقفًا منها في حالة تبديلها وتحريفها من قبل أهلها. لا يخالج أى عاقل منصف يعمل فى رحاب البحث العلمى أدنى شك فى ضرورة الالتزام بالوقوف أمام موقف القرآن الكريم ليكون على بينة جلية من أمره.

ذلك لأن القرآن الكريم العارض للأميين لما كان قبله من الكتب ومن أرسلت إليهم وبيان موقفهم منها. وقد خص بذلك لأن الله جلت قدرته جعله شاهدًا ومهيمنًا ورقيبًا على ما سبقه من الكتب وأمته شاهدة على جميع من سبقها، ودليل ذلك المواقف التى نسوقها:

الأول: إن كتاب الله سبحانه وتعالى عمل من أول وهلة على تأكيد أن كل رسول أرسل وكل كتاب أنزل من قبل الله جل وعلا جاء مصدقًا لما قبله. يقول الله تعالى: **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة: ٤٦].

وقوله عز وجل: **﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** [الأنعام: ٩٢].

وقوله عز وجل: **﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** [فاطر: ٣١].

وقوله عز وجل: **﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا**

= ومعناه: دخل اليهود قاله سيبويه.

وفى الحديث: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

صحيح. أورده السيوطى فى «الجامع الصغير» وزيادته فى «الفتح الكبير» (٢/ ١٠٠٧) ومعناه: أنهما يعلمانه اليهودية والنصرانية ويدخلانه فيه اهـ. (لسان العرب: ٤/ ٤٥٠). وانظر: (فتح البارى: ٨/ ٢٩٥).

وقد سموا بالعبرانيين نسبة لإبراهيم الذى ذكر فى سفر التكوين باسم إبراهيم العبرانى لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى.

والإسرائيليات: اصطلاح أطلقة المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التى تسربت إلى المجتمع الإسلامى بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه انظر: «الألوسى» مفسرًا للدكتور محسن عبد الحميد (ص/ ٣١٩). وانظر: «الإسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير» للدكتور رمزى نعناعة (٧٢/ ٧٣) والإسرائيليات والموضوعات للدكتور العالم «أبو شهبة» (ص/ ٢٠).

بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ [البقرة: ٩٧].

فنجد أن هذه الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى أن الشرائع السماوية التى لم يدخلها تحريف لبنات متراكبة.

وتفضل الله جلا وعلا على أمة الإسلام بأن جعل مهمتها هى اللبنة الأخيرة التى أكمل الله جلا وعلا بها البنيان فهى بذلك الفضل حجر الزاوية الذى يمسك أركان البناء. وقد جاء ما بيّن ذلك أجلى بيان عن الصادق المصدوق ﷺ إذ يقول: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. فقال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» (١).

الثانى: يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. أى شاهدًا عليه كما قال ابن عباس.

وقال ابن جريح: القرآن أمين على ما قبله من الكتب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان فى القرآن فصدقوه وإلا فكذبوه. ويقول العلامة البغوى: إن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى وما لا فلا.

ويقول العلامة الزجاج فى قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢).

* ومع ذلك نرى كثيراً من الناس يتنكبون طريق الحق، ويذهبون إلى الغرب تارة وإلى الشرق تارة أخرى، ليلتمسوا النور والهداية من وسط الظلمات وركام الضلالات، وأمامهم وبين أيديهم نور الله عز وجل المبثوث بين ثنايا كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

ومن ثم فإن للقرآن الكريم مهمة الشهادة والرقابة وهو المؤتمن على ما سبقه. وقد

---

(١) صحيح. رواه البخارى فى (بدء الخلق، باب خاتم النبيين) وخرج صاحب صحيح «الجامع الصغير» (٢/ ١٠١٩): «مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأجملها وأكملها وترك منها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة».

(٢) وقال بعضهم: معناه وشاهدًا عليه.
وقال بعضهم: رقيبًا عليه.
وقال بعضهم: «المهيمن» اسم من أسماء الله فى الكتب القديمة.
وقال بعضهم: «مهيمنا» فى معنى مؤتمن إلا أن الهاء بدل من الهمزة. والأصل مؤتمنًا عليه.

أعلن شهادته المراقبة لهم عن كثب بأمانة فى عرضه الأمين لما أحدثوه من تحريف وكتمان لما أنزل الله جل وعلا مما يجعلنا نفقد الثقة التامة فيما عندهم يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١). [آل عمران: ٩٣].

يقول العلامة الشيخ رشيد رضا: ولقد أورد الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه «إظهار الحق» المشهور منه شاهدًا من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على التحريف اللفظى والمعنوى فيها... ثم يقول: لسنا فى حاجة إلى تفصيل القول فى ضياع حظ عظيم من كتب اليهود ومن وقوع التحريف اللفظى والمعنوى فيما عندهم فيها.

وفى إيراد الشواهد من هذه الكتب ومن التاريخ الدينى عند أهل الكتاب على ذلك. لأنه ليس بيننا وبين اليهود مناظرات دينية تقتضى ذلك. ولولا أن النصارى أقاموا بناء دينهم وكتبهم التى يسمونها «العهد الجديد» على أساس كتب اليهود التى يسمونها «العهد العتيق» لما زدنا فى الكلام عن كتب اليهود على ما نثبت به وما وصفها به القرآن العزيز بالإجمال. وإنما الحاجة تدفعنا إلى بعض التفصيل فى إثبات نسيان النصارى وإضاعتهم حظاً عظيماً مما جاء به المسيح عليه السلام وتحريف الكتب التى فى أيديهم لأنهم أسرفوا فى التعدى على الإسلام والطعن فيه فكان مثلهم كمثل من بنى بيتاً من الزجاج على شفا جرف من الرمل وحاول أن ينصب فيه المدافع ليهدم حصناً حصيناً مبنياً على جبل راسخ.

---

(١) روى الإمام البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أن اليهود جاءوا إلى النبى ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا وقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنا فيكم؟» قالوا: نحممهما ونضربهما.
فقال: «ألا تجدون فى التوارة الرجم؟» فقالوا: لا نجد فيها شيئاً فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مدارسها الذى يدرسها فيهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم. فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك فقالوا: آية الرجم. فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد. قال: فرأيت صاحبها يجفأ عليها يقيها الحجارة». (فتح البارى: ٨/ ٢٢٤).

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ماذا سيحدث لنا؟

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ:

يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

قيل:

- يا رسول الله (ﷺ) فمن قلة بنا يومئذ.

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

« لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن - الضعف - فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت» (أخرجه [1] أبو داود والإمام أحمد عن ثوبان).

وفى هذا الحديث النبوى إشارة لأعظم نظرية إستراتيجية فى الحروب إلا وهى وسائل شل العدو بدلا من قتله رجل معناه نقصان جندى واحد فقط من العدو بينما إفقاد رجل لأعصابه يعنى نشر عدوى الخوف بدرجة كبيرة قد تتحول إلى وباء من الذعر وفى أعلى مستوى للحرب فإن التأثير الذى يتسلط على عقلية القائد الخصم قد يشل مقدرة قواته كلها تبعا لذلك وعندما يقذف الله الرعب فى قلوب العدو ويغرس الطمأنينة فى قلوبنا يكون النصر **وإذا كان الرسول ﷺ لم ينه حديثه الشريف بما سيحدث بعد ذلك.. هل سننتصر؟ كيف والذى سيحدث أن الله سبحانه وتعالى سيجعل الضعف فى** قلوبنا وينزع الرعب من قلوب عدونا. **والنتيجة هل انزعجت؟ أتمنى ذلك. هل تتمنى أن تعرف ماذا سيحدث لنا عليك أن تستمر فى القراءة لتعرف ماذا سيحدث لنا؟** وماذا كان يريد أن يقول الحبيب ﷺ لنا؟ ولكن بعد أن نتعرف على أحوالنا الآن وأصول المشكلة وكيف واجهناها وكيف سنواجهها؟

---

(١) صحيح. رواه أبو داود فى (الملاحم، ح/ ٤٢٩٧) وأحمد فى (المسند، ٥/ ٢٧٨) والمشكاة (ح/ ٥٣٦٩) وصححه الشيخ الألبانى. انظر: الصحيحة (ح/ ٩٥٨).

ماذا نفعل الآن؟

ما نفعله الآن شيء عجيب.. نرى كل يوم الفلسطينيين يذبحون ورأينا فقراء أفغانستان يقتلون ونتابع حشود لا حصر لها تتجمع لسحق العراق وخططا لاستعمار جديد لأمتنا. نمتلأ غيظا وعلينا أن ننفث هذا الغضب.. ولكن كيف؟

*** هل نخرج فى مظاهرات حاشدة نهتف لجيش محمد ﷺ الذى سيعود وإما أن تنتهى المظاهرات بأن ننهك أجسادنا وتستمر محنتنا فلا جيش محمد ﷺ عاد ولا ذرة رعب عرفت طريق قلوب عدونا بل على العكس فقد يزداد إمعانا فى إذلالنا بالمزيد من القتل.**

والأخطر أن تتحول هذه المظاهرات إلى فوضى وهذا ما يريده عدونا فتنتشر الفتن وتنهار الأنظمة ويستغل عدونا الفرصة دون أن يدفع دولارا واحدا ويحتل المزيد من الأراضى ويهزمنا بلا سلاح ونعرف الندم فى وقت لا ينفع فيه الندم.

والحل الثانى:

أن نزعق مع الزاعقين فى الفضائيات وننقد ونهاجم الحكام والمحكومين والعرب والعجم وأمامنا أطباق من التسالى والمشهيات ونخسر أصواتنا ورشاقتنا وتستمر نشرات الأخبار فى عرض صور القتل والدمار والحشود وبجاحة العدو فى وضع الخطط لسحقنا.

والحل الثالث:

أن نغمض أعيننا ونحلم بجيش من السوبرمان يأتى ليهزم عدونا ويحرر أرضنا وكأننا نشاهد فلما نتمنى أن تكون نهايته سعيدة. ونستيقظ على أحداث أسود الليالى الحالكة.

والحل الرابع:

أن نطالب حكامنا أن تخرج جيوشنا الجرارة للقتال والنزال وننسى أن هذا ما يريده عدونا لأن دخول معركة دون أن تستعد لها يعنى أن تنتحر برغبتك.

وإذا كانت هذه هى الحلول المتيسرة أمامنا الآن فماذا نفعل وماذا سيحدث لنا؟ لا

تغضب ولا تظن أننى أبث اليأس فى نفسك بل العكس هو الصحيح فالبشرى قادمة.

ومع كل ما يحدث اليوم من تقدم للغرب وانحدار وانحصار للشرق فى كافة الميادين السياسية والعسكرية والإعلامية والاقتصادية والثقافية، فنجد الأمر خلاف ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم فقد توحدت كلمتهم وهانت عليهم الدنيا بما فيها من متاع وإغراء، فنشروا الإسلام نشرًا سريعاً دهش لها المؤرخون كما دهشوا للسرعة التى انهارت بها أمامهم الإمبراطوريتان العظيمتان فى ذلك الوقت، ولم يدرك الكثير منهم سر عظمة هذه الأمة الناشئة، الذى يمكن فى المدد الربانى لهؤلاء المجاهدين. **ليس فقط بالإمداد بالملائكة تثبت الذين آمنوا لكن أيضًا بإمداد الله إياهم بمفاهيم وقيم ومقومات أهلتهم لقيادة البشرية وانتزاع عجلة القيادة من قيم هابطة ومفاهيم مختلفة وعقائد فاسدة فقد كانت المواجهة صراعًا بين حضارتين مختلفتين كل الاختلاف فى القيم والمفاهيم والمنطلقات.** وكان الطبيعى أن تسرى سنة الله فى خلقه ويمضى قانونه المحكم: أن البقاء للأصلح فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

والآن أطلب منك أن تنتظر قليلاً لنعرض أصول المشكلة [1] ؟؟.

---

(١) قلت: إن أهل التاريخ قد يختلفون فيما بينهم فى وقت هجرة اليهود والنصارى إلى جزيرة العرب ولكنهم قد اتفقوا أنهم حين هاجروا كانوا يسكنون بعض ضواحى المدينة كبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر وتيماء وفدك ووادى القرى ونجران.

ومن المعلوم أنهم حين استوطنوا هذه المناطق بعد هجرتهم إليها حملوا معهم تراث أسلافهم دينًا وعادات وأخلاقاً. وقد أنشأوا مواضع يقيمون فيها عباداتهم وشعائرهم الدينية ويتدارسون فيها أحكام شريعتهم.

وقد أطلق على هذه المواضع اسم «المدارس» و «بيت المدارس» وقد كانت هذه المدارس نقطة تجمع لتبادل المشورة فى سائر أحوالهم الدينية والدينوية كما كان يقصدها كل من أراد استفسارًا عن شىء يريد الوقوف عليه.

روى الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينا نحن فى المسجد خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « انطلقوا إلى يهود» فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدارس فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: « يا معشر يهود أسلموا تسلموا».

فقالوا: بلغت يا أبا القاسم.

قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: « ذلك أريد أسلموا تسلموا».

فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: « ذلك أريد». ثم قالها الثالثة. فقال: « أعلموا أنَّما الأرض لله ولرسوله. وانى أريد أن أجليكم من هذه الأرض. فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه. وإلا فاعلموا أنَّما الأرض لله ورسوله». (فتح البارى، كتاب الاعتصام: ٢٨/ ٨٣).

جذور المشكلة

فى الوقت الذى استثمر الصهاينة الحرب العالمية الأولى وحصلوا على وعد بلفور فقد استغلوا الحرب العالمية الثانية لإنشاء وطنهم القومى وتكونت منظمات إرهابية مثل (الهاجاناه) أرجون زفاى ليومى وغيرها وقامت بعمليات إرهابية أهمها قبل اغتيال الوزير البريطانى المفوض فى القاهرة (لورد موين) ومحاولة قتل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين ونسف فندق الملك داود وربط الجنود الإنجليز فى الأشجار وتعذيبهم والإغارات على المتكررة على معسكراتهم ووضع القنابل فى السفن التجارية والحربية وكانت عقيدتهم الغاية تبرر الوسيلة (**راجع كتاب أبطال الموت من سلسلة بطولات مصرية حقيقية)** إلى أن كانت كارثة حرب سنة ١٩٤٨ .

والتعصب للجنس وتقديس الأمة من أعظم الآفات التى تبتلى بها أمة من الأمم أن تسرى فيها روح العصبية القومية البغيضة والعنصرية العمياء حينئذ تسيطر على الأمة عقيدة الكراهية والبغضاء لجميع الأمم وكافة الشعوب وتجعل غايتها الأولى وهدفها الأعظم هو السيطرة الكاملة على جميع أنحاء الكرة الأرضية.

والفئة البابعية من اليهود: عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة هم أصحاب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فى هذا المضمار فقد جعلوا أنفسهم شعب الله المختار الذى يجب أن تدين له جميع الشعوب بالخضوع والذلة. . وقد أدخلوا فى توراتهم المحرفة نصوصًا تؤكد هذا الاصطفاء . . . فمثلا فى سفر التثنية ـ يحكى الكاتب أن إله اليهود «يهوده» قال لموسى: « . . . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك» إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر». وفى الأسفار الأخرى من هذا الكثير والكثير بالإضافة كذلك إلى ما جاء فى التلمود فى هذا الشأن مما يعف القلم عن كتابته.

وفى العصر الحديث قامت الحركة النازية على أساس عنصرى ممقوت حيث

اعتبرت الشعب الجرمانى شعبا ذا مواصفات خاصة يتفوق بها عن سائر الشعوب. وأيضاً... فى الولايات المتحدة الأمريكية يكثر الحديث عن خصوصية الأمة الأمريكية وعن الرسالة التى اختصت بها العناية الإلهية هذه الأمة لتحقيقها فى عالم الواقع.

هل هذه العصبيات أورثت العالم شقاء وتعاسة من خلال تلك الحروب الطاحنة الناشئة بسببها...

وهل ينسى أحد ما فعله اليهود بغيرهم من أجناس البشر - مما سجلته توراتهم المحرفة - من قتل وذبح وتنكيل وتشريد؟! وهل ينسى أحد ما صنع بالمسلمين فى فلسطين والبوسنة وليبيريا ... وغيرهم؟! وهل ينسى أحد ما فعلته ألمانيا النازية بأوروبا والعالم؟! وهل ينسى أحد ما يفعله ولاة الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة العصبية الممقوتة والعنصرية البغيضة؟!

لهذا كله حارب الإسلام العصبية إذا كانت لغير دين الله - من وطن أو قبيلة أو أمة أو شعب أو عشيرة - لأن المبدأ الإسلامى - أن أصل الخلقة الإنسانية واحد وأن الناس جميعاً سواسية وميزان التفاضل بينهم ليس بلون البشرة أو الموقع الجغرافى أو الثروة الطائلة إنما هو الميزان الإلهى كما فى قوله تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** [الحجرات: ١٣]. وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية فى كل صورها وأشكالها ليقيم نظامه الإنسانى العالمى فى ظل راية واحدة: راية الله... لا راية الوطنية ولا راية القومية ولا راية البيت ولا راية الجنس فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية» (١).

ويقول أيضاً: « **كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان»** (٢). وعندما سمع النبى ﷺ فى غزوة بنى المصطلق بما حدث من دعاوى العصبية **قال ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»** (٣). كما أنه ﷺ

---

(١) صحيح. رواه مسلم فى (الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ٣/ ١٤٧٦).

(٢) رواه أبو داود فى (الأدب، باب فى التفاخر بالأحساب ٤/ ٣٣٣، ح/ ٥١١٦) والترمذى فى المناقب، ٥/ ٦٩٠، ح/ ٣٩٥٥) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) صحيح. متفق عليه رواه البخارى فى (التفسير، ٨/ ٥١٦، ح/٤٩٠٥) ومسلم فى (البر، ٤/ ١٩٩٨).

موقفاً حازماً حينما نجحت خدعة اليهودى شاس بن قيس فى إيقاد نيران العصبية الجاهلية بين الأوس والخزرج لما ساءه ما وجدهم فيهم من انسجام وصفاء ومحبة بعد طول الخصام والقتال الذى كان بينهم فى الجاهلية . . فأهاج فى نفوسهم ذكريات قديمة فتخاصموا وحملوا السلاح وتواعدوا على اللقاء والنزال فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أسرع إليهم وهو يقول: « **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم** »[(1)].

فعاد القوم إلى رشدهم وفيها نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠١]. ويلاحظ فى الآية الكريمة أنها جعلت الاندفاع وراء العصبية ومشايعة أهل الكتاب فى هذا المجال بمثابة الارتداد إلى الكفر بعد الإيمان.

نعم لم يفق العرب إلا بعد أن استكمل الصهاينة خططهم دون أى خطط عربية مضاءة فنجح الصهاينة فى إنشاء وطن قومى لهم على حساب الفلسطينيين .

وبعد أن صارت إسرائيل دولة قائمة لم يعمل العرب على مجابهة خطط المتطرفين بل اكتفينا بالأناشيد الحماسية حتى كانت كارثة حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ .

وتوحد العرب لإزالة آثار العدوان حتى كان انتصار أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبعدها هبطت ثروات هائلة على دول عربية وكوى الفقر دولا أخرى وانفض توحيد العرب.

فبدلا من استغلال جزء من المال فى تنمية الاقتصاد العربى واختيار نوابغ الأمة لإنشاء قاعدة صناعية عظيمة سواء كانت مدنية وعسكرية قامت الدول الغنية بشراء وسائل الرفاهية من الدول الراقية.

* **وذلك عن طريق استيراد المواد الخام من الدول النامية بأقل الأسعار** وتصدير السلع الصناعية بأعلى الأسعار وتصدير رءوس الأموال إلى الدول النامية التى تربطها بالغرب والتى تحصر الاستفادة بالتكنولوجيا الغربية فى الدائرة التى تريدها والتنمية المحدودة، ثم فرض نظم تجارية واقتصادية ومالية تمنع أى دول أن تكون حرة فى اتخاذ الإجراءات التى تمكنها من زيادة نموها وصادراتها والحصول على حصتها العادلة من

(١) رواه ابن جرير فى (جامع البيان، ٤/ ١٧) وأورده السيوطى فى (الدر المنثور، ٢/ ٢٧٨ - ٢٧٩).

التجارة الدولية. أى أن تجعل الدول النامية تابعة لها وتسمح لها بالنمو المحدود الذى يحافظ على مستوى معيشة متدن مع تمكينها من الاستدانة منها لكى تظل تحت رحمة الشركات العملاقة عابرة القارات الصناعية والتجارية والبنوك وغيرها وإجبار دول العالم النامى على فتح أبوابها لهذه الشركات والأفراد وذلك كله فى حدود مصلحة الغرب ولفرض سيطرته وتنظيم القنوات الاقتصادية فى الدول النامية لصالحه. وكذلك اتفاقية الجات الجديدة، وما ترتب عليها من تحرير للتجارة الدولية، وهو أمر تستفيد منه الدول المتقدمة على حساب الدول النامية وكذلك انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة على العالم وفرضها النموذج الرأسمالى على جميع الدول، **وقد ساعدها على ذلك انهيار الاتحاد السوفيتى وتفككه وسيطرتها على المثلث الذى يحكم العالم اقتصاديا (صندوق النقد الدولى - البنك الدولى - المنظمة العالمية للتجارة) واستخدامها سلاح المنح وسلاح العقوبات الاقتصادية.**

وهذا ولا يغيب عن بالنا أن الشركات عابرة القارات تسعى لفرض وإعادة صياغة الظروف الاقتصادية والسياسية لنشاطها فالشركات عابرة القارات باعتبارها التجسيد التنظيمى لأكثر القطاعات الرأسمالية الحديثة ديناميكية - لم تنشأ لمجرد رد فعل لظروف سياسية واقتصادية معطاة وقائمة بل هى أيضاً - وربما من حيث الأساس - تجسيد لوعى الرأسمالية الحديث للأنماط الاقتصادية والسياسية المناسبة لنشاطها على صعيد عالمى وسعيها الحثيث من أجل فرض هذه الأنماط. بالإضافة إلى ذلك فإن هناك آثاراً غير مباشرة لانتشار عمليات الشركات عابرة القومية فى البلاد النامية على الميزان التجارى وهى فى مجملها آثار سلبية.

وأمام هذا الموقف لم يجد الرئيس الراحل السادات وسيلة لاسترداد أرضه المحتلة إلا عبر معاهدة سلام لم يستجب لها العرب وشكلوا جبهة للصمود والتصدى انتهت باحتلال صدام حسين لدولة الكويت وانتهزت أمريكا والغرب الفرصة فجاءت الجيوش الأجنبية وحاربت بأموالنا واستقرت ولم تخرج وبعد أحداث ١١ سبتمبر تحولت جبهة الصمود والتصدى إلى جبهة التوسل لتقبل إسرائيل السلام معنا وهى تتجاهل توسلنا لأن العالم لا يعترف إلا بالأقوياء.

وأكرر بأن هذه ليست دعوة لليأس بل دعوة لإيجاد الحل وعموماً البشرى قادمة

فانتظروها مفكرون وصائحون.

لم يتوقف الصراع العربى الإسرائيلى منذ نكبة سنة ١٩٤٨ سواء على الصعيد المحلى أو الصعيد العالمى فالمفكرون الصهاينة يخططون وينفذون والمفكرون العرب يخططون ويصرخون وحتى لا نكون صائحين فسنورد أدلتنا بالتحديد وليس بالتعميم فعلى الصعيد المحلى استطاعت الصهيونية رغم إنها حركة سياسية علمانية مؤسسوها ليست لهم أية مرجعية دينية: إلا أنهم عرفوا أنهم لكى ينفذوا مخططاتهم الشريرة عليهم أن يستندوا لمرجعية دينية واستغلوا الديانة اليهودية لتحقيق أهدافهم بالعودة إلى الوطن الموعود من الشتات فقلبوا الحقائق فصاروا هم مضطهدون ومشردون يريدون العودة لوطنهم وصار الفلسطينيون محتلين مطلوب أن يرحلوا عن وطنهم. **أما تخطيطهم للعرب فقد تمكنوا من اختراق الأديان ففى تركيا بعد أن طرد البرتغال وأسبانيا اليهود اتجهوا إلى حيث لقوا كل ترحاب بشهادتهم وبعد القرن الخامس عشر أسلم عدد من اليهود سموا بـ (الدونمة) حتى بدأت الحرب العالمية الأولى فقاموا بنشاط كبير ساهم هذا النشاط من الجاحدين فى خلع السلطان عبد الحميد ثم أعقبة إلغاء الخلافة الإسلامية للوقيعة منهم بين المسلمين فأوقع بعضهم بعضا بعد الحرب والكيد لعلماء المسلمين انتهت بتركيا أن تخرج خارج ساحة الصراع تماماً كما نرى.**

وللعولمة تعريفات عديدة: فكلمة العولمة دخلت حديثاً فى لغتنا العربية من خلال مصطلح «العولمة» والعولمة تعنى الكوكبة أو الكونية. يقول الدكتور: مشرح على أحمد: فالعالم الإسلامى فى العصر الحاضر يتحرك ضمن سلسلة عربات مقطورة من ضمن مجموعة البلدان النامية. وليس كعربة «قاطرة» كما كان حاله قديمًا قبل عصر الثورة الصناعية. وبالتالى فإن علينا أن نعرف من موقعنا الخلفى ماذا يريد العالم الغربى المتقدم صاحب العربة القاطرة بالمصطلح الجديد الذى يعبر عن تغيير سرعة القاطرة أو تغيير اتجاهها أو الذى يعنى انفصال العربات المقطورة أو فصلها عن العربة القاطرة ما لم تستجب لهذه المتغيرات.

علينا من موقعنا إذًا أن نعرف ماذا يريدون وكيف يؤثر هذا فينا ثم بعد ذلك ماذا ينبغى علينا أن تفعل إذا أردنا الحفاظ على هويتنا الإسلامية ومصالحنا الاقتصادية من

منطلق وجهة نظرنا. ومصطلح العولمة كما هو معروف له أبعاد عديدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية. ولا أستطيع الادعاء أن البعد الاقتصادى هو أهمها كما تقرر الفلسفات المادية التى هيمنت على تيار الحضارة فى الغرب» (١).

موقف العلماء والمفكرين المسلمين من العولمة: يقول العلامة الشيخ الدكتور القرضاوى: للناس من العولمة مواقف ثلاثة: طرفان وواسطة شأن الناس فى معظم القضايا الكبيرة إما مُفْرِطون أو مُفَرِّطون أو متوسطون.

فأما الطرف الأول: فهو طرف المندفع إلى العولمة المتحمس لها السالك فى تيارها ممن يتعاملون معها بغير قيود ولا تحفظ كالذين ذكر عنهم الحديث النبوى أنهم يتبعون سنن غيرهم من الأمم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخل الآخرون حجر ضب لدخلوه. وهذا موقف الغلاة من دعاة (التغريب) ودعاة (التطبيع) فى عالمنا العربى والاسلامى.

وأما الطرف الآخر: فهو عكس هؤلاء يهربون من المواجهة وينكفئون على الذات فى عزلة وتقوقع وغيبة عما يدور به الفلك حولهم فى دنيا الفكر ودنيا الاقتصاد ودنيا السياسة وغيرها مؤمنين بسياسة إغلاق الأبواب التى تهب منها الريح خشية أن تحمل هذه الرياح بعض الأتربة أو الأهوية الضارة مع أن الحاجة إلى هذه الرياح مؤكدة.

---

(١) يعرف « ما لكوم واترزه» العولمة بأنها: هى كل المستجدات والتطورات التى تسعى بقصد أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم فى مجتمع عالمى واحد.

ويذهب «فرنسيس فوكامايا» فى كتابه «نهاية التاريخ والإنسان والخير إلى أن «العولمة هى وسيلة لهيمنة القيم الأمريكية».

أما الدكتور «محمد عابد الجابرى» فيقول: «إن العولمة عبارة عن تنازل الدولة الوطنية أو حملها على التنازل عن حقوق لها لفائدة العالم أعنى المتحكمين فيه.

ويقول: لقد ظهر هذا المصطلح أول ما ظهر فى مجال المال والتجارة والاقتصاد. غير أنه لم يعد مصطلحًا اقتصاديًا محضًا.. فالعولمة الآن يجرى الحديث عنها بوصفها نظامًا أو نسقًا ذا أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد.

ويقول الدكتور حسن عباس زكى الاقتصادى الإسلامى المعروف بأن العولمة: هى التحول الرأسمالى العميق للإنسانية فى ظل هيمنة الدول الغربية وبقيادتها وتحت سيطرتها فى ظل نظام عالمى غير متوازن يعمل على تحويل كل شىء إلى سلعة.

ويقول الدكتور محيى محمد مسعد: العولمة هى التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة دون حاجة إلى إجراءات حكومية.

وهذا هو موقف كثير من الخائفين من اللقاء مع الآخرين ومن المتمسكين بكل قديم والمتوجسين من كل جديد.

وأما الواسطة: فهو الموقف المقبول الذى يمثل المنهج الوسط للأمة الوسط **إنه موقف المؤمن** القوى البصير المنفتح المعتز بهويته الواعـى لرسالته المتمسك بأصالته **المؤمن** بعالميته المغالى بثقافته وحضارة أمته الذى لا يفر من المواجهة ولا يخاف من الحوار بل ينطلق من أفق واسع ويقف علـى أرض صلبـة يأخـذ ويعطى ويستـقـبل ويرسل ولا يفـرط فى خصائصه الذاتية ولا مقوماته الأساسية.

وهذا موقف تيار الوسطية والاعتدال من الإسلاميين والوطنيين الذين آمنوا بربهم وبأنفسهم وأمتهم وعلموا أنهم لا يمكن أن يعيشوا وحدهم.

والموقف اللائق بنا هو الموقف الوسط الذى يجتهـد أن يستفيـد من إيجابيات هذه العولمة وانفـتاحها ويأخـذ خير ما فيـها وأن يجتنب سلبـياتها المادية والمعنوية متـحصنين بإيماننا معـتزين بأنفسنا عـاملين بكل ما نستطيع لـتطوير قدراتنا وتحسين إمكانيـاتنا حتى يكون يومنا خير من أمسنا وغدنا خير من يومنا.

أما الدكتور حسين شـحاته أستاذ المحاسبة بجامعـة الأزهر الشريف فيرى أن النظام الاقتصادى العالمى - العولمة الاقتصادية - شر يجب مواجهته.

فالنظام العالمى الجديد بصـفة عامة والنظام الاقتصادى بصفـة خاصة نظم تقوم على رعاية الدول المتـقدمة لتزداد غنى وسـيطرة على حساب الدول النامـية أو الفقيـرة لتزداد فقرًا. فهى نظم الأغنياء فـيها منتديات اقتصادية للسـيطرة على الفقراء وإذلالاهم تحت وطأة الحاجات الأصلية ليعيش الإنسان.

ويقول: ليس هناك دليل قوى وصادق ومقنع بأن هناك جدوى معتبرة شرعًا لصالح الدول الفقـيرة من هذه النظم التى ظاهرها فـيه التعاون وباطنهـا الاستغـلال والاحتكار وأكل أموال الشعوب بالباطل.

ويختـلف الدكتور مـحمـد عبـد الحليم عمر مـدير مركـز صالح كـامل للاقتـصاد الإسلامى بجـامعـة الأزهر مع الدكتـور حسين شحـاته فى الموقف الذى يجب أن تتبناه

الدول الإسلامية مع ظاهرة العولمة ويقول: لا نستطيع أن نعيش بمعزل عن العالم فالعلاقات بين الدول النامية ومصالحها أصبحت متشابكة وخاصة ما يتعلق منها بالجانب الاقتصادى . . . فالعولمة لها إيجابياتها ولها سلبياتها وواجبنا أن نستفيد من الإيجابيات وأن نتفادى السلبيات بقدر الإمكان.

وهذا يفرض علينا الآتى:

أولاً: التعامل مع نظام العولمة على أنه تطوير للعلاقات بين الدول وهذه العلاقة ضرورية ومهمة ولا يمكن التنصل منها وبالتالى فإن المطلوب التعامل مع ظاهرة العولمة وليس مقاومتها لأن ذلك غير ممكن.

ثانياً: يجب العمل على امتلاك أدوات وآليات العولمة وحسن استعمالها.

ثالثاً: الإسراع باستكمال خطوات التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية وتفعيل دور المؤسسات الإسلامية القائمة مثل: منظمة المؤتمر الإسلامى والبنك الإسلامى للتنمية وغير ذلك من المؤسسات الاقتصادية. وقبل ذلك زيادة حركة التجارة البينية والاستثمارات المشتركة بين الدول الإسلامية.

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحمن المفكر الإسلامى المعروف: إن العولمة بمعنى وجود أرضية مشتركة بين شعوب الأرض تسمح بقيام علاقات بينها وتسمح بوجود قوانين كوكبية تنظمها لخير المجتمع.. تعتبر نظرية مقبولة من وجهة النظر الإسلامية.

أما العولمة التى تعنى فرض الفلسفة البراجماتية [1] النفعية المادية العلمانية وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ على سكان الكوكب الأرضى. . . فهى نظرية مرفوضة رفضًا باتًا فى ضوء الإسلام وهذا أمر بديهى إذ كيف يقبل الإسلام نظرية تزيد

(١) مؤسس هذه الفلسفة «تشارلز بيرس ١٨٣٩ - ١٩١٤م» وهو أمريكى. أما فضل نشرها فيعود لـ «وليم جيمس» ١٨٤٢ - ١٩١٠م. وهو أمريكى أيضًا. وخلاصة هذه الفلسفة أنها تخضع الفكر والنشاط العقلى لغايات مصلحية نفعية خاصة فضلاً عن أنها امتداد للفلسفة التجريبية التى تخضع كل شىء للتجربة حتى الدين. (انظر: تاريخ التربية: ص/ ٣٥٧، د/ محمود شفيق» دار القلم بالكويت.

نسخه وإقصاءه عن حياة أمته لكى تحل محله.

ويقول أيضاً: إن المشكلة التى تواجه الأمة الإسلامية ليست تلك النظرية بل أنصارها من أبناء المسلمين وخاصة أولئك الذين يحكمون المسلمين ويتحكمون فى التربية والتعليم والإعلام. ويسخرون كل القوى المؤثرة فى توجيه الشعوب لإقناعهم «بالعولمة» المرفوضة إسلاميًا. وفضلاً عن ذلك يكتمون الصوت الإسلامى الحر الذى يقاوم العولمة الأمريكية ويحرمونهم من استعمال الإذاعة والتلفاز وإصدار الصحف والمجلات وتكوين الأحزاب.. وفى هذا المناخ الاستبدادى تتقدم العولمة الأمريكية يومًا بعد يوم وتنحسر العقيدة الإسلامية عن المجتمع المسلم بالقدر نفسه.



الموقف على الساحة العربية

أما على الساحة العربية فقد تم زرع خلايا الأيدلوجية الشيوعية لتكوين أهدافها الوثوب على السلطة وضرب الأديان مبررين موقفهم عن توراة وضعوها من عند أنفسهم مستشهدين بين الحين والآخر بنصوص من تلك التوراة أو من نصوص التلمود الذى هو مصدر يفوق التوراة فى قدسيته عند اليهود، ومن عقيدة هؤلاء اليهود أن أرض فلسطين يعرفونها بأنها أرض الميعاد حيث يدعون بموجب عقيدتهم أن **أرض فلسطين هى** أرض خالصة لهم بموجب وعد من **«يهود» وأن شعب فلسطين ـ نسل كنعان ـ شعب ملعون ومسخر لخدمة «أبناء الله وأحبائه»** بموجب هذا الوعد أيضًا. وإننا حين نتحدث عن سلوكهم مع الله سبحانه وتعالى لا نتحدث عن سلوك المؤمنين من بنى إسرائيل بما جاء به موسى عليه السلام سواء فى عهد موسى أو من بعده فهؤلاء على دين موسى وما بعث به ورسالة السماء واحدة هى الإسلام الخالد والإيمان بالله الواحد الأحد ولكننا حين نتحدث عن السلوك فنحن نتحدث عن سلوك الغالبية منهم الذين أخذوا بعقيدة فكرة الإله ومراحل عبادته وصفاته وأوصافه عن العقائد الوثنية.. سلوك الغالبية التى

أخذت بفكرة البعث والحياة الآخر وبفكرة الهيكل وتابوت العهد من العقائد الوثنية. . سلوك الغالبية التى أخذت بفكرة التفكير عن الخطيئة وبفكرة المخلص «المنقذ» وبفكرة البنوة لله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً - عن العقائد الوثنية. إن سلوك تلك الفئات وهم غالبية اليهود هو المقصود فى حديثنا **هذا فهم الذين سيطروا على مجريات الأحداث وهيمنوا بعقائدهم فى عهد موسى وهارون عليهما السلام ومن بعدهما إلى يومنا هذا**. . فما هو سلوك تلك الغالبية من اليهود مع الله سبحانه وتعالى؟ لقد حكم سلوك غالبية اليهود فى عهد موسى عليه السلام وجموعهم من بعده عداء السماء ورسالة موسى عليه السلام بشكل قاطع ولله سبحانه وتعالى وللرسل الذين أرسلوا بها مما أوجد علاقة شك ومراء وجدال من قبل بنى إسرائيل فى عهد موسى ثم كفراً صريحاً وجنوحاً نحو الإفساد فيما تعاقب منهم من أجيال حتى يومنا هذا. **ألم يقولوا لموسى عليه السلام: أرنا الله جهرة؟ ألم يقولوا: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة؟ ألم يقولوا: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ننتظر النتيجة؟ ألم يقولوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا؟ ألم يعبدوا العجل وهارون نبى عليه السلام بينهم؟ ألم يجسدوا «يهوه» ويصوروه بأبشع الصور التى لا تليق بالحيوان فكيف بالإله؟**

على ضوء ذلك السلوك المشين مع الله سبحانه وتعالى - حدد القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه صفاتهم على النحو التالى:

* **المسارعة فى الإثم والعدوان**: بعد لحظات من نجاتهم وغرق عدوهم بمعجزة إلهية لم يروا ولم يعلموا مثيلا لها وبعد لحظات من إنزال الحق سبحانه وتعالى السكينة والطمأنينة على قلوبهم بعد الذعر والخوف من فرعون وجنوده. . . نراهم يسارعون إلى الكفر والمعصية (اجعل لنا إلهاً) عندما مروا بقوم يعبدون صنما لهم. وبعد ذلك بقليل يحولون الذهب إلى معبود لهم على شكل عجل ذهبى حيث أصبح الذهب معبودهم إلى يومنا هذا متناسين فضل الله وتسخير الغيوم والأمطار لتلطيف أجواء صحراء سيناء تحت أقدامهم وفوق رؤوسهم ومتناسين فضل الله وتسخيره للمن والسلوى طعاماً فى

متناول أيديهم الجاحدة.

* **الكذب والافتراء على الله**: وتلك صفة من تلك الصفات التى جبل عليها اليهود والتى أصبحت جزءًا من سلوكهم المشين مع الله سبحانه وتعالى فى جرأة غريبة لم نجد مثيلاً لها لدى عبدة الأوثان إذ لم يتجرأ عبدة الأوثان والأصنام على أصنامهم كما تجرأ هؤلاء الشراذم على الله سبحانه وتعالى فتارة يصفون يد الله تعالى بالغلول ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وتارة يقولون إن الله اصطفاهم وفضلهم على العالمين وتارة يقولون: إن الله لن يعذبهم وإن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة وتارة يقولون إنهم أبناء الله وأحباؤه وتارة يقولون: إن «عزيرا» ابن الله وهو الكاهن «عزرا» الذى كتب لهم التوراة وحرفها وتارة يقولون: إن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار.. أمور لا تدل إلا على صلف وعناد وشراذم اليهود وفساد عقائدهم وسرائرهم قاتلهم الله.

* **نقض العهود والمواثيق**: وتلك صفة تلازم اليهود منذ الأزل وهى لا تقتصر على سلوكهم مع الله وإنما هم يسارعون دائماً إلى نقض كل عهد أبرموه مع الله أو مع رسول من رسله وما عهودهم لرسول الله ﷺ عندما قدم المدينة منا ببعيدة حيث تحينوا الفرص لنقض هذه العهود والانقضاض على المسلمين. مع علمهم أن محمداً ﷺ حق والقرآن حق؛ وهذه صورة إسلام الصحابى الجليل عبد الله بن سلام بعدما تأكد من أوصافه ﷺ: ذلك أن أوصافه ﷺ كانت معلومة لليهود من التوراة التى بشرت برسول الله ﷺ كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧].

وقد كانت معرفة علماء اليهود وأحبارهم بالنبى ﷺ معرفة دقيقة، كما قال الله عز

وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ولذلك ما إن وصل النبى ﷺ المدينة ورآه الحبر عبد الله (١) بن سلام حتى أسلم وشهد بأنه على الحق وأنه جاء بالحق. وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أقبل نبى الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبى الله ﷺ شاب لا يعرف.

قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخير.

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا. فالتفت نبى الله ﷺ فقال: « **اللهم اصرعه** » (٢). **فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم**(٣). ففال: يا نبى الله مرنى بما شئت. قال: «قف مكانك لا تتركن أحد يلحق بنا». قال: فكان أول النهار جاهدًا على النبى ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له (٤). فنزل رسول الله ﷺ جنب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبى الله ﷺ وأبو بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركب نبى الله ﷺ وأبو بكر وحفُّوا دونهما

---

(١) عبد الله بن سلاَم: بالتخفيف الإسرائيلى أبو يوسف حليف بنى الخزرج قيل: كان اسمه الحصين فسماه النبى ﷺ عبد الله. مشهور له أحاديث وفضل. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. (تقريب: ١/ ٤٢٢).

(٢) فى رواية سراقة أن النبى ﷺ كان يقرأ وأنه سمع قراءته.

وفى رواية البراء عن أبى بكر: « فدعا عليه النبى ﷺ، وهاهنا قال: فقال: «اللهم اصرعه» وفى بعض الروايات عن البراء فقال رسول الله ﷺ: « اللهم اكفناه بما شئت»، وهى روايات يوضح بعضهما بعضاً، والله أعلم. فلعل سراقة ظن أن النبى ﷺ يقرأ، وإنما كان يدعو ويقول: « اللهم اصرعه، اللهم اكفناه بما شئت».

(٣) الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل. (النهاية فى غريب الحديث: ١/ ٤٣٦).

(٤) المسلحة: بفتح الميم واللام، بينهما سين مهملة ساكنة ـ القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسكان مسلحة لأنهم يكونون ذوى سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب يكون فيه أقرب يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. (النهاية فى غريب الحديث: ٢/ ٣٨٨).

والمعنى: أن سراقة صار آخر النهار يرد الناس عن طريق رسول الله ﷺ، ويضللهم فصار كالمسلحة.

بالسلاح فقيل فى المدينة: جاء نبى الله جاء نبى الله. **فأشرفوا ينظروا ويقولون: جاء نبى الله. فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبى أيوب.**

فإنه ليحدث أهله إذ سمع عبد الله بن سلام وهو فى نخل يخترف [1] لهم فعَجِل أن يضع الذى يخترف لهم فيها، فجاء وهى معه فسمع من نبى الله ﷺ ثم رجع إلى أهله فقال نبى الله ﷺ: « أى بيوت أهلنا أقرب؟». فقال أبو أيوب: أيا نبى الله هذه دارى وهذا مالى قال: «**فانطلق فهيئ لنا مقبلا**». قال: قوما على بركة الله.

فلما جاء نبى الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ما ليس فىَّ.

فأرسل نبى الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: « **يا معشر اليهود ويلكم! اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون إنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق فأسلموا**». قالوا: ما نعلمه - قالوا للنبى ﷺ - **قالها ثلاث مرار - قال: «فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»** قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: « **أفرأيتم إن أسلم؟**». قالوا: حاشا الله ما كان ليسلم. قال: « **أفرأيتمْ إن أسلم**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «**يا بن سلام اخرج عليهم**» فخرج فقال: **يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت فأخرجهم رسول الله** ﷺ [2].

ومع ذلك فكان اليهود أصحاب كتاب سماوى وأهل علم ورثوا نصوصه ولم يرثوا روحه وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم واحتالوا على شريعة الله فأحلوا الحرام وحرموا الحلال بالحيل والألاعيب بل حرفوا كتاب الله وافتروا على الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً كما قال الله عز وجل: **﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ**

(١) يخترف: أى يجتنى من الثمار. (فتح البارى: ٧/ ٢٥٢).

(٢) صحيح. رواه البخارى فى (مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٤٩ - ٢٥٠، (ح/ ٣٩١١) وأحمد فى (المسند، ٣/ ٢١١) والبيهقى فى (الدلائل، ٢/ ٥٢٦ - ٥٢٨).

ليَشْتَرُوا به ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].
وتجرؤوا على مخالفة كتاب الله وأحكام الشريعة **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾**[الأعراف: ١٦٩]

أما عن إسلام مُخَيْرِيق: فكان حبراً عالماً وكان رجلا غنياً كثير الأموال من النخيل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يحد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم أحد يوم السبت قال: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت قال: لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قُتلْتُ هذا اليومْ فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِلَ فكان رسول الله ﷺ يقول: مخيريق خير يهود وقبض رسول الله ﷺ أمواله فامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

وكان ممن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس والخزرج والله أعلم. من الأوس ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ثم من بني لوذان بن عمرو بن عوف: زوى بن الحارث. ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جلاس [1] بن سويد بن الصامت وأخوه الحارث بن سويد.

وكان اليهود على علم بمبعث رسول الله ﷺ وكانوا يستفتحون به على المشركين من الأوس والخزرج كما قال الله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٨٩]. ولما جاء رسول الله ﷺ المدينة حدد علاقته معهم بمعاهدة

(١) جلاس الذي قال: « وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ» في غزوة تبوك وهو الذي قال: لئن كان هذا الرجل صادقاً - يريد محمداً ﷺ - لنحن شر من الحمر فرقع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ عمير بن سعد أحدهم وكان في حجر جلاس. خلف جلاس في أمه بعد أبيه. فقال له عمير بن سعد: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليَّ وأحسنهم عندي أيدًا وأعزهم على أن يصيبه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها ليهلكَنَّ ديني ولأحدهما أيسر عليَّ من الأخرى ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله ﷺ: لقد كذب عليَّ عمير. وما قلت ما قال عمير بن سعد. فأنزل الله عز وجل: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**

تكفل لهم الأمن والحرية والعيش الطيب فى جواره ﷺ لو أرادوا بشرط أن لا يغدروا ولا يفجروا ولا يتحسسوا ولا يعينوا عدوا ولا يمدوا يدًا بأذى. ولكنهم لما رأوا قوة الإسلام تزداد ودعوته ترسخ وتنتشر وسلطانه يعظم ودينه يهيمن وأتباعه يكثرون وأزمة الأمور تجتمع بين يدى النبى ﷺ أكلت الغيرة قلوبهم وملأ الحقد والحسد نفوسهم فازدادوا طغيانا وكفرا. قال الله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]. فواجهوا الدعوة بغية السوء وتمنوا أن ينجحوا فى صد الناس عنها وردهم كفارا بعد إيمانهم كما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقد تمثلت هذه المواجهات والمحاولات فى صور متعددة يمكن إجمالها فى خمس صور:

❖❖❖❖❖

المواجهات الخمس

الأولى: تحريف الكلم عن مواضعه: سمع اليهود النبى ﷺ يتلو عليهم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فعلموا أنه يذكر أنه جاء بمثل شريعة موسى والأنبياء من قبله عليهم السلام ثم سمعوه يتلو عليهم الآيات التى فيها نماذج من هذا التوافق فى الشريعة كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] كما سمعوه يتلو عليهم بشارة التوراة ببعثته وأوصافه فى التوارة وذلك فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ثم رأوه يدعوهم للإيمان به ويتلو على مسامعهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٤٠ ـ ٤٢].

فلما سمعوا ذلك كانوا بين أمرين: إما الاعتراف بذلك والإيمان برسول الله ﷺ، وإما حذف كل ما يدل على مماثلة الشرائع أو على البشارة برسول الله ﷺ من التوراة ولم يترددوا فى سلوك الطريق الثانى فحرفوا وبدلوا فى كتاب الله وفى أحكام التوراة وكذبوا على الله تعالى.

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: « **ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجل؟** » فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم. إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: **صدق يا محمد فيها** آية الرجم فأمر بهما فرجما. قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ (١) على المرأة يقيها الحجارة (٢).

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أول مرحوم رحمه رسول الله ﷺ من اليهود زنا رجل منهم وامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه نبى بعث بالتخفيف فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا: فتيا نبى من أنبيائك. قال: فأتوا النبى ﷺ وهو جالس فى المسجد وأصحابه فقالوا: يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم حتى أتى بيت مِدْرَاسهم (٣) فقام على الباب فقال: « أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنا إذا أحصن؟ » قالوا: يحم ويُجَبَّه ويُجْلَد. والتجبية: أن يحمل الزانيان على

---

(١) يجنأ: هذه اللفظة جاءت فى بعض الروايات هكذا، وفى بعضها «يجانئ»، وفى بعضها «يحافى» وفى بعضها «يحنى» وغير ذلك. انظر: ضبطها فى (فتح البارى: ١٢/ ١٢٩، ١٦٩).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (المناقب، ٦/ ٦٣١، ح/ ٣٦٣٥) ومسلم فى (الحدود، ح/ ١٦٩٩/ ٢٦ ـ ٢٧) وأبو داود فى (الحدود، ٤/ ١٥٣، ح/ ٤٤٤٦) والترمذى فى (الحدود، ٤/ ٧٠٩، ح/ ١٤٦٠) وابن ماجة فى (الحدود، ح/ ٢٥٥٦، ٢/ ٨٥٤).

(٣) المدراس: البيت الذى يدرسون فيه، والمدارس أيضاً: صاحب دراسة كتبهم وهو من أبنية المبالغة. (النهاية فى غريب الحديث: ٢/ ١١٣).

وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما وسكت ألظَّ به النِّشدة (1) فقال: **اللهم إذا نشدتنا نجب فإنا نجد فى التوراة الرجم.** فقال النبى ﷺ: « **فما أول ما ارتخصتم أمر الله؟**». قال: **زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل فى أسرة من الناس فأرادوا رجمه فحال قومه دونه وقالوا: والله لا ترجم صاحبنا حتى تجىء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم قال النبى ﷺ:« فإنى أحكم بما فى التوراة» فأمر بهما فرجما.**

قال الزهرى : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** ﴾ فكان النبى ﷺ منهم (2).

وقد سجل الله عز وجل ذلك عليهم فقال تعالى: ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٤١]. ووبَّخهم على تلبيسهم الحق بالباطل فقال عز وجل: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧١].

الثانية: الدس والوقيعة بين المسلمين: غاظ اليهود ما رأوا من ألفة المسلمين واتحاد الأنصار مع المهاجرين واجتماع الأوس والخزرج بعد حروبهم الدامية فسعوا إلى الوقيعة فيما بينهم واصطنعوا المنافقين كأداة للوصول إلى هذا الهدف بعد أن فشلوا فى شق صف المؤمنين بصورة مباشرة. وقد حذر الله المؤمنين من الوقوع فى الفخ الذى ينصبه اليهود للتفريق فيما بينهم فقال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ**

---

(1) النِّشدة: بكسر النون المثقلة ـ مصدر نشد ـ ومعنى العبارة: ألح فى سؤاله وألزمه إياه. (المصدر السابق: ٤/ ٢٥٢).

(2) إسناده حسن. أخرجه أبو داود فى: كتاب الحدود، باب فى الرجم (ح/ ٤٤٥٠، ٤٤٥١ ـ ٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وعبد الرزاق فى (المصنف، ٧/ ٣١٦ ـ ٣١٧، ح/ ١٣٣٣٠).

اللَّه وفيكُمْ رسُولُهُ ومن يعْتصم باللَّه فقدْ هُدي إلىٰ صراط مُّسْتقيم (١٠١) يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقاته ولا تمُوتُنَّ إلاَّ وأنتُم مُّسْلمُون (١٠٢) واعْتصمُوا بحبْل اللَّه جميعًا ولا تفرَّقُوا واذْكُرُوا نعْمت اللَّه عليْكُمْ إذْ كُنتُمْ أعْداءً فألَّف بيْن قُلُوبكُمْ فأصْبحْتُم بنعْمته إخْوانًا وكُنتُمْ علىٰ شفا حُفْرةٍ مّن النَّار فأنقذكُم مّنْها كذلك يُبيّنُ اللَّهُ لكُمْ آياته لعلَّكُمْ تهْتدُون﴾

[آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٣].

كما حذر المسارعين فيهم من المنافقين ذوى القلوب المريضة.

فقال عز وجل: ﴿فترى الَّذين في قُلُوبهم مَّرضٌ يُسارعُون فيهمْ يقُولُون نخْشىٰ أن تُصيبنا دائرةٌ فعسى اللَّهُ أن يأتي بالْفتْح أوْ أمْرٍ مّنْ عنده فيُصْبحُوا علىٰ ما أسرُّوا في أنفُسهمْ نادمين﴾ [المائدة: ٥٢].

الثالثة: محاولات تشكيك المسلمين فى دينهم: من ذلك تظاهرهم بالدخول فى الإسلام أول النهار وادعاءهم تصديق النبى ﷺ ثم الارتداد آخر النهار بحجة أنهم اكتشفوا ـ بعد الدراسة ـ أن دينهم أعجب من دينه وأصبحوا وبذلك يصدون الناس عنه ويتركون المؤمنين فى شك وحيرة من دينهم وفى ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ودَّت طَّائفةٌ مّنْ أهْل الْكتاب لوْ يُضلُّونكُمْ وما يُضلُّون إلاَّ أنفُسهُمْ وما يشْعُرُون (٦٩) يا أهْل الْكتاب لم تكْفُرُون بآيات اللَّه وأنتُمْ تشْهدُون (٧٠) يا أهْل الْكتاب لم تلْبسُون الْحقَّ بالْباطل وتكْتُمُون الْحقَّ وأنتُمْ تعْلمُون (٧١) وقالت طَّائفةٌ مّنْ أهْل الْكتاب آمنُوا بالَّذي أُنزل على الَّذين آمنُوا وجْه النَّهار واكْفُرُوا آخرهُ لعلَّهُمْ يرْجعُون (٧٢) ولا تُؤْمنُوا إلاَّ لمن تبع دينكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩ ـ ٧٣].

ولما أمر الله المسلمين بالتحوّل عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة حاولوا تشكيك المسلمين وبلبلة عقائدهم بزعم أن التغيير يدل على أن محمداً يتصرف بهوى نفسه وينقض اليوم ما أحكم بالأمس وحديث القرآن عن إلباسهم الحق بالباطل كثير ومتكرر فى آيات متعددة. وقد وردت روايات متعددة فى السنة الشريفة عن تحويل الكعبة منها: ما رواه البراء بن عازب رضى الله عنهما: «أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال: أخواله ـ من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها

صلاة العصر وصلّى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة. فداروا كما هم قبل البيت» [1].

وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، ودليل ما ذكرناه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم قبل الشام فاستداروا الكعبة» [2].

* **فى أى صلاة كان التحويل**: قيل: إن التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة كان فى صلاة الظهر وإنه نزل الأمر بالتحويل بعد أن صلى النبى ﷺ ركعتين فاستدار هو والمسلمون فأكملوا الصلاة إلى الكعبة واستدل لذلك بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن عثمان بن محمد الأخنسى وغيرهما: «أن رسول الله ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة...» الحديث إلى قوله: «فنزلت عليه: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾ [البقرة : ١٤٤] **فوجَّه إلى الكعبة إلى الميزاب**. ويقال: صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون.

ويقال: بل زار رسول الله ﷺ أم [3] بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعامًا وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ثم أمر أن يوجه

---

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الإيمان، ح/ ٤٠، ١/ ٩٥) ومسلم فى (المساجد، باب تحويل الكعبة، ١/ ٣٧٤).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الصلاة، ١/ ٥٠٦، ح/ ٤٠٣) ومسلم فى (المساجد، ١/ ٣٧٥) والترمذى (ح/ ٣٤١) والنسائى فى (القبلة، ٢/ ٦١ ـ ٦٢) ومالك فى (القبلة، ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

(١) أم بشر بن البراء بن معرور الصحابي المعروف.

إلى الكعبة فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجد القبلتين وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا. . .» [١].

والصحيح أن التحويل كان فى صلاة العصر كما جاء فى حديث البراء بن عازب المتقدم حيث قال: « وإنه صلى أول صلاة صلاّها صلاة العصر».

وهذا الذى فى الصحيح أصح إن شاء الله. وهو يعنى أن التحويل نزل بين الصلاتين: الظهر والعصر، كما قال مجاهد [٢] وغيره ومال إليه الحافظ ابن كثير [٣] رحمه الله.

وجمع ابن حجر بين القولين فقال: « والتحقيق: أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر. وأما من لم يكن فى مجلس النبى ﷺ ولم يسمع منه ذلك فقد تسارع إخوانهم بتبليغهم الأمر الجديد بعد الصلاة مع النبى ﷺ مباشرة كما فى حديث البراء بن عازب السابق ففيه: « فخرج رجل ممن صلى معه فمر على مسجد وهم راكعون» الحديث فهو دليل على أنه بلغهم وهم لا يزالون فى صلاة العصر.

وقد تعجب ابن كثير رحمه الله من تأخر وصول البلاغ إلى أهل قباء إلى الصبح وذهب ابن حجر إلى أن «الخبر وصل وقت صلاة العصر إلى من هو داخل المدينة: وهم بنو حارثة وذلك فى حديث البراء والآتى إليهم بذلك: عباد بن بشر أو ابن نهيك - ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم: بنو عمرو بن عوف أهل قباء ولم يسمّ الآتى بذلك إليهم وإن كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنه عباد بن بشر ففيه نظر لأن ذلك ورد فى حق بنى حارثة فى صلاة العصر فإن كان ما نقلوا محفوظاً فيحتمل أن يكون عباد أتى بنى حارثة أولاً فى وقت العصر ثم توجه إلى قباء فأعلمهم بذلك وقت الصبح.

---

(١) أخرجه الترمذى فى (الطبقات الكبرى ١/ ٢٤١ - ٢٤٢) وإسناده ضعيف جدًا، فيه شيخه محمد بن عمر الواقدى متروك عند أهل الحديث مع إنه إمام فى السيرة.

(٢) مجاهد بن جبر بإسكان الموحدة مولى السائب بن أبى السائب أبو الحجاج المكى المقرئ الإمام المفسر عن ابن عباس وقرأ عليه. قال مجاهد: عرضت عليه ثلاثين مرة. قال ابن حبان: مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد. (خلاصة تهذيب الكمال: ص/ ٣٦٩).

(٣) ابن كثير. الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القيسى البصروى. قال الذهبى: الإمام المفتى المحدث البارع ثقة متقين محدث متفنن. مات فى شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. (البدر الطالع للشوكانى: ١/ ١٥٣)

ومما يدل على تعددها: أن مسلماً روى من حديث أنس: « أنَّ رجلاً من بنى سلمة مرَّ وهم ركوع فى صلاة الفجر» فهذا موافق لرواية ابن عمر فى تعيين الصلاة، وبنو سلمة غير بنى حارثة» [1].

الرابعة: الاستهزاء والسخرية بشعائر الإسلام وفرائضه وبآيات الكتاب العزيز لإيهام البسطاء من الناس أنه ليس بشىء فاستهزؤوا بالأذان والصلاة وغيرها كما فى قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [2] [المائدة: ٥٧ ـ ٥٨].

ولما حث الله المسلمين على الإنفاق سخروا من ذلك وقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، ودليل ما قلناه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أتت اليهود محمداً صلى الله عليه حين أنزل الله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد :١١] فقالوا: يا محمد أفقير ربنا يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

الخامسة: الغدر ونقض العهود: تلك كانت صفة أساسية للشخصية اليهودية فلا يكاد اليهود يستقيمون على عهد أبداً كما قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] وكما قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وكذا يتبين من هذه الآية الكريمة أن اليهود لم يعهدوا عهدا مع رسول الله ﷺ إلا انتبذوه وجعلوه وراء ظهورهم.

* **تحريف ما أنزل الله**: وتلك صفة وصفهم الله سبحانه وتعالى بها من جراء سلوكهم مع رسالات السماء والكتب التى أنزلها الله تعالى على رسله من بنى إسرائيل قبل أن يبعث سيدنا محمداً ﷺ. فالتوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام

---

(١) فتح البارى: (١/٥٠٦).

(٢) وروى ابن إسحاق وغيره فى سبب نزول هذه الآية الكريمة ما حدث بين أبى بكر الصديق وفنحاص اليهودى. أنظر: (السيرة النبوية بتحقيقنا: ١/ ٥٨٨ ـ ٥٩٩) طبعة دار الغد الجديد.

لتكون شريعة لبنى إسرائيل حملوها سنين دون أن يعملوا بها حيث وشبههم القرآن الكريم بالحمار يحمل أسفارًا ثم بعدما أضاعوها وضعوا توراة من عند أنفسهم إبان فترة السبى البابلى لهم بواسطة كاهنهم «عزرا» كما ذكرنا من قبل وقد سعوا بضياع التوراة المنزلة من الله لأنها تقيد سلوكهم حيث ضمنوا توراتهم كل سلوك معوج وتعاليم جانحة للشر والعدوان. ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا شريعة من عند أنفسهم وادعوا أنها تعاليم شفوية منسوبة إلى موسى عليه السلام أسموها التلمود. ومن بعد التوراة جاء دور الإنجيل الذى حرفوه وأخرجوه من إطار رسالة التوحيد الخالدة إلى بؤر الشرك والوثنية حيث أدخلوا فى عقائد النصارى كل وثنية ورثوها عن أسلافهم.

* **الجرأة على الله**: وتلك صفة تلازم سلوك اليهود تجاه الله سبحانه وتعالى وهى صفة لا نجد لها نظيرًا حتى لدى الأمم والشعوب الوثنية التى لم تجترئ على أصنامها كما فعل اليهود. فبعدما أنقذهم الله من فرعون وقومه وبعدما أيد الله رسوله موسى عليه السلام بالعديد من المعجزات وبعدما أراهم الله تلك المعجزات وفجر لهم الجبال أنهارا وظلل عليهم السماء بالغمام نراهم يخاطبون موسى عليه السلام بقولهم: « أرنا الله جهرة» وبعدما أصبحوا على حدود فلسطين نراهم يخاطبون موسى عليه السلام بقولهم: «اذهب أنت وربك» ولم يقولوا: اذهب أنت وربنا فأية جرأة على الله تفوق ذلك؟». وأية صفات تحكم سلوك هؤلاء الشراذم.

* **أثر العقيدة فى سلوكهم مع الرسل**: إن سلوكهم مع الرسل عليهم السلام لا يخرج عن إطار سلوكهم المعوج وعدائهم لرسالة السماء الخالدة ولله الذى بعث الرسل وللرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور. وإذا كان سلوكهم مع الحق سبحانه وتعالى كما بينا فى الفقرات السابقة: مسارعة فى الإثم والمعصية وكذباً وافتراءً على الله ونقضا لعهودهم معه سبحانه وتعالى وتحريفاً لما أنزل على رسله من الكتاب الحكيم. فكيف تكون حالهم مع الرسل؟ وأية صفات تحكم سلوكهم مع هؤلاء الصفوة المختارة من خلقه عليهم الصلاة والسلام أجمعين؟ لقد كذبوا هؤلاء الرسل وطاردوهم وقتلوهم ووصفوهم بكل صفة بذيئة قذرة ثم سلكوا معهم كل مسلك للتشكيك والتعجيز.

- على ضوء ذلك السلوك المشين مع الرسل حدد القرآن الكريم صفاتهم

صفات الفئة الباغية من اليهود

* **تنسحب صفات الفئة الباغية من اليهود قديماً على صهاينة اليوم.**

* **التمرد على الرسل**: لقد كان موسى عليه السلام بين ظهرانيهم وآيات الله سبحانه وتعالى ومعجزاته التى وهبها لرسوله موسى عليه السلام تتجلى أمام أعينهم ومع كل ذلك لم نجدهم يذعنون لدعوة رسول الله ﷺ و لا لهداية نبى من رسل الله وأنبيائه فيهم حتى بعث المصطفى ﷺ الذى أعلنت طوائف اليهود تمردها عليه ونقضها للعهد معه واحدة تلو الأخرى.

* **اغتيال الرسل**: كثرة الأنبياء والرسل فى بنى إسرائيل دليل على كثرة انحرافهم وجنوحهم وحيث أنهم شراذم جبلوا على فعل الموبقات فإن دعوة الرسل والأنبياء لم تكن لتتناسب مع تلك الصفات الساقطة والسلوك المنحرف. ولهذا أصبح الرسل والأنبياء عليهم السلام هدفاً للأذى من قبل طوائف اليهود الجانحة. لقد خططوا لقتل عيسى عليه السلام كما قتلوا وخططوا لقتل العديد من الأنبياء من قبله ومن بعد ذلك فعلوا ما فعلوه مع خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ حيث تآمروا عليه وخططوا لقتله مرات ومرات.

* **عدم الأدب فى الخطاب**: من عهد موسى عليه السلام إلى عهد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وهم يردون على كل رسول يخاطبهم بقول الحق سبحانه وتعالى بقولهم: سمعنا وعصينا إننا نسمع ولكن لا نريد أن نطيع هكذا بكل وقاحة كما يخبرنا القرآن الكريم هذا إلى جانب وقاحتهم وتجرؤهم على الله سبحانه وتعالى إذ كل صفة من الصفات الآنفة الذكر دليل على عدم التزامهم جانب الأدب فى الخطاب.

الجدل والمراء: إحدى السور الطوال تدل على جبلة الجدال الذى جبل عليه اليهود مع الرسل والأنبياء. وقد سميت تلك السورة بسورة البقرة حيث قصتهم مع رسول الله وكليمه موسى عليه السلام ومماحكتهم حول البقرة التى أمرهم الله بذبحها. ومن بعد ذلك نجد أن هذا الجدال الذى جبلوا عليه يتجلى مرة أخرى مع نبيهم صموئيل عندما طلبوا منه أن يجعل لهم ملكاً يقاتلون معه فى سبيل الله وعندما أبلغهم نبيهم أن الله

جعل عليهم طالوت ملكاً عادوا للمماحكة والجدل والعناد بقولهم: كيف يكون علينا ملكا!؟.

أثر العقيدة فى سلوكهم مع الناس: إذا نظرنا إلى سلوكهم مع الله سبحانه وتعالى وهو خالقهم وباعث الرسل فيهم الذى فضلهم بأن جعل لهم الملك والنبوة ثم مع الرسل عليهم السلام وهم صفوة خلق الله سبحانه وتعالى فإننا سنصاب بالذهول حيث الكفر بالله ورسله والجرأة عليه سبحانه ثم العداء لرسالته ورسله. ولهذا فإن سلوك هؤلاء الشراذم مع الناس سيكون تحصيل حاصل حيث يرون أن هذا الإنسان ـ غير اليهودى ـ لم يخلق إلا لخدمتهم وأنه يحمل روحاً وهى روح الحيوان ـ بل إنه حيوان خلق على شكل الإنسان لخدمة اليهودى كما يقول لهم كتبة التلمود. لقد أملت عليهم تعاليم التوراة المحرفة والتلمود الحاقد كيف يتعاملون مع الإنسان غير اليهودي وطبعتهم بطباع وصفات تشمئز منها الحيوانات ـ ناهيك عن الإنسان الوثنى ـ ومن بين هذه الصفات التى تحدد سلوكهم مع البشر ما يلى:

* **قسوة القلب**: صفة بينها لنا الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وحدثتنا عنهم توراتهم المحرفة حين دخلوا أريحا من قرى ومدن فلسطين وقد استشهدوا ببعض نصوص التوراة كما حدثتنا عن ذلك كتب التاريخ وما فعلوه بأهل بابل عندما قيض لهم ذلك ابن «زانيتهم» راشيل الملك الفارسى «قورش» ثم حدثنا عنه سجل التاريخ المعاصر فى دير ياسين وقبية وصبرا وشاتيلا وغيرها .

* **كتمان الحق والتضليل**: عرفوا الحق منذ أن بعث فيهم موسى عليه السلام ومنذ أن رأوا عدوهم يفر من أمام أعينهم ومنذ أن رأوا الغمام يضللهم فى صحراء سيناء والمن والسلوى بين أيديهم والجبال تتشقق وتتفجر بعدد أسباطهم ولكنهم جبلوا على العناد والمماطلة وكتمان الحق. لقد كتموا الحق الذى عرفوه عن عيسى عليه السلام.. ثم كتموا الحق الذى عرفوه عن محمد وهم يعرفون أنه رسول الله.. قاتلهم الله بكفرهم وعنادهم.

* **حب الإفساد**: لقد جبلوا على الإفساد.. أفسدوا فى مصر ثم أفسدوا فى

فلسطين ثم أفسدوا فى بابل ثم فى فلسطين ثانية.. ثم انتشروا فى أصقاع الدنيا ونشروا الإفساد معهم فهم وراء كل فساد وهم وراء كل رذيلة وجريمة. لقد أفسدوا عقائديا وأفسدوا اقتصادياً وأفسدوا اجتماعياً. إنهم وراء الجنس والإباحية وهم وراء المخدرات وهم وراء الحروب والمشاكل الدولية وهم وراء النظام الاقتصادى الذى يرافق النظام الربوى إنهم وراء كل رذيلة وجريمة.

* **الكبر والتعالى على الناس**: مع كل صفات الرذيلة التى يتحلون ويتصفون بها إلا أنهم يتعالون على الناس ويرون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنه لن يعذبهم وأن الأمم قد خلقها الله لخدمتهم.

إن هذا الشعور هو نتيجة حتمية لمركب النقص والدونية التى يشعر بها أتباع الديانة اليهودية وإلا ما معنى ذلك الادعاء مع أنهم قوم لا يتورعون عن استخدام أعراض نسائهم لتحقيق أهدافهم الدنيئة؟ وما معنى ذلك الادعاء وهم المنبوذون أينما حلوا؟

* **حب الشر وكراهية الخير لغيرهم**: حين يعتقدون أن الناس غيرهم «الأميين» إنما خلقوا على هيئة البشر لخدمتهم فقط فهم ولا شك لن يحبوا أن يروا أيا من الناس ينعم بالخير. ونظراً لتأصل هذه الصفة فيهم فقد عزلهم الناس وكرهوهم فى مصر وفى فلسطين وفى بابل وفى الحجاز وفى أوروبا وفى شمال أفريقيا وفى كل مكان وطئته أقدامهم النجسة. وإلى جانب أنهم يكرهون الخير للآخرين نراهم يسارعون فى إيذاء الناس بدافع الحقد والكراهية المتأصلة فى نفوسهم للإنسان عامة.

* **الأنانية والانتهازية**: إن خير مثال على أنانيتهم وانتهازيتهم ما يقومون به من أعمال سوء للأمم والشعوب والدول التى تؤويهم وتقدم لدولتهم قوة وعرق أبنائها. فأمريكا الآن تتعرض من وقت لآخر على أيدى اليهود للمهانة والتجسس وغير ذلك من الأعمال لصالح إسرائيل ضد أمريكا التى يحملون جنسيتها وهويتها. إنهم أصحاب مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. وقبل ذلك نجد أن تاريخهم فى المدينة وقبلها فى فلسطين ومصر وبابل وبعدها فى أوروبا وكل مكان يخبرنا بالقصص والروايات العديدة حول الأنانية المتأصلة فى النفس اليهودية الشريرة.

* **المنكر والفحشاء**: يكفى لمعرفة ذلك أن نقرأ صفحات من توراة عزرا لنجد الفحش والمنكر والرذيلة. ويكفى أن نتعرف على الأعمال التى كانوا يمارسونها فى هيكلهم لنعرف أن الرذيلة والفحشاء جزء من ديانتهم التى وضعوها من عند أنفسهم وارتضوها ديناً لهم. لقد نشروا الرذيلة والإباحية فى كل أرض استوطنوها فهم لا يتناهون عن منكر فعلوه.

* **عبادة المال والتعامل بالربا**: لقد عبدوا العجل [1] الذهبى بعد فترة وجيزة من نجاتهم من فرعون وقومه ثم جاء التلمود ليأمرهم بالتعامل بالربا وسرقة الآخرين وسلب أموالهم بالباطل. ولهذا جعلوا الذهب والربا وسيلة لدمار العالم والهيمنة عليه وهذا بالفعل ما نواه فى التعامل النقدى العالمى الذى يعتمد الذهب معبود اليهود والربا صناعتهم من الأزل.

* **النفاق**: وتلك صنعة توارثها اليهود جيلا بعد جيل وقد استثمروا تلك الصفة فى مدينة الرسول ﷺ وعلموها للعرب وكادوا يحققون من خلالها بعض النجاحات لولا لطف الله سبحانه وتعالى.

* **الجبن والتخاذل**: إن أول آيات الجبن والتخاذل فيهم موقفهم من موسى عليه السلام حين طلب منهم دخول فلسطين وجوابهم له ثم موقفهم مع طالوت [2] عندما أصبح ملكاً عليهم وحين أمروا بالجهاد تحت قيادته. إنهم لا يقاتلون إلا من وراء جدر [3] أو فى قرى محصنة. ذلك وصف القرآن الكريم لهم. ثم صفة توارثوها منذ كانوا شباباً فى بابل وقد وصفهم لذلك المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام بأبناء إبليس لما فيهم من صفات المكر والكيد. ولقد بذلوا وزاولوا كل ألوان وأصناف الكيد للإسلام ورسول الإسلام ﷺ وللمسلمين من بعده ولكن لطف الله ورحمته بعباده فوّتا الفرصة على أعداء الله.

---

(١) قلت: هكذا كان بنو إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام. واليوم حرفوا التوراة وأعلنوا دولة صهيون ويقتلون الأبرياء بدون أدنى سبب.

(٢) قلت: هذا تضمين من القرآن الكريم.

(٣) قلت: هذا تضمين من القرآن الكريم.

* **زعزعة عقائد الآخرين:** وهذه تتجلى فى اليهودى الحاقد على المسيح « شاؤول » الذى تنصر وسمى «بولس» للكيد للنصرانية من داخلها ولزعزعة عقائدها ثم فى ذلك اليهودى الحاقد على الإسلام «عبد الله بن سبأ» وقصته مع المسلمين.

وإذا كان هذا هو الحال مع خير من وطأت قدماه الأرض ﷺ فإليك أخى المسلم طرف ونبذ من أحوال صهاينة العصر المجرمين مع من قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت من استطاع منهم سبيلاً وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ما استطاعوا. فلم يشهد التاريخ العالمى بوجه عام والإسلامى بوجه خاص جرائم أبشع مما ارتكبته العصابات الصهيونية ضد الشعب العربى فى فلسطين وغيرها من الأراضى العربية وما يحدث الآن فى الأراضى الفلسطينية ليس بجديد فمنذ عام ١٩٤٨ وما قبلها ومنذ أن خططت الصهيونية العالمية لإقامة دولتهم الاستعمارية والعدوان قائم والمذابح مستمرة والتشريد والهدم متواصل والشعب العربى يدفع الثمن.

وفى يوم أسود من الظلم من أيام التاريخ العربى أنزلت الأعلام البريطانية من كافة أنحاء فلسطين العربية **ووقف «بن جوريون» فى تل أبيب يعلن عن قيام إسرائيل وينشد النشيد الإسرائيلى «الأمل» ونعود إلى ذاكرة التاريخ الذى يحدثنا عن وقائع هذا الإعلان الأسود فيقول: إنه فى صباح يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ دعا «بن جوريون» المجلس الوطنى المكون من ٣٧ عضواً إلى جلسة طارئة لبحث إعلان قيام إسرائيل وانتهوا إلى الاتفاق على إصدار الإعلان فى تمام الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة ١٤ مايو وقبل غروب الشمس أى قبل بدأ يوم السبت الذى يحرم فيه على رجال الدين اليهودى من أعضاء المجلس مباشرة أية أعمال دنيوية** فلا يخرقون أى من قوانين الشريعة اليهودية حيث إن بريطانيا لم تنه انتدابها على فلسطين إلا منتصف ليلة الجمعة ١٤ مايو ١٩٤٨ وإذ الحاضرون يتناقشون حول اختيار اسم لهذه الدولة فاقترح بعضهم أن يطلق لها اسم «جودا» لكنه رفض لأن هذا الاسم يشير إلى المنطقة المحيطة «بأورشليم» فقط ثم رأى بعضهم أن يطلق عليها اسم «صهيون» والذى اشتقت منه الحركة الصهيونية لكن هذا الرأى رفض أيضًا. ثم اقترح تسميتها «إيتار» أى العبرية لكنه رفض أيضاً ثم اقترح

تسـميتـها «إرتزاســرائيل» ومعنــاها أرض إسرائيل ولكن حــتى لا يعنى ذلك أن الدولة الجديدة تقوم على الأرض التى كانت عليها إسرائيل القـديمة رفض هذا الاقتراح تسميتها «إسرائيل» فتمت الموافقة على هذا الاسم.

وتقـرر أن يتم إعلان قـيام إسرائـيل فى متـحف البلدية بتل أبيب حيث تـوجه «بن جوريون» يحيط به اثنا عشر وزيراً إلى مكان الاجتـماع ووقف يلقى البيان الذى يتضمن إعلان قيام إسرائيل وذلك فى تمام الساعة الرابعـة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ . ليـقول «بن جـوريون» فى بيانه: إن أرض إسـرائيل هى المكان الذى نشـأ فيـه الشعب اليـهودى فهنا فى هـذه الأرض تشكل كيان هذا الشـعب. وبعد هذا الاجتـماع يقول «بن جوريون»: لقد اجتمعنا نحن أعـضاء المجلس القومى ممثلين للشعب اليهودى فى فلسطين وممثلين للشعب اليـهودى فى فلسطين وممثلين للحركـة الصهيونيـة العالمية. اجتـمعنا اليوم وهو يوم انتـهاء الانتـداب البريطانى على فلسطين لكى نعلن قـيام دولة يهودية فى فلسطين اسمها «دولة إسرائيل» ـ وهكذا كانت البداية حيث كان حديثهم عن إنشاء دولة تـسمى إسرائيل يكـاد يكون حلماً بعـيد المنال ـ **وبناء على طلب مـقدم من «إلياهـو إيلات» ممثل الوكالة اليـهودية فى واشنطن إلى «تورمـان» الذى رد على الطلب بقوله: « إن هذه الحكومة قد كلفت ما يفيـد إعلان قيام دولة يهودية فى فلسطين وأن هذه الدولة قد طلبت الاعتراف بها .**

إن الولايات المتحدة تعترف بهـذه الحكومة الإسرائيلية المؤقتة اعترافاً واقـعياً وكاملاً فكان الاعتـراف الأمريكى بإسـرائيل هو أول اعتراف بهـذه الدولة التى زرعت فى قلب منطقتنا العـربية من أجل تحقيق المطامع الصهـيونية التى تجسـدت فى بيان «بن جوريون» ومنذ نبـوءة «تيودور هرتزل» بعـد انعقاد المؤتمر الـصهيـونى الأول فى بازل سنة ١٩٨٧ ووعد بلفور سنة ١٩١٧ ومن هنا سلبت فلسطين العربية وسلب الشعب الفلسطينى حقه فى العيش على أرضه فى سلام.

وقد عـملت الحركة الـصهيـونية منذ بدايتهـا فى القرن التـاسع عشر على تحـقيق أهدافها الاستيطانية فى فلسطين بكل الوسـائل الممكنة وغير الشرعية فكانت الدعوة إلى الميعاد تحت مظلة المنطقة الصهيونية العـالمية أو من خلال العنف الاستعمارى العنصرى.

وكانت الصهيونية فى بدايتها حركة سياسية لكنها تسترت بقناع الدين لتخلق من حكاية العودة إلى أرض الميعاد أيدلوجية تاريخية ودينية حتى تتمكن من تجميع يهود الشتات وفى نفس الوقت تتمكن من إخفاء حقيقة أهدافها الاستعمارية ومطامعها التوسعية بكافة الأساليب والوسائل اللاإنسانية التى تجسدت بشكل سافر فى الأرض العربية المحتلة وما حولها طوال أكثر من نصف قرن.

ومنذ أكثر من نصف قرن ويعمل مؤسسو الصهيونية على استبعاد الشعب الفلسطينى من أرضه وما زالوا يعملون على انتزاع المزيد من الأراضى الفلسطينية ويرفضون عودة اللاجئين الفلسطينيين المشردين فى كل أنحاء العالم فى الوقت الذى يعطى فيه الحق لكل يهودى بمقتضى قانون العودة أن تستوطن فلسطين. حيث عمدت إسرائيل منذ البداية على تهجير أكبر عدد ممكن من يهود الشتات إلى أرض فلسطين متخذة أساليب التهجير الجماعى وتسلل الجماعات اليهودية على أوسع نطاق فى المراحل الأولى من تنفيذ المؤامرة ثم أخذت تشجع تدفق اليهود من كل مكان فى العالم إلى فلسطين فى الوقت الذى كان فيه تعداد اليهود فى فلسطين فى بداية القرن العشرين لا يزيد عن ٦٠ ألف تقريباً وفى المقابل من ذلك هددت إسرائيل متخذة سياسة الإرهاب والطرد لدفع عرب الأرض المحتلة إلى الهجرة **حيث وجد السكان العرب أنفسهم فى قبضة الاحتلال معرضون للاعتقال والسجن وهدم منازلهم ومصادرة أراضيهم وأملاكهم وحرق محاصيلهم دون حماية من قرارات الحكم العسكرى لسلطة الاحتلال والتى من بينها عمليات الطرد والإبعاد للأشخاص غير المرغوب فيهم وفقا للمادة (١١٢) من قوانين الدفاع التى تمنح الحكم العسكرى سلطة إصدار أمر بطرد أى إنسان إلى خارج البلاد أو نفيه أو منعه من العودة إلى وطنه. وكذلك منع أى شخص موجود خارج البلاد من العودة إليها ويتم تنفيذ ذلك بشكل خاص ضد القيادات الوطنية وبصورة وحشية. وفى الوقت نفسه عمدت سلطة الاحتلال إلى مصادرة الأراضى الفلسطينية** ووضعت القوانين التى تمكنها من الاستيلاء على الأراضى العربية مثل: **قانون أملاك الغائبين والذى صدر عام ١٩٥٠ والذى صودرت بمقتضاه أراضى وأملاك العرب الذين تركوا فلسطين خصوصاً فى ظل تداعيات حرب ١٩٤٨ ومنع الفلسطينيين**

من العودة إليها بعد اعتبارها مناطق مغلقة حسب الأحكام العسكرية. كذلك قانون التقادم الذى يطالب كل من يدعى ملكية أرض غير مسجلة فى دائرة المساحة أن يثبت أنه سيطر عليها لمدة ٥٠ سنة. على هذا النحو عملت إسرائيل على فرض واقع الاحتلال على الأرض العربية بالاستيلاء والمصادرة والنهب ثم عملت وما زالت تعمل على إنشاء المستعمرات والتوسع فى بناء المستوطنات لخلق واقع استيطانى فى الأرض العربية فى مضمار استراتيجيتها التوسعية وسياستها العدوانية فى إطار وهم إسرائيل الكبرى وهو ما لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يخدم السلام الذى تتحدث عنه فى الوقت الذى تواصل فيه اعتداءاتها على المقدرات العربية وتحطم فيها على صدر الأرض العربية فى فلسطين والضفة والقطاع. ولم تكتف اسرائيل بذلك ولكنها **ما زالت تمارس سياسة الاستفزاز التى تعتمد على اللامبالاة وعدم الاهتمام بالرأى العالمى**.

وفى الوقت الذى أصبح للصهاينة الحق فى الممارسة الوحشية تحت ستار الكبش الكبير أمريكا فإن أمريكا ذاتها ما زالت تسعى إلى تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق: شيعية وسنية وكردية بهدف إقامة دول نفطية صغيرة على غرار الكويت والبحرين وقطر والهدف من ذلك كسر شوكة العرب والمسلمين ليصبح العالم الإسلامى كله فى قبضة أمريكا تستطيع أن تلتهمه وقتما شاءت. كما أن هناك العديد من المؤشرات التى تدل على أن مصير أغلب الدول النامية ومنها الدول العربية والإسلامية سوف يكون المزيد من التهميش وبالذات تلك الدول التى تعانى من عدم أو ضعف القدرة على التكيف مع هذه المتغيرات خاصة وأن أغلب هذه الدول خرجت من عقد الثمانينيات من القرن العشرين الميلادى وهى تعانى من مشكلات متفاقمة اقتصادية واجتماعية وسياسية. ولذلك يؤكد البعض أن انتهاء التناقض بين الشرق والغرب سوف يكون على حساب تعميق التناقض بين الشمال والجنوب.

*** ويمكن بلورة أهم المؤشرات التى تكشف عن تزايد احتمالات تهميش أغلب بلدان الجنوب فى ظل أوضاع النظام الدولى الجديد فيما يلى :**

تهميش دول الجنوب

أولاً: وجود مجموعة من الاختلالات والتباينات التى تكشف عن غياب العدالة فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين الشمال والجنوب. وقد كشف التقرير الثالث عن «التنمية البشرية» الذى أصدره البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة عن **حقائق خطيرة ومذهلة بهذا الخصوص أهمها ما يلى:**

(أ) إن (٢٪) من سكان العالم يحصلون على (٨٢,٧٪) من مجموع دخل العالم بينما الـ (٢٠٪) من سكان العالم الأكثر فقرا يحصلون على (١,٤٪) من دخل العالم والـ (٢٠٪) الأقل فقراً يحصلون على (١,٩٪) من دخل العالم - وهناك (٢٪) ثالثة فقيرة تحصل على (٣ر٢٪) من دخل العالم وهذا يعنى أن (٦٠٪) من سكان العالم يحصلون على (٥,٦٪) من إجمالى دخل العالم ويكشف هذا عن الفجوة الواسعة بين أغنياء العالم وفقرائه.

(ب) إن الدول الغنية تستهلك حوالى (٧٠٪) من الطاقة العالمية و (٧٥٪) من معادن العالم و (٨٠٪) من أخشابه و (٦٠٪) من طعامه. وفى الوقت نفسه يوجد فى الوقت الراهن حوالى (١٣٠٠) مليون لا يستطيعون الحصول على مياه الشرب الصالحة ناهيك عن انتشار المجاعات فى العديد من الدول الأفريقية فى الوقت الذى تعانى فيه دول الشمال من التخمة.

(ت) **إن خسارة دول الجنوب** نتيجة الأوضاع غير المتكافئة فى العلاقات التجارية والمعاملات المالية الدولية تمثل أضعاف ما تحصل عليه هذه الدول من معونات خارجية إذ تكلف دول الجنوب حوالى (٥٠٠) مليار دولار سنوياً.

(ث) **وكذلك نجد أن فوارق الفقر والغنى تتسع معدلاتها بصورة كبيرة ففى عام** ١٩٦٠ كان دخل الفرد بالنسبة للعشرين فى المائة من سكان العالم الذين يعيشون فى الدول الأكثر فقراً بحوالى (٣٠) ضعفاً وفى عام ١٩٨٩ تزايدت الفجوة ليصبح الفرق بين دخل الفرد فى المجموعتين حوالى (٦٠) ضعفاً.

(ج) **وكذلك نجد أن تخفيض الإنتاج العسكرى** بنسبة (٣٪) فقط خلال عقد

التسعينيات يمكن أن يوفر لجهود التنمية (١٥٠٠) مليار دولار منها (١٢٠٠) مليار دولار للدول المتقدمة و (٣٠٠) مليار للدول المختلفة. ومن المفارقات أنه في الوقت الذى تذهب فيه بعض الدول المتقدمة إلى خفض الإنفاق على التسليح فإن الدول النامية تتجه إلى زيادته إذ أن حوالى (٧٥٪) من تجارة السلاح فى العالم تذهب إلى الدول النامية.

ثانيا: **إن انتهاء الحرب الباردة بمعناها التقليدى** سوق يقلل من الأهمية الإستراتيجية لبعض دول الجنوب كما أن تفكك الاتحار السوفيتى وانهياره سوف يفسح المجال أمام الولايات المتحدة الأمريكية للتدخل فى شئون دول الجنوب بالشكل الذى يخدم مصالحها ويمكن أن تستخدم العديد من الأدوات لتحقيق هذا الهدف بما فى ذلك الأداة العسكرية.

ثالثاً: إن انتهاء نظام القطبية الثنائية من شأنه تضييق مجال حرية الحركة أمام دول الجنوب لأن هذا النظام كان يوفر لبعضها مجالاً لممارسة المناورة السياسية واللعب على التوازنات والتناقضات بين القوتين العظميين.

رابعاً: وإذا كان ما يعرف بالنظام الدولى الجديد يقوم - من وجهة نظر المروجين له - على مبادئ الأمن الجماعى والشرعية الدولية والاعتماد المتبادل وتسوية المنازعات بالطرق السلمية فالأرجح أن هذه المبادئ سوف تطبق فيما بين دول الشمال فقط.

خامساً: إن انخراط الدول المتقدمة بدرجات متفاوتة فى مجالات الثورة الصناعية الثالثة وما يمكن أن يترتب على ذلك من تخليق لمواد خام بديلة كفيل بأن يؤدى إلى تقليص الأهمية الإستراتيجية لبعض المواد الخام التى تمتلكها بعض دول الجنوب. ومن أهم التحديات التى تواجه الدول العربية والإسلامية فى ظل النظام الاقتصادى الجديد ما يلى:

(أ) **مشكلة الأسعار**: سوف ترتفع الأسعار ويرجع ذلك إلى عدة مبررات من بينها إلغاء سياسات الدعم التى كانت تمنحه الدول للفقراء وما فى حكمهم وإلغاء دعم التصدير والدعم الداخلى.

(ب) **مشكلة انخفاض حصيلة الجمارك وأثرها على ميزانية الدولة**: مما لا شك فيه أن تخفيض الرسوم الجمركية على السلع المستوردة من الخارج سيؤدى إلى حصول عجز

فى الموازنة العامة للدول العربيــة والإسلامية ولا سيما فى بعض الدول التى تعتـبر فيها الرسوم الجمركية من الموارد السيادية.

(ت) مشكلة البطالة: بسبب المنافسة الشديدة من السلع والخدمات المستوردة لنظيراتها المحلية سوف يؤدى إلى انكماش الصناعة والزراعة وهذا بدوره يؤدى إلى البطالة.

(ث) مشكلة الدخول فى الأسواق العالمية: سيكون للدول الكبيرة الغنية السيطرة على الأسواق بسبب ما تتمتع به من منافسة.

وعن الآثار السلبية للنظام الاقتصادى الجديد على المصارف الإسلامية يقول الدكتور محمد عبد الحليم عمر: إن النظام الاقتصادى الجديد يشكل تحديات خطيرة أمام المصارف الإسلامية وخاصة بعد توقيع اتفاقية تحرير الخدمات المالية فى ديسمبر عام ١٩٩٧ والاتفاق على مبدء العمل بها اعتباراً من مارس ١٩٩٩ فإنه سيكون فى مقدور أى مؤسسة مالية فى العالم أن تقدم خدماتها فى أى دولة من دول العالم سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وبالتالى سوف تكون المنافسة حادة بين المؤسسات المالية العالمية والمؤسسات المالية فى دول العالم الإسلامى ومنها المصارف الإسلامية وسوف تكون الغلبة فيها لمن يملك عناصر تؤدى إلى تقديم خدمات مالية بتكلفة أقل وبتنوع شامل وبطريقة مناسبة وسهلة.

وهذا يقتضى أن يكون حجم المؤسسين كبيرا بحيث يمكنه تقديم الخدمات المالية فى أى مكان وأن تقدم تكنولوجيا متقدمة فى أعمالها فضلا عن اتباع إجراءات وأساليب عمل متقدمة ويكون لديها كوادر مؤهلة تأهيلاً عاليًا بالإضافة إلى تنوع الخدمات التى تقدمها.

وعلى الجانب الثقافى فى ظل التحديات الدولية الجديدة نجد أن الثقافة الإسلامية بحضارتها ورونقها من الكتاب والسنة تتضاءل ونجد أن الدول العربية والإسلامية فى ظل النظام العالمى الجديد المتقدم فى مجالات الاتصالات والمعلومات لم تستطع التحكم فى تدفق الأفكار والقيم والثقافات فيما بين المجتمعات والأجيال وفقدت الدول الإسلامية

السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات والذى يتم عبر وسائل وتقنيات جديدة لم تبرز إلا فى التسعينيات من القرن العشرين. **لقد أصبح الملايين من البشر موحدين تليفزيونيا ومن خلال البريد الإلكترونى وشبكات الإنترنت.**

لم يحدث فى التاريخ أن تمكن أكثر من (٣) مليار فرد أى حوالى ٥٠٪ من عدد سكان الأرض أن يتابعوا معا بالصوت والصورة الحية وفى وقت واحد حدثاً عالمياً واحداً كمباريات كأس العالم وافتتاح الدورة الأولمبية أو توقيع اتفاقية السلام فى واشنطن أو مراسم دفن الأميرة ديانا والملك حسين عاهل الأردن.

ولم يحدث مثل هذا التواصل الإخبارى الحى والمباشر بين الشعوب فى أى وقت من الأوقات وبهذا الزحام الذى يعيشه العالم حالياً. ولم يحدث أيضاً فى التاريخ أن سمع وعرف عدد هائل من سكان الأرض عما يجرى فى باقى أنحاء العالم من أحداث كما هو اليوم وهو الأمر الذى يتم من خلال حوالى (١٠٠٠) قمر صناعى سيزداد قريباً إلى (٢٠٠٠) قمر صناعى تقوم حاليًا بربط العالم وبنقل الأخبار والأحداث والأفكار والقيم إلى كل أرجاء المعمورة.

وكل يوم وتقوم أمريكا وأوروبا ومن خلفهم إسرائيل بفتح محطات جديدة للسيطرة الإعلامية الكاملة فهم يوجهون المعلومات ويشوهون التحليلات وينشرون الفجور ويسعون لطمس ديننا ودنيانا ومحو هويتنا وثقافتنا.

والصهاينة يركزون على الإعلام والسينما خاصة ووسائل التثقيف فهذا الإعلام العالمى الذى تمثله العولمة تحكمه أمريكا وإسرائيل فى النهاية وهو لا يجلب خيراً لنا وإنما دماراً لشعوبنا. ويقول فى هذا الصدد الدكتور أحمد عبد الرحمن: لقد اتحدت القوى العلمانية فى الداخل والخارج فى أشكال عديدة من الروابط آخرها نظرية «العولمة» بغية تعميم الفلسفة المادية فى العالم الإسلامى ولقد حاولوا تشويه الإسلام بكل الطرق والوسائل لتنفير المسلمين منه لكى يتم إفساح المجال لإحلال الفلسفات المادية ـ وما يبنى عليها وما يشتق منها من النظم والقوانين والقيم ـ محل نظائرنا الإسلامية وهذا الإحلال يمثل أهم مظاهر العولمة فى العالم الإسلامى.

فالعولمة عند هؤلاء هى استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحياة وإحلال الفكر الأوروبى والأمريكى المادى العلمانى البراجمانى «النفعى» محله بحيث لا يكون هناك «عالم إسلامى» و «عالم مسيحى» و «عالم علمانى» بل عالم واحد علمانى مادى يستقى فكره وشرائعه وأخلاقياته من الخبرة البشرية وهى الخبرة البشرية للعالم الأول المتقدم الغنى والقوى فى أمريكا وأوروبا.

ومن الجدير بالذكر أن الأفلام الأمريكية أصبحت تهيمن - ليس على الشاشة الكبيرة فقط - وإنما على الشاشة الصغيرة أيضاً ليس فى الدول النامية فقط وإنما أيضاً بين دول أوروبا نفسها وظهر أن أكثر من جيل تربى على «الكاوبوى» و «رعاة البقر» و «السوبرمان» و «المثاليات الأمريكية» بدءاً من الأشياء المادية إلى ألوان الأدب.. بعد أن زادت هيمنة المؤسسات الأمريكية - قبل ذلك - فى عديد من الأقطار. وأصبح من المتكرر ملاحظة ترجمة الأدب الأمريكى فى العالم المتقدم والمتخلف سواء بسواء وهو ما يقال أيضاً عن المجلات والصحف بما لعبته الإنجليزية التى يتحدث بها أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية وهو ما خلف تغييرات كثيرة فى السلوك الحركى والأداء النفسى والإقبال على رموز مضمرة خطيرة فى المسلسلات الأمريكية والتى لا تكاد تخلو منها أى بلد فى العالم.

ولذلك فعلى العالم الإسلامى أن يقرر لنفسه دوره الفاعل فى النظام الدولى الجديد إذا أحسن إدراك المتغيرات العالمية مثلما يدرك مواطن قوته ومناطق ضعفه والبحث فى دور للعالم الإسلامى يتلازم مع مهمة أخرى وهى إعداد الكوادر المثقفة بالصبغة الإسلامية الصحيحة والقادرة على التعامل مع المعطيات الجديدة والمسلحة فى الوقت نفسه بأدوات ومهارات العمل الدولى والراسخة القدم فى تراثها وأسس حضارتها الإسلامية الخالدة.



الاختراق الخبيث

وعلى النقيض من ذلك اخترقت أجهزة المخابرات الصهيونية التنظيمات الدينية سواء المسلمين أو المسيحيين لتوجيهها وجهة سياسية هدفها الوثوب إلى السلطة ووجدت الأنظمة نفسها مهددة من تنظيمات شيوعية تريد الوثوب إلى السلطة وهى لا تلقى الترحيب الشعبى لمحاربتها الأديان ومهددة من منظمات دينية تريد الوثوب إلى السلطة وهى مستغلة فى الأوساط الشعبية تخيف الناس من خطر الشيوعية واخترقت الصهيونية. بعض القيادات من التنظيمات السياسية وبذرت بذور الفتنة فصارت الدول تتجاذبها ثلاث قوى تمزقها وهى المنظمات الشيوعية والتى تحولت إلى علمانية والمنظمات الدينية المسلمة والمسيحية فى الداخل والخارج والمنظمات السياسية الحاكمة والمعارضة وانشغلنا بمشاكلنا عن الأخطار الخارجية **التى اكتفت الثلاث قوى بالتنافس فى الزغيق والشجب واتهمت بعضها بعضا بكل ما فى قاموس الشعارات وأنها هى الوحيدة التى لو أتيحت لها الفرصة لكانت المنقذ وتدعو الجماهير الحائرة إلى الالتفاف حولها.**

التخطيط على المستوى العالمى

كيف صارت الإدارة الأمريكية أداة طيعة فى يد الصهيونية لدرجة أن الإدارة الأمريكية لو وجدت تعارضا بين مصالحها وبين مصالح إسرائيل فستضحى بمصالحها وتساند المصالح الصهيونية؟ **سؤال نردده بين أنفسنا ليل ونهار ولا نجد له حلا و لا ندرى ماذا نفعل** وقد اقترح البعض التوجه لوسائل الإعلام الأمريكية والغربية لشرح القضية الفلسطينية ولكن هل تأثير الدعاية الصهيونية اكتفت بشرح الحق الصهيونى المزعوم.. **هذا غير صحيح وقبل أن نعرف كيف كان التأثير الصهيونى على الرأى العام الأمريكى وعلى صانعى القرار** دعنا نتعرف على بعض المعلومات الأساسية التى ستساعدنا فى معرفة إجابة السؤال؟

منذ مائة **وخمسون عاماً تبلورت نظرية مسيح اليهود الذى ينتظرونه ليدخلون فى ديانة المسيحية** وظهر الأصوليون المسيحيون ليوافقوا رؤية اليهودية ولهذا فكان يلزم عليهم

مساعدة دولة إسرائيل إلى أقصى مدى وكان التلمود وقد تنبأ بميلاد المسيح لحظة تدمير المعبد الثانى رغم أن المعبد قد تدمر مرتين المرة الأولى على يد بختنصر البابلى والثانية على يد أنطيوفسى الإغريقى ويقال :على يد الرومان سنة ٧٠م ولم يأت المسيح فأين صدق نبوءة التلمود.

والنظرية الصهيونية التى يتقنع من تحتها اليهود هى الرغبة فى التوسع والسيطرة والاستغلال **فقد كانت الحملات الأوروبية المسماة بـ «الاستعمارية» هى أوضح الدلائل على مدى الاستغلال والنهب... يقول الدكتور رمزى زكى: لقد نهب الاستعمار كميات كبيرة من الذهب والفضة من مناطق النفوذ فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا ثم نقلها جميعا إلى أوروبا بحيث أدى هذا إلى إفقار القارات فى العالم المعاصر .واستطاع الاستعمار أن ينهب أكثر من ثمانية آلاف مليون ماركا فضيا من قارة أمريكا اللاتينية وحدها أما الذهب فلم يكن الاستعمار أقل عنفا فى نهبه خصوصًا وأن البحث عنه أحد أهم دوافع الاستعمار الغربى وقد وجد الأوربيون ضالتهم المنشودة فانغمسوا فى عمليات سرقة لا هوادة فيها ولا رحمة...حيث بلغ حجم ما نهبه الاستعمار الأوروبى من مناجم الذهب فى أمريكا اللاتينية ستة آلاف مليون ماركا ذهبيًا... أما كميات الذهب المنهوبة من قارة أفريقيا فتقدر بحوالى ثمانمائة مليون ماركا ذهبيا ومن قارة آسيا حوالى سبعمائة مليون ماركا ذهبيا ... أى أن الأوروبيين قد نهبوا ما مجموعه سبعة آلاف وخمسمائة مليون ماركا ذهبيا من الجنوب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.**

ويندرج فى هذا الإطار ما تقوم به القوى الكبرى فى النظام الدولى ـ قديمه وجديده ـ من تحركات عسكرية تصب فى خدمة المصالح الاقتصادية لها. ولقد حارب الإسلام الاستغلال والسيطرة واعتبر الحرب من أجل استغلال الشعوب والسيطرة على مقدراتها وطاقاتها حربا قذرة وهى من قبيل الإثم والبغى الذى نهى عنه الإسلام . ولذلك يقول الله تبارك وتعالى: **﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [البقرة: ٢٢٧] وقال صلى الله عليه وسلم: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»** (١) ويقول أيضا: **«من ظلم قيد شبر طوقه**

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الظلم ، ٥/ ١٢٠، ح/٢٤٤٧) ومسلم فى (البر والصلة، ٤/ ١٩٩٦، ح/ ٥٧٦، ٥٧).

من سبع أرضين» [1].

ومن الأدلة الدامغة على تحريم حروب السيطرة والاستغلال **أن الإسلام لا يعترف بما درج عليه العرف الدولى من أحقية الدولة فى إلغاء المعاهدات التى قامت وقتئذ مع دولة أو عدة دول أخرى إذا رأت أن مصلحتها تقتضى ذلك** كأن تصبح أكثر قوة وأضخم حجما وأوسع نفوذا. وفى ذلك يقول الله تعالى: **﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [النحل: ٩١ ـ ٩٢].

❖❖❖❖❖

المسيح المنتظر

العهد القديم يقول «هو ذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى بحسن ابن أتان وأقطع المركبة من أخراجه والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب ويتكلم بالسلام وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض»

ويرى المسيحيون أن هذه النبوءة خاصة بيسوع المسيح إلا أن اليهود يرون أن مسيح اليهود سيضع الأمم تحت أقدامهم ويملكون العالم **وسيأتى وسط جمع من الجنود المتعطشين للدماء فيتخلصون من ذل السبى فى بابل والشتات فى العالم وهذا هو الخلاص فى اليهودية أما فى المسيحية فمفهوم الخلاص هو التخلص من شهوات الجسد والانتقال إلى الملكوت السماوى فى ظل سلام دائم.**

وهناك طائفة من اليهود اسمها **(حراس المعبد)** تؤمن بأن المسيح هو الذى سيقيم دولة إسرائيل ويرون أنه يجب محاربة دولة إسرائيل الحالية بكل قوة لأنها عمل باطل.

ويرى الأصوليون من البروتستانت أن عليهم الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار بعد أن كان ينظر إليهم كقتلة المسيح (طبقا للفكر المسيحى) .

(١) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (المظالم، ٥/١٢٣، ح/٢٤٥٢) ومسلم في (المساقاة، ٣/١٢٣١، ح/١٤٠، ١٦١٠).

هرمجدّون

وهى معركة كبرى توجد فى سفر الرؤيا وقد احتار فيها المفسرون حتى أن البعض يرى أنها دسيسة يهودية .

يؤمن اليمين المسيحى بوحى من الصهيونية أن قوى الشر التى ستهزم فى هذه المعركة هم العرب. بل ويؤمنون بناء على فقرة تكوين ١٢ :١٣ وهى «**وأبارك مباركيك ولاعنك العنه**» بضرورة دعم وتأييد إسرائيل إلى الأبد لأن هذه مشيئة الرب لا يمكن معارضتها مهما كانت جرائم الصهيونية ضد العرب بل وأصبح اليمين المسيحى يفضلون اليهودى على المسيحى فاليهودى يأتى فى المرتبة الأولى يليه الأصولى الأمريكى لأن الأصولى اليهودى عندما يرضى عنه يرضى عنه الرب **وهذا سبب النزاع بين كل من أمريكا وإنجلترا وبين ألمانيا المسيحية.** وقد قال تشرشل: **إن العرب ليسوا إلا متخلفين يأكلون روث الجمال. وطالب لورنس أوليفانت (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨م) بطرد العرب مثل الهنود الحمر لأنهم لا يستحقون المعاملة الإنسانية** . وعندما قامت إسرائيل بغزو لبنان هنأ فولويل الأصولى مناحم بيجين بالنصر متباهيا بإنتاج الطائرة إف١٦ التى قتلت الاف اللبنانيين والفلسطينيين وبينهم مسيحيون وإصدر الأصوليين بيانا قالوا فيه: (**إن معارض الغزو لا ساميون).**

ويقول **فالويل** الزعيم الأصولى :إن حزقيال قال :إن معركة هرمجدون هدفها النهب فإذا حذفنا الحرفين الأولين spoil من النهب لصارت الكلمة oil أى البترول.

وفسر أحد إصحاحات سفر حزقيال بأن تجمعا عسكريًا سيحدث بقيادة يأجوج يأتى من مشك (موسكو) وشعوب أرمينيا والقوقاز وليبيا والحبشة وإيران واليمن أو أوروبا الشرقية وسيهجمون على فلسطين لتهزمهم إسرائيل وذلك بعد عودة المسيح لإنقاذ إسرائيل) ولهذا شجع الصهاينة الحرب بين أرمينيا وأذربيجان وضرب إيران والعراق لإضعاف الدولة التى ستواجه إسرائيل فى معركة هرمجدون.

وقد جاء النص التالى فى كتاب «**المطالب النظرية فى المواضع الإلهية**» من الكتب التى ظهرت أوائل هذا القرن ـ دون تاريخ محدد ـ فى مصر وهو من تأليف: «**صاحب**

مجلة صهيون» حسب المدون على غلاف الكتاب وهو الأسقف إيسيدروس الذى وردت صورته بالكتاب المذكور (ص٣) وهو أيضاً مؤلف كتاب «الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة» الذى تعرض فى مواضع متعددة منه ـ من الجزء الثانى ـ **للإسلام والنبى** باتهامات باطلة وملفقة لا جديد فيها وسنرد التحية بأحسن منها فى موضع آخر بمشيئة الله تعالى: قال المؤلف المذكور فى رده على بعض الاعتراضات على العقائد المسيحية عندما شرع فى ذكر الاعتراض السابع من ترتيبه.

(حاشية: الشكوك الآتية من أحد علماء الإسلام فى الجيل الثانى عشر المسيحى المشهور ـ بأبى عيسى الوراق ـ والرد عليها لشيخ النصارى المدعو ـ أبو زكريا يحيى بن عدى ـ «المعاصر له»).

نقلناها من الباب التاسع عشر من كتاب «أصول الدين» لمؤلفه الشيخ إسحاق بن العسال ببعض التصرف.

ويلاحظ أن الأسقف الذى أطال لسانه القذر للنيل من نبي الإسلام لم يفلح فى أن يكتب ثلاثة أسطر حتى وقع فى خطأين فاحشين يكشفان عن جهله المستحكم:

الخطأ الأول:

دعواه بأن أبا عيسى الوراق كان يعيش فى القرن الثانى عشر للميلاد المسيحى والصحيح باتفاق سائر المؤلفين والمحققين أنه عاش فى القرن الثالث الهجرى أى فى حدود القرن التاسع للميلاد وليس الثانى عشر كما يدعى صاحبنا. وأرخ له المسعودى فى مروج الذهب بأن وقت وفاته كانت سنة ٢٤٧ هـ أى بالتحديد سنة ٨٦١ ـ ٨٦٢ميلادية.

الخطأ الثانى:

دعواه بأن «يحيى بن عدى» كان «معاصرًا للوراق!». ولو كان هذا الأسقف المؤرخ يعرف تاريخ وفاة صاحبه الذى يدعوه (شيخ النصارى) وأنه توفى فى سنة ٣٦٣ للهجرة الموافقة لسنة ٩٧٣ ـ ٩٧٤ ميلادية. وأنه عاش واحدًا وثمانين عامًا لوعرف هذا عنه كل هذا وأن شيخه المذكور إنما ولد بعد وفاة الوراق بأكثر من ثلاثين عامًا لما ردد

بجهله ونحو غائيته تلك الدعوي بأن ابن عدى كان (معاصرًا) للوراق. وشرف بالرد عليه والتى نجدها عند أمثاله من مؤلفى النصارى دون تحقيق أو تصحيح [1].

يقول الدكتور بدير محمد بدير: رغم الاعتراف بفضل وعلم بعض المستشرقين إلا أنه لا يمنع أن هناك طائفة كبيرة من المستشرقين، كان دأبها البحث عن مواضع الضعف فى الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامى وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية أو تجارية فكان شأنهم فى ذلك شأن من لا يرى فى مدينة ذات بهجة ونضارة ونظام ونظافة إلا مزابل ومراحيض ومستنقعات.

---

(١) ...ت: أما من حيث النص الذى ننقله فنقوم بتجريده من سياق الردود التى وضعها النصارى على كل جزء من أجزائه أو على كل شك من تلك الشكوك.

وقد أورد أبو عيسى محمد بن هارون الوراق هذه «الشكوك» عن العقائد المسيحية حسبْ إيرادها فى الكتاب السالف الذكر.

الشك الأول: «هل اختلفت الأقانيم لأنها جوهر أو لعلة أخرى؟»فإن قال النصارى: لأنها جوهر أوجبوا الاختلاف فى الجوهر. وإن قالوا: لعله أخرى أثبتوا عليه أخرى غير الجوهر وغير الأقانيم» !!

الشك لثانى: إذا كانت نفس الأقانيم مختلفة وكل منها جوهرًا فتكون جواهرها مختلفة. وهى خلاف قولكم أن الأقانيم متفقة فى الجوهر مختلفة فى الخواص»!!

الشك الثالث: وإن قالوا: إن الأقانيم جوهر فقد أثبتوا جوهرين قديمين:

أحدهما: مختلف وهو الأقانيم. والآخر: غير مختلف ليس هو الأقانيم.

وهذا ترك قولهم» !!

الشك الرابع: وإن قالوا : إن الأقانيم جوهر هو ذلك الجوهر العام ولا يلزمنا إثبات جوهرين لا يجب أن يكون الجوهر الخاص موافقًا للجوهر العام ولا مخالفا له. إذ الشيء لا يكون موافقاً لنفسه ولا مخالفًا لها. قلنا: إن كنتم تثبتون جوهرًا غير خاص وتثبتون غيره وتصرحون لذلك بجوهرين غيرين. تجيئون بذكر الاتفاق والاختلاف لا محالة»!!

الشك الخامس: فإن زعموا أن الجوهر ليس برابع للأقانيم فى العدد ثم أثبتم أن الجوهر غيرها ـ لم يكن رابعا لها؟ «وليس ذلك بأعجب من قولهم : الأب إله ـ والابن إله ـ الروح إله ـ ولا يقولون ثلاثة أرباب وخالقين وقدماء. فالقول بأن هذا الشيء واحد وأربعة ليس بأعجب من القول بأنه اثنان أو ثلاثة فى العدد!!

الشك السادس: الأقانيم إما أن تكون متفقة فى الجوهر الخاص أو فى الجوهر العام : «فإن كان الأول: فقد بطل التثليث لأن كل أقنوم جوهر خاص وكل أقنوم اتفق بغيره كان وإياه واحدًا. وإن كانت متفقة فى العام مختلفة فى الخاص وكل أقنوم منها جوهرًا فتكون الجواهر أربعة قديمة متغايرة!!

الشك السابع: إذا كانت الأقانيم متمايزة عن بعض فيلزم أن تكون أفعالها كذلك ـ فإن كان كل واحد منها قادرا وعالماً وخالقاً فقد أثبتوا أن: القادر والعالم والخالق أكثر من واحد!! (المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية : ص١٤٢ ـ١٤٥).

فنرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل مساعيهم وجهودهم على تعريف مواضع الضعف فى تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنيته حتى في ديانته وشريعته وتمثيلها فى صورة مروعة مضخمة إنهم ينظرون إليها عن طريق «المجهر» ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلاً والنقطة بحرًا. وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم فى كثير من الكتابات فى تشويه صورة الإسلام ويشيرون بذلك فى قلوب قادة العالم الإسلامى اليوم وزعمائه ـ ممن ثقفوا فى مراكز الغرب الثقافية الكبرى أو درسوا الإسلام بلغات الغرب ـ شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية ويحدثون في نفوسهم يأسًا عن مستقبل الإسلام ومقتاً على حاضره وسوء ظن بماضيه حتى يتركز نشاطهم وحماسهم فى دفع هتاف «تطوير الدين» و «إصلاح القانون الإسلامى».

ولقد وضع المتشرقون فى سفسيطة وتدليس ومغالطات غربية تتنافى تمامًا مع البحث العلمى النزيه المجرد من ذلك.

مغالطات المستشرقين

الأول: دأب كثير من المستشرقين على تعيين غاية لهم ويقرون فى أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ثم يقومون لها بجمع معلومات ـ من كل رطب ويابس ـ ليس لها أى علاقة بالموضوع سواء من كتب الديانة والتاريخ أو الأدب والشعر أو الرواية والقصص أو المجون والفكاهة وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة ويبنون عليها نظرية لا وجود لها إلا فى نفوسهم وأذهانهم.

ثانيا: إنهم فى أغلب الأحيان يذكرون عيبًا واحدًا ويجودون لتمكينه فى النفوس بذكر عشر محاسن ليست لها أهمية كبيرة وذلك كى يقف القارئ خاشعًا مؤدبا أمام سعة قلوبهم وسماحتهم ويسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفى لطمس جميع المحاسن إنهم يصورون بيئة دعوة أو شخصية وتاريخها وعواملها الطبيعية بلباقة وبلاغة تصوران أن هذه الدعوة والشخصية لم تكونا إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعى وكأن البركان كان متهيئا للانفجار فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر فينكر القارئ أى اتصال بمصدر غير مادى ولا يعترف لهذه الشخصية أو الدعوة بعظمة أو تأييد إلهى أو

إرادة غيبية.

ثالثا: كثير من هؤلاء يدسون فى كتاباتهم مقدارًا خاصًا من «السم» ويحترسون في ذلك فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف إن كتابات هؤلاء أشد خطرًا على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء.ويصعب على رجل متوسط فى عقليته أن يخرج منه أو ينتهى من قراءتها دون الخضوع لها.

رابعا: ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث النبوي ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه. ويصححون ما ينقله الدميرى فى كتابه «الحيوان» ويكذبون ما يرويه الإمام مالك [1] فى «الموطأ». ويخضعون النصوص الشرعية الموحاة للفكرة التى يرونها حسب أهوائهم وأغراضهم وكثيرا ما يحرفون النصوص تحريفًا مقصودا إن لم يكن فى اللفظ ففى المعنى.

خامسًا: جمع الشبهات المختلفة ومحاولة التأليف بينهما لإعطائها صورة مكتملة. مثال ذلك: ما قام به المستشرق الألمانى «ويلهلم هودباخ» الأستاذ فى جامعة «بون» بألمانيا من جمع قطع وشذرات من كتاب الإصابة لابن حجر [2] ثم ينشرها على أنها كتاب «الردة» لابن حجر الذى ألفه أبو زيد الفرات [3].ولا يقوم بمثل هذا العمل إلا مغرض صاحب هوى لأنه يخالف البحث العلمى السليم.

ويرفعون أهل الباطل أصحاب الفكر السقيم ويخفضون أهل الحق أصحاب الفكر السليم فقد عمل المستشرقون على إحياء التراث الباطنى المجوسى [4] مستهدفين تحطيم

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحى أبو عبد الله المدنى أحد أعلام الإسلام وإمام دار الهجرة. قال البخارى: أصح أسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. توفى سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع (خلاصة تهذيب الكمال: ص/٣٦٦).

(٢)ابن حجر شيخ الإسلام وإمام الحفاظ فى زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقاً. قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى. توفى سنة اثنتين وخمسن وثمانمائة. (حسن المحاضرة: ١/ ٣٣٦٣).

(٣) أبو زيد الفرات المتوفى عام ٢٧٣هـ، وهو فارسى الأصل.

(٤) المجوسى: من ينتسب إلى الماجوسية، وهى ديانة عبدة النار. وكان زرادشت قد اعتنقها وانتشرت بيوت النار فى كل أنحاء فارس ومن ثم أصبحت المجوسية اسمًا لكل الديانات الفارسية ومنها الزردشتية وقيل: المجوسية: فرقة من الكفرة يعبدون الشمس والقمر. وقيل: فرقة من الثنوية.(المعجم).

أصالة الفكر الإسلامى ويبدو هذا واضحًا فى تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التى تحمل هذه السموم وخاصة ما يتصل بالإلحاد والإباحية وما يتصل بوحدة الوجود والحلول[1] والاتحاد [2]والمبحوث.

أسباب نشر الاستشراق فى العالم الإسلامى :

وقد ساعد على نشر الاستشراق فى العالم الإسلامى ضعاف النفوس المفتونون أمام الإغراءات الجاهية والمالية والوعود البراقة من تلامذة المستشرقين الذين تلقوا عنهم السموم والأفكار المريضة أثناء البعثات التعليمية ثم عادوا من الغرب وتبوأوا أكبر المناصب والكراسى فى الجامعات ونقلوا هذا الافتراء وهذه الترهات على أنها حقائق علمية وأنَّ تمسكنا بأصولنا ومبادئنا الإسلامية الحنيفية سبب تأخرنا وأنه لا سبيل إلى النهوض والتقدم إلاَّ بالانصهار فى بوتقة الغرب وتقليدهم تقليدًا أعمى فى كل شىء والعياذ بالله.

وكذلك الكتاب والمفكرين من أهل التبعية والتغريب والشعوبية فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم هؤلاء المفكرون الذين يكتبون باللغة العربية.

يقول الشيخ كامل عويضة فى كتابه «طه حسين بين الشك والاعتقاد ـ المطبوع بدار الكتب ببيروت»: **وهذا واضح فى الدعوة إلى العامية التى بدأها «ويل كوكس» و «ديلمور» وغيرهما ثم تابعهما «سلامة موسى»و «أحمد لطفى السيد» فى الدعوة إلى الإقليميات والقوميات الضيقة كالفنيقية والفرعونية وغيرها بدأها «فبرى» و «كرومر»**

(١) الحلول: عند النصارى هو حلول البارى تعالى فى عيسى عليه السلام، والحلوليون من المسلمين قالوا : لا يمتنع أن يظهر الله تعالى فى صورة بعض الكاملين. فأكملهم العترة الطاهرة ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة عن أئمتهم.

وعند المتكلمين أن الله تعالى لا يحل فى غيره ، لأن الحلول هو الحصول على سبيل التبعية وأنه ينفى الوجوب الذاتى ولم يخالفهم إلا غلاة الشيعة من النصر والإسحاقية. وبعض المتصوفة قالوا: يحل الله تعالى فى العارفين والحلول المطلق عند ابن تيمية هو وحدة الوجود. (المعجم).

(٢) الاتحاد: فى الأصل هو صيرورة الشيئين المختلفين شيئًا واحدًا وله عدة درجات: أدناها درجة الاشتراك البسيط فى أمور عرضية وأعلاها درجة الاتحاد الصوفى.

وليس المقصود بالاتحاد أن يصير الشىء شيئًا آخر ولا أن يزول أحد الشيئين ويبقى الآخر. وإنما المقصود به أن يكون بين الشيئين علاقة يشتركان فيها مع احتفاظ كل منهما بهويته. مثال ذلك: الاتحاد بطريق التركيب وهو أن ينضم شىء إلى آخر فيحصل منهما شىء ثالث. والاتحاد عند الصوفية : هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء الموجودة موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة فى أنفسها (المعجم).

وتابعهما «طه حسين» و «لطفى السيد» وغيرهما.

ويقول الشيخ كامل: «والناظر فى كتابات الدكتور طه حسين يلاحظ هذا وأشد منه فقد أملى على تلاميذه ما نصه : «وصلنا فى المحاضرة الماضية إلى موضوع اختلاف الأساليب فى القرآن وقررنا أنه ليس على نسق واحد واليوم نوضح هذه الفكرة فنقول : لا شك أن الباحث الناقد والمفكر الجرىء الذى لا يفرق فى نقده بين القرآن وبين أى كتاب أدبى آخر يلاحظ أن فى القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثانى صلة ولا علاقة مما يدفعنا فى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة أو تأثير ببيئات متباينة . . . إلخ».

وقد جرته جرأته إلى أعظم من ذلك لا إلى النقد والمقارنة والتهجم بالمعارضة بل بالاعتراض والنفى. ففى كتابه «الشعر الجاهلى» نفى صحة قصة إبراهيم وإسماعيل وبنائهما للكعبة وزعم أنها **خرافة اخترعها اليهود لغرض سياسى**. حيث يقول: **للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى . ويقول الدكتور بدير محمد: وقد تتبعه الأستاذ محمد أحمد عرفة وكيل كلية الشريعة بالأزهر فى كتابه بعنوان «نقض ومطاعن فى القرآن الكريم» طبع للمرة السادسة فى مطبعة النيل المسيحية وفيه** الطعن على قصة إبراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة فى (ص٣٥٢) وعليه فيكون الدكتور مخدوع بمن كتب قبله ومخادع لمن يكتب إليه بعده فمثل هذا الكتاب لا ينبغى التعويل عليه فى المبادئ الإسلامية وإن بلغ شأواً فى التنميق والتنسيق وتنوع الأساليب كما هو معروف له وقد تكون قوة الأسلوب أدعى لترويج الباطل وتمويه الحقائق [1].

(١) قلت: وبهذا السياق الذى أورده المؤلف يكون طه حسين ومن اتبعوه فى مذهبه وشكوكه قد اتبع المذهب الدهرى الإلحادى الذى ينفى المعجزات للأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

ذكر عبد الجبار بن أحمد شك أبى عيسى الوراق فى «تواتر» الأخبار المتصلة بالمعجزات فقال : «وقد حكى عن الوراق - فى مثل هذه المعجزات أنه قال: «لا يصح فيها التواتر لأن من شاهده إنما يكون رآه من مكان قريب أو من مكان بعيد: فإن كان من مكان بعيد: فالحيلة ممكنة ولا يتجلى حتى يعرف ضرورة. وإن كان قريبا: فليس يباشرها منهم إلا عدد قليل والباقون من ورائهم ولا يقع من مثلهم التواتر.

قال الدكتور محمود خفاجى: اتفق العلماء على أن للمعجزة شروطا كثيرة وهى: أولا: أن يكون ذلك الأمر(الخارق للعادة) فعلا لله تعالى لا لغيره وهذا يشمل القول: كالقرآن الكريم والفعل كنبع الماء من بين=

فنعوذ بالله من أن نكفر بنعمه أو نحاربه ودينه بآلائه كما نرجوه أن يوفقنا إلى صرف نعمه وآلائه فى طرق محابه ومراضيه والدفع عن دينه وحماية شريعته.

❖❖❖❖❖

الحضارة الجاهلية المعاصرة

أعطت المرأة كما أعطت الرجل - حق الفساد والتهتك والتبذل باسم الحرية الشخصية فهل يسمح الإسلام بذلك للمرأة أو للرجل سواء وهذه الحضارة قد عملت على ترجيل المرأة وإفساد أنوثتها وهى تنفخ فى كيانها باسم المساواة مع الرجل فهل يرضى الإسلام عن ذلك؟

كما عملت تلك الحضارة على إحراج صدر المرأة من قوامة الرجل **وجعلتها تنظر إليها على أنها عدوان على كيانها وكرامتها.. فهل يقبل الإسلام هذا المسخ الذى** مسخته تلك الجاهلية لكيان المرأة وخرجت بها عن الحكمة التى خلق الله بها الزوجين **وجعل العلاقة بينهما سكنًا ومودة رحمة فانقلبت قلقا وخصاما وتمزقا،** وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: ٢١].

إنما يعمد الخبثاء من المستشرقين إلى **مهاجمة الإسلام فى موضوع المرأة** فيقولون ويلحون فى القول: **إن الإسلام يحتقر المرأة ولا يعطيها حقوقها.**

ويظل المستشرقون يهاجمون الإسلام ويقولون: **إن الإسلام قد انتشر بالسيف وهذا**

= أصابعه ﷺ. والترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم.

ثانيا: أن يكون ذلك الأمر خارقاً للعادة لأنه إذا لم يكن خارقاً للعادة لا يكون دالا على الصدق كما يقول: معجزتى طلوع الشمس كل صباح. فإن هذا ليس خارقًا للعادة بل أمر عادى. ولهذا فالمعجزة غيره.

ثالثا: أن يتعذر معارضته. ذلك أنه لو أمكن المعارضة لأمكن للكاذب أن يدعى النبوة. وهذا، لا يمكن وجوده فى المعجزة أبداً.

رابعًا: أن يكون ظهور الخارق على يد مدعى الرسالة إذ لو ظهر على يد غيره لم يكن معجزة له.

خامسًا: أن يكون الخارق للعادة موافقًا للمطلوب فلو ظهر مخالفًا كان إهانة كما قيل: معجزتى نطق هذا الحى بكلام غير مفهوم فينطق بكلام مفهوم.

سادسًا: أن لا يكون مكذبًا له: فلو قال: معجزتى نطق هذا الحجر فينطق بأنه كذاب خال.

سابعًا: أن لا يكون ذلك الأمر المعجز متقدما على الدعوى بل مقارنا لها ليحدث التصديق.

كلام باطل وكذب لأن الإسلام يستخدم السيف ـ **بأمر من الله سبحانه وتعالى ـ ولكن لا ليفرض العقيدة على الناس بل ليزيل الأنظمة الجاهلية التى تحجب بوجودها الحق عن الناس فإذا أزيلت الأنظمة الجاهلية بقى الناس أحرارًا لا لتفرض عليهم العقيدة الإسلامية والدليل على ذلك أن بقى الأقباط فى مصر والنصارى فى سوريا ولبنان والمجوس فى الهند لم يكرههم أحد على اعتناق الإسلام.**

والأمر الذى يريده المستشرقون فى النهاية أن ندوس على الإسلام بأقدامنا ونمزقه ونلقى به من شرفات المنازل لتدوس عليه الخيل والبغال.. بل أكثر من ذلك فإنهم يريدون أن نضع الإسلام فى بالوعات المجارى والمياه القذرة لكى يكون لنا «التبعية» مثل السيد والمسود. ولكن كل هذه الافتراءات لن تلغى التكليف الربانى بإقامة حكم الله فى الأرض والذين يعتقدون أن هذا التكليف قد سقط عن «المسلمين» بسبب هذه المشكلات هم قوم ينفون عن الله صفة العلم وصفة الحكمة..كما ينفون عنه صفة القدرة والقوة كأنهم يفترضون أن الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ لم يكن عالمًا بأن ظروفًا ستجد فى الأرض تمنع إقامة الحكم الإسلامى ويفترضون فيه سبحانه أنه يفرض على المسلمين فرضًا غير قابل للتحقيق مما يتنافى مع الحكمة كما يفترضون فيه سبحانه أنه عاجز عن إعانة المؤمنين وتأييدهم بنصره لأن روسيا وأمريكا أكبر من قوته سبحانه وتعالى.

ولقد رأينا بأعيننا الجيش المصرى يحارب إسرائيل وما معها من سلاح أمريكى لا تستطيع أى دولة عربية اقتناءه.. بل كانت الحرب مع أمريكا ذاتها سلاحا ومالا وجيشا وعتادًا وتخطيطا وانتصر المسلمون بفضل الله تعالى وفى الأمس انتصر المسلمون ببدر وهم أذلة بدون سلاح ولا عدد ولا عتاد يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ** وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

ولقد رأينا بأعيننا فى أفغانستان ما يشبه المعجزات من صمود قوم عزل من السلاح تقريبًا أمام أكبر هجمة وحشية فى تاريخ الحروب ست سنوات متوالية لم يقدر العدو على التغلب على مقاومة المجاهدين المؤمنين.

ولقد شهدت الأيام الماضية حدة الجرائم الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وقيام قوات الاحتلال بضرب مواقع عديدة من الأراضى الفلسطينية المحتلة بالصواريخ والقاذفات والقنابل والرصاص إلا أن شباب الحجارة لم يسكن لهم قلب ولم يهدأ لهم بال بقوة الإيمان بالله تعالى وقوة اليقين يقول **الله** تعالى: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾** .

والمسلمون فى كثير من البلدان يعيشون على نبض العقيدة القوية الراسخة فى الإيمان بالله تعالى . . فالمسلمون فى كشمير والهند والصومال وطاجيكستان وغيرها من الأقطار الإسلامية فى محنة دائمة وعذاب واصب ومآس دامية والدخول فى جدل مستمر مع المجادلين لن يقنعهم - فهم ما ابتغوا البحث عن الحق - ولن يطفئ أحقادهم فهم أولا وآخرًا يكرهون الإسلام وهم بعد ذلك قد استعبدوا لهذه الكتلة أو تلك **﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾** [الأنعام: ١١٢].

ولقد حاول جانب من المستشرقين الطعن فى الوحى زاعمين أن القرآن من صنع محمد ﷺ وإنهم فى الحقيقة كما أخبر الله عنهم **﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٤٦].

ونقول لهم : هل أنتم تنكرون الوحى أصلا؟ إن قالوا: نعم قلنا لهم: **إن موسى** والتوراة التى أنزلت عليه وعيسى والإنجيل الذى نزل عليه **محل اعتراف منكم وفى هذا** دليل على أنهم مخطئون فى إنكارهم الوحى أصلاً بل إنهم لمغالطون متناقضون.

ودليل كذبهم أن علماء المسيحية القدامى مثل ورقة بن نوفل والنجاشى ملك الحبشة وهرقل عظيم الروم ونسطورا وبحيرى الراهبين قد اعترفوا جميعا بالوحى الذى أنزل على محمد ﷺ . وقالوا: إنه والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وكذلك أحبار اليهود العلماء مثل : عبد الله بن سلام ومخيريق قد اعترفوا بالوحى والرسالة وأسلموا فإن كان المستشرقون من علماء اليهود قد كذبوا نزول الوحى على رسول الله ﷺ فهذا جانب من إخوانهم السابقين قد اعترف بالوحى وآمن عن اقتناع تام وعن طواعية واختيار ورغبة بل ضحوا بكل شىء من أجل هذا الدين الذى علموا أنه الدين الحق الذى لا يقبل الله عز وجل دينا غيره وأنه الدين الذى بشر به موسى وعيسى

عليهما السلام ولو كانا حيين ما وسعهما إلا اتباعه ﷺ.

والقرآن الكريم معجـز فيقول الله عز وجل ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ [الرحمن: ٣٣] إن الآية تصرح بأن الخروج من أقطار السموات والأرض ممكن ولكن لابد من سلطان وعلم.

وقد صعد الإنسان على القمر وتلك مرحلة ابتدائية لما جاء فى الآية إن الآية تقول: ﴿ **إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ **والقمر واحد صغـير من السماء إذا كان فى السماء فأبعاد العمل فى الآية فسيحة غير محدودة فهل كان ذلك من وحى الله؟ أو كان كلام محمد ﷺ !!**

وصدق نزول الوحى على رسول الله ﷺ واضح لا يحتاج إلى أدلة عند المسلمين، ولكن عند الكفار والمتمـردين من اليهود والمسيحيين فالآيات القـرآنية الكريمة دليل قاطع من فوق سبع سمـوات فى مواجهة أهل الكتاب والمشركين. ومن الأمـثلة القرآنية الدالة على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر: ٤٥].

ولقـد نزلت هذه الآية الكريمة بمكة. والمسلمـون فى ضـعف وضيق شـديد والآية **تطمـئن المسلمين إلى نصر فى المستقـبل تكون الغلبة لـهم إن شاء الله** وقد كانت «بدر» وكان نصر الله ﷺ قال وهو فى قبة له يوم بدر: «**أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعـبـد بعـد اليـوم فى الأرض أبدًا**» فـأخـذ أبو بكر رضـى الله عنه بيـده. وهو يقول: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴾ [1].

وعن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ قال عمر: أى جمع يهزم؟ أىُّ جـمع يغلب؟ قـال عمر: فلمـا كان يوم بدر رأيت رسـول الله ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ فعرفت تأويلهـا يومئذ[2] **ونفس هذه الآية الكريمة تنحسب على أحداث اليوم وعلى أحداث الغد بإذن الله.**

وقول الله عز وجل: ﴿ **الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**

---

(١) صحيح. متـفق عليه. رواه البخارى فى (التفسيـر، ح/٤٨٧٥) ومسلم فى (الجهاد، ح/١٧٦٣). والآية من سورة [القمر ٤٥ ـ٤٦].

(٢) صحيح. أخرجه عبد الرزاق فى (المصنف) ومسلم ببعض هكذا فى «الفتح» (٨/٤٨٦).

﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ [الروم ١ـ٥].

ولقد هزمت الفرس دولة الروم وكانت دولة قوية ولكنها بلغت من الضعف حداً يكفى لهزيمتها وشللها إلى مدى الحياة . **ولكن القرآن الكريم أكد انتصار الروم فى بضع سنين على الفرس . ثم قرر أن نصر الروم على الفرس سوف يصاحب نصر المسلمين على الكافرين**. **ولقد صدقت الأخبار الثلاثة**: فتحققت غلبة الروم على الفرس بإجماع المؤرخين فى أقل من تسع سنين . **فجاءت النبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم فى بضع سنين.**

وقد روى ابن جرير ـ بإسناده ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس. لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت : **﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين. قال**: صدق.قالوا: هل لك أن نقامرك «أى نراهنك».**فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين . فمضت السبع ولم يكن الشىء. ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين.** فذكر ذلك للنبى ﷺ. فقال: «**ما بضع وازدد سنتين فى الأجل» قال: فما فمضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس. ففرح المؤمنون بذلك** (١).

وهذه الثقة المطلقة على هذا النحو الرائع هى التى ملأت قلوب المسلمين قوة ويقيناً وثباتًا فى وجه العقبات والآلام والمحن حتى تمت كلمة الله وحق وعد الله وهى عدة.كل ذى عقيدة فى الجهاد الشاق الطويل.

ولكن صدق قول الله تعالى: **﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾** ولن يتبع المسلم المحافظ على دينه وإيمانه الملة اليهودية أو المسيحية أبدًا لأنه موصول بالله تعالى. ولأن بشاشة الإيمان قد باشرت شغاف قلبه. وإذن فليثبت المستشرقون الوحى أو لا يثبتوه. **فإنَّما هم يتعلمون بلسان العدو ومتى كان العدو صدوقا عادلا !!؟**

هل تعلم **أن المكتب السياسى الشيوعى إبان الثورة البلشفية على القيصرية ضم ٧ أفراد منهم ٤ يهود وأعلن يعقوب شيف اليهودى الأمريكى أنه بغير أمواله ما كان قد نجحت الثورة البلشفية وقالت صحفية أمريكان هيبرو فى عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م**

(١) أخرجه ابن جرير فى «جامع البيان»: (٢١/١٣).

إن الثورة البلشفية هى وليدة الفكر اليهودى وأكدت نفس المعنى صحيفة الجويس كرونيكل اليهودية.

وردت روسيا الجميل فكانت الدولة الثانية التى تعترف بإسرائيل وقال بن جوريون أنه **لولا مساعدات روسيا العظيمة أثناء الحصار العربى سنة ١٩٤٨م لما أمكن أن تقوم لإسرائيل قائمة ولما اجتمعنا هذا اليوم** وكان ذلك فى الاحتفال بمرور أربع سنوات على إنشاء إسرائيل.

هل تعلم أن أى قس أمريكى يطالب بتأييد إسرائيل حتى يرضى الرب تنهال عليه الأموال الطائلة.

المؤامرة

لقد درس الصهاينة نفسية الشعب الأمريكى الذى تغلب عليه روح التدين فهم يترددون على الكنيسة أكثر من الشعوب الأوروبية فكان عليهم أن يخترقوا وجدانه من ناحية عقيدته وقد شكلوا مزاجه بأفلام هوليود التى يسيطرون عليها فأشعلوا فى داخله حب المغامرة واكتشاف المجهول **واختاروا سفر الرؤيا الذى يتنبأ بمعركة هرمجدون فى نهاية التاريخ** وقاموا بتفسير الرؤيا لصالح أهداف الصهيونية وأصبحت هذه مرجعية دينية يجب إطاعتها طاعة عمياء حتى يرضى الرب ومخالفتها هى معارضة لمشيئة الرب **وقد وجدوا بعض المنحرفين من رجال الدين الأمريكان من يساعدهم على ترويج مؤامرتهم** نظير أموال طائلة **فتكون الاتجاه المسيحى الصهيونى وازدادت مع الأيام أعدادهم حتى بلغت الملايين وازدادت بالتالى قوتهم وتأثيرهم فى انتخابات الكونجرس وعلى القرار الأمريكى فامتلكوا الإدارة الأمريكية عند اتخاذ أى قرار أمريكى.**

ماذا فعل العرب؟

ظلت مؤامرة الصهيونية تكبر وتعبث بوجدان الإدارة الأمريكية والعرب يسألون أنفسهم ماذا نفعل؟ لم يعرفوا أنهم مهما شرحوا القضية الفلسطينية فلن يستمع إليهم أحد لأن مصلحة الشعب الفلسطينى تتعارض مع مشيئة الرب بإيعاز من الصهيونية.

ماذا يفعل العرب على المستوى العالمى؟

يجب تشجيع وإعلاء وتدعيم طائفة **حراس المعبد اليهودية فى نشر أفكارهم بأن المسيح هو الذى سيقيم دولة إسرائيل وبالتالى فإن إسرائيل الحالية هى دولة صهيونية تحتل فلسطين يجب كبح جماحها وإيقاف جرائمها ضد الفلسطينيين وعدم تدعيم عدوانها على العرب وجرائمها.**

كيف تنتشر هذه الأفكار؟

هذه الأفكار يجب أن تنتشر عن طريق رجال الدين الأمريكان بتدعيم من أقباط الشرق الذين يرفضون أفكار الصهيونية لأنها تعتدى على عقائدهم وقد رأينا كيف كان الصهاينة يعتدون على كنيسة المهد وقد دأب الصهاينة على ضرب وشتم رجال الدين المسيحى والبصق عليهم فى الطرقات مما أدى إلى اشتباكات بين رهبان الأرمن والإسرائيليين كما أنه فى يونيو سنة ١٩٦٧ صعد الجنود الإسرائيليين إلى سطح كنيسة القيامة ودير الروم الأرثوذوكس وأجبروا بعض رجال الدين الأرثوذوكس على رفع أيديهم والوقوف مدة طويلة بجانب الحائط وكان من بينهم الشيوخ المسنون وذكر المطران تيودوروس مطران الروم الأرثوذوكس أن الجنود سرقوا من سيارته صليبا وأيقونة وأنهم اعتدوا على كنيسة مار إلياس وكسروا مقاعدها ونهبوا الأيقونات المقدسة الأثرية وأن الدير قد نهب وتباع المسروقات فى أسواق تل أبيب.

ماذا يفعل العرب على المستوى المحلى؟

سؤال صعب والإجابة عليه سهلة فإذا أردت أن تعرف ماذا تفعل فى موقف ما فما عليك إلا أن تتدبر ماذا فعل الذين صادفهم نفس الموقف الذى أنت فيه ونجحوا فى تحويل الصعب إلى سهل والخطر إلى أمان والهزيمة إلى نصر. إذا كان العرب الآن فى موقف المهزومين المحبطين فقد صادف نفس الموقف ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية وصارتا من الدول القوية كيف؟ لقد اهتمتا بالتنقيب عن كنز اسمه **التعليم السليم**. وتسلحا بسلاح خطير أكثر قوة من كل الأسلحة التى تهزم الأعداء وهو **الأخلاق**. والكنز سهل أن نجده والسلاح موجود تعاليم الدين. فإذا كانت أمريكا قد استغلت ثرواتها فى شراء أثمن العقول من مختلف أنحاء العالم لتصبح بهم أقوى دولة فى العالم فقد بذر العرب أموالهم على شراء أثمن وسائل الترفيه التى سيفقدونها إن لم تحرسها القوة وقد مررنا بتجربتين فشلت الأولى عندما دعم العرب الهيئة العربية للتصنيع. وعندما اختلف الحكام مع السادات انسحبوا منها **أما الثانية** فقد حاول العراق إنشاء صناعة عسكرية متقدمة فكان نصيبه الفشل وقبلها عندما جاء علماء ألمان إلى مصر لتأسيس صناعة عسكرية متقدمة وفشل المشروع فلماذا كل هذا الإخفاق. أرى أن السبب هو غياب الأخلاق فكثر المنافقون الذين يزينون للحاكم أنه فلتة من فلتات عصره فيتخذ قرارات تجلب المصائب ففى الهيئة العربية للتصنيع **كانت مساهمة العرب فيها بقرارات فردية تدعمها غياب الشورى وتدعيم النفاق أيضا الموافق على الدوام**. وفى العراق **فشلت التجربة بسبب قرارين أهوجين ساندهما النفاق ألا وهما الحرب مع إيران التى**

ساندها للأسف أغلب الحكام العرب والقرار الثانى غزو الكويت الذي عارضه أغلب الحكام مع أن جرم الحرب الأولى مثل جرم الحرب الثانية ولم يقل أحد على المستوى المحلى العراقى ولا على المستوى العربى لصدام حسين: أنت مخطئ فربما كان قد تراجع عن الحرب مع إيران ولم يغزو الكويت ولكن المصيبتين وقعتا وجرنا إلى المصيبة الأكبر التى نعشيها حاليا.

وعلى الرغم من التأرجح الفكرى الذى كانت تتخبطه قوى المنطقة العربية شمالا وجنوباً مرة تتأرجح ناحية البيت الأبيض بأسلوبه الرأسمالى الفردى ومرة ناحية موسكو الحمراء بفكرها الشيوعى باعتبار العناصر والأدوات ملك الدولة وتركوا نظام الخالق سبحانه وتعالى الذى يحتوى فى مضمونه مبدأ المساواة فى شئون الاقتصاد . . . **لقد وضع الإسلام نظاماً عادلاً فى شئون الاقتصاد يقر الملكية الفردية ويحيطها بسياج من الحماية وكذلك أمام الفرد سبل التملك والحصول على المال وتشجع على العمل وتعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده وتفسح المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق وتحقق تكافؤ الفرص بين الناس فى أكثر الميادين وتضع من الحوافز ما يشجع على الجودة والإتقان.**

ولكنها من جهة أخرى **تقلم أظفار رأس المال وتحول دون تضخم الثروات ودون تجمعها فى أيد قليلة وتعمل من جهة ثالثة على أن تقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والعدل والإحسان** وتضع أفضل النظم للضمان الاجتماعى **وتكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة.**

إذا **فالنظام الاقتصادى فى الإسلام ليس نظامًا شيوعيًا** لأنه يقر الملكية الفردية وينميها ويحميها. **وليس نظامًا رأسماليًا** لأنه لا يطلق لرأس المال العنان بل يحرص على تجريده من وسائل السيطرة والنفوذ.

فهو نظام نسج وحده منقطع النظير بين النظم الاقتصادية السائدة فى العصر الحالى لا يدانيه نظام منها فى سموه ودقته ومبلغ تحقيقه لخير الأفراد والجماعات إذ لو أنكر الإسلام الملكية الفردية لما كان هناك تسابق بين الناس فى العمل والتجارة. ولما كان هناك حرص منهم على استغلال أوقاتهم فيما يفيدهم ويعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير.

والإسلام يرفض الرأسمالية والشيوعية من الناحية العقدية والاقتصادية والسياسية والاقتصادية . فأما من الناحية العقدية فإن الإسلام يرفض النظريتين. وذلك أن الرأسمالية تستند إلى النظرية العلمانية المتطرفة التى ترفض الدين رفضا تاماً وترفض

صلاحيته لتوجيه الإنسان أفراد أو جماعات وتحل العلم محله.

وفكرة إحلال العلم محل الدين فى توجيه الإنسان هى نتيجة نظرة واقعية مادية إلى الوجود كله. فحواها : أنه لا معرفة إلا عن طريق الحواس وبالتالى فإنه لا يحكم بالوجود إلا على المحسوس وما ليس بمحسوس فلا يحكم عليه بالوجود.

وإذا كانت الرأسمالية مستندة إلى نظرية واقعية هكذا فإن الشيوعية أكثر تطرفًا فى الواقعية المادية لأنها وليدة الفلسفات المادية المتطرفة فى القرن التاسع عشر. فهى تحصر الوجود فى المادة. وترى أن الفكر مادة فى أصله على الأقل وترى أنه لا معرفة إلا عن طريق الحواس وترفض الدين رفضاً تامًا من الناحية الفكرية وترى أنه مخدر للشعوب ومعوق لها عن التقدم وحاربت الأديان بصراحة وبالغت فى حربها لها.

فالرأسمالية والشيوعية كلتاهما مادية بكل ما تحمل الكلمة من معنى ومن هنا يأتى رفض الإسلام لها. فإن الإسلام لا يقبل حصر وسيلة المعرفة فى الحواس ولكنه يرى أن وسائل المعرفة متعددة ويعترف بالمعرفة الحاصلة عنها عندما يتبع المنهج السليم فى استعمال هذه الوسائل.

وهذه الوسائل هى الحواس السليمة والعقل السليم والوحى الصادق. **وكذلك يرفض الإسلام حصر الوجود فى المحسوس ويعتبر الغيب الثابت بالعقل وبالنصوص حقيقة يجب الإيمان بها ولا يقبل فى ذلك إلا اليقين**. وأن اليقين بالنسبة لأمور الغيب الثابتة حاصل وواقع فعلاً ونصوص الكتاب الكريم والسنة الصحيحة كثيرة وواضحة الدلالة فى هذا.

وكذلك يرفض الإسلام أبعاد الدين عن توجيه الإنسان وإحلال العلم محله ويأمر بتطبيق الشريعة الإلهية فى توجيه الإنسان ويحذر تحذيرًا تامًا من التخلى عن ذلك واتباع التشريعات الوضعية ويعد ذلك كفرًا.

ففى الإسلام لا مشرع إلا الله تعالى والمجتهد ما هو إلا باحث عن شرع الله من الأدلة المعتبرة ليظهره على حسب ما وصل إليه دليل. فيقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ

بَصيراً قَالَ كَذَلكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

وقد جعل الله الناس بعد إنزال الهدى فريقين: فريق يقبل الهدى وفريق يعرض عنه. فيقول الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة: ٣٨ ـ ٣٩].

وجعل الله تعالى القرآن الكريم كتابًا مهيمنا على ما سبقه فيقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ...

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧ ـ ٥٠].

ونعى على قوم أخذوا ببعض ما أنزل إليهم وتركوا بعضًا آخر فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقد جعل من شرط الإيمان أن يحكموا رسوله فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا وفى ذلك إلا لأنه يقضى بحكم الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]

وأما من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فإن النظام الاقتصادى في الشيوعية والرأسمالية نظام وضعى والإسلام يرفض النظام الوضعى على اعتبار أن النظم الوضعية فاشلة لأنها من وضع البشر. ويعتبر كل نظام وضعى اعتداء على وجود الله فى التشريع لأن الإسلام ـ خاتم الأديان ـ هو المنهج الوحيد بعد ختم الرسالات لصالح البشرية فى كل العصور. يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام يرفض الطبقية القائمة على أساس اقتصادى سواء كان ذلك بسيطرة طبقة الرأسمالية على الاقتصاد كما هو الحال فى الرأسمالية أو بسيطرة طبقة العمال على الاقتصاد كما هو الحال فى الشيوعية .

والإسلام يرفض الاحتكار وأن تكون الأموال دولة بين الأغنياء يقول الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧] ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

ووضع الإسلام التشريعات الكفيلة بتوزيع الثروة بطريقة تحقق سعادة المجتمع الإنسانى ويركز على منع الاحتكار، ويرفض الإسلام أن تسند الأمور فى المجتمع إلى العمال الجهلة كما هو الحال فى الشيوعية وأن تسند إلى ممن يختارهم الغوغاء من الناس كما هو الحال فى الديمقراطية الغربية الحديثة وقرر إسنادها إلى أهل الذكر من العلماء والمفكرين . فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]

ويرفض الإسلام أن تكون المفاضلة بين الناس على أساس اقتصادى وقرر أن يكون أساس المفاضلة هو التقوى والعمل الصالح يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويرفض الإسلام أن تكون حرية الفرد مطلقة تضر بالمجتمع كما هو الحال فى الرأسمالية كما يرفض كبت الحريات كما هو الحال فى النظام الشيوعى ويقرر حرية الإنسان فى الحدود التى تكفل له إنسانيته ولا تضر بالمجتمع .

ويرفض الإسلام نظام الربا الذى يعتبر الوسيلة الرئيسية لجلب الأرباح فى النظام الرأسمالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[البقرة: ٢٧٨].

وهكذا فإن الإسلام يرفض الرأسمالية والشيوعية من الناحية العقدية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويضع نظامًا يكفل السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة.

❖❖❖❖❖

الدعائم التى أقام عليها الإسلام نظامه الاقتصادى:

ولقد أقام الإسلام بنيان نظامه الاقتصادى على ثلاث دعائم هى:

الأولى: وتتمثل فى إقرار الملكية الفردية وحمايتها وإعطاء كل مجتهد جزاء اجتهاده وإفساح المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق وتذليل سبل التملك والحصول على المال.

الثانية: وتتمثل فيما يدخله الإسلام على حقوق الملكية الفردية من قيود وما يضعه على كاهل مالكها من واجبات كى يتحقق ما يهدف إليه من إقرار العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادى وتقليل الفروق بين الطبقات وإباحته لأولياء الأمور أن يتخذوا حيال الملكية الفردية ما يرونه كفيلا بتحقيق التوازن الاقتصادى بين طبقات المجتمع وأفراده.

الثالثة: وتتمثل فى الأسس العامة التى يقيم عليها الإسلام العلاقات وتطهيره بإخراج الزكاة وتوزيعه على الورثة بعد الوفاة وهى أسس إنسانية خلقية يتحقق بفضلها التكافل والتعاون والتراحم بين الناس والتواصى بالخير والبر والعدل والإحسان واحترام الشخصية الإنسانية التى كرمها الله فينظر كل فرد إلى المال على أنه غاية لا على أنه وسيلة تستخدم لجلب المنفعة وأن يحب كل فرد لغيره ما يحب لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه.

وأوجب الإسلام فى حالات الشدة والضيق أن يعود القادر على العاجز والمحتاج بما يسد حاجته. فقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر فقال: «**من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهر**

- أى مطية - فليعد به على من لا ظهر له» [1].

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم من ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية»**[2].

المصلحة العليا وحكام الأمة

عندما لا توجد إستراتيجية للدولة يحددها العلماء ويخطط لها الأكفاء وينفذها المتخصصون فإن الدولة بدلا من أن تنهض تكون الهزائم مصيرها وإذا اعتبر أى حاكم نفسه هو الذى يحدد استراتيجية الدولة ويخططها له أهل الثقة وينفذها الضعفاء فستكون النتيجة هى كارثة ففى الخمسينيات استضافت مصر علماء ألمان ليساعدوها فى تصنيع السلاح الرادع الذى يرهب أعدائها وعملوا بكل همة على تنفيذ هذا الهدف.

قضى على كل القوى السياسية ليصير هو القوة السياسية الوحيدة وبعد أن بدأ العلماء فى تصنيع الصواريخ القاهر والظافر تم الاعتراف بألمانيا الشرقية فتركز العلماء لأن هنا الاعتراف ضد مبادئهم التى جاءوا من أجلها ولم يكملوا المشروع وظلت الأمور تزداد سوءا حتى كانت كارثة سنة ١٩٦٧م ونخرج من ذلك أن الاهتمام بالاستعانة بأهل الخبرة لتنفيذ إستراتيجية الدولة وبتحسين سلوكيات المواطن العربى المحكوم قبل الحاكم يكون السلاح الذى يحمى الأمة ويجلب النصر. **ومن ثم تأتى المعرفة بكل أساليب الدولة التى يتعامل معها الأصدقاء قبل الأعداء لتكوين قرارات سليمة ومثمرة وإطلاق حرية التعبير لمعرفة الأخطاء لتصحيحها أولا بأول ورأب الصدع بين القوى الحاكمة حتى لا يستغلها العدو لمصلحته.**

---

(١) الخراج لأبى يوسف: (ص/١٢٦) بتصرف.

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى (٣/ ١٨١) ومسلم فى (الفضائل، ح/ ١٦٧) والبيهقى فى (الكبرى. ١٠/ ١٣٢).

ماذا ينتظرنا؟

سنورد فى هذا البند كل ما قيل ومتوقع حدوثه ثم لا نناقشه فالأهم أن نعرف كيف نجابهه إن حدث أو حدث ما هو قريب منه فالخطر واحد.

* تبدأ الحروب العالمية الثالثة بعد احتراق المدينة الكبرى «١١سبتمير والمدينة هى نيويورك».

روى أبو داود فى سننه بسنده عن عبد الله بن عمر قال «**كنا قعودا عند رسول الله ﷺ فأكثر فى ذكرها إلى أن قال: ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمى رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى**» (١) وإذا اعتبرنا السراء هو البترول والرجل.هو صدام حسين فالفتنة قادمة فى حرب عالمية كبرى ولو بعد حين نتيجة وجود قوات أمريكا والغرب وغضب الصين وروسيا وإيران والتى تضغط أمريكا باحتلالها على القصبة الهوائية لهذه الدول بمحاصرتها لهم وتمكنها من الطاقة فى العالم.

* أمير يسلم راياته لزعيم الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية فترد له عرس الملك ويخرب عراق (فى ملاحم بداية الزمن).

* علامة خروج المهدى ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة «**الفتن ٢٠٥ روى نعيم بن حماد**» بسنده عن كعب والجنرال الأعرج هو ريتشارد مايزر.

* قال رسول الله ﷺ تقبل على كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوهم قتلا لم يقتله قوم.. فإذا رأيتم أميرهم فبايعوه ولو حبّوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدى» **أخرجه** (٢) **ابن ماجه** وإذا نظرنا حولنا من تحريش أمريكا بالسعودية فهل تلعب المخابرات الأمريكية دورا فى

---

(١) إسناده لا بأس به.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى (الفتن، ٣٤ـ باب خروج المهدى، ح/ ٤٠٨٤) فى الزوائد: هذا إسناد صحيح. رجال ثقات. ورواه الحاكم فى المستدرك وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ولفظه:
«حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا: ثنا عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى ثوبان الرحبى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة. كلهم ابن خليفة. ثم يصير إلى واحد منهم. ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم». ثم ذكر شيئا لا أحفظه. فقال: «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثَّلج. فإنَّه خليفة الله المهدى».

إثارة الفتن بين الأمراء على الحكم فى حالة اعتزال الملك فهد أطال الله عمرو وأصحاب الرايات السوداء إشارة لأفغانستان أو إيران أو الشيعة والله أعلم.

* **أو جمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها فى مكان يسمى هرمجدون» من سفر الرؤيا (١٦/١٦)** هل ما نراه من تجمع جيوش أمريكا والغرب بأهداف شيطانية وعلى الوجه الآخر ستجتمع جيوش دول الشرق الكبرى للدفاع عن مصالحها وتصبح بلاد العرب ميدان حرب لهذه القوى والله أعلم بما سيحدث من أهوال.

* استعانت أمريكا والغرب بالعرب لهزيمة الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان وضرب أسعار البترول لانهيار الاقتصاد ثم جاءوا لاحتلال العرب.

وستبدأ بحجة القضاء على أسلحة الدمار الشامل وتنتهى بحرب نووية مدمرة لا يعلم مداها إلا الله.

* قد تكون معركة هرمجدون فى سوريا قريبا من دمشق.

* تتفاقم الأزمة بين إيران وأمريكا وبوادر صدام عسكري .و تتحالف الصين وروسيا ضد أمريكا وبريطانيا لأنهما تهددان أمنهم القومى وينفجر الموقف وإلى أى مدى يكون الله أعلم.

* ينفجر الموقف بين الغرب والشرق لدرجة اضطهاد وهلاك من العرب ببلاد الفرنجة لا يعلم عددهم إلا الله.

* علامة خروج المهدى المنتظر ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج.

* سيتم حصار الشام بعد ليشمل سوريا ولبنان ثم تثار الفتن التى هى هدف معلن وتتهم سوريا برعاية الإرهاب وحيازة أسلحة الدمار شامل.

* يحالف العرب أهل الغرب ثم يغدر بهم أهل الغرب فيتحالفون مع أهل الشرق.

* **قال رسول الله ﷺ :«يوشك الفرات أن ينحسر عن جبل من الذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا» رواه البخارى** وفى رواية مسلم: «**فإنه يقتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون فيقول كل رجل منهم لعلى أن أكون أنا الذى أنجو**».

جيوش الطامعين سيقاتلون فى العراق على البترول والنتيجة فى الحديث الشريف.

تعاظم تركيا وموت حاكم وخلع الحاكم المستخلف بعد عامين وخسف قرب مسجد دمشق وخروج أهل المغرب إلى مصر.

* كبر دور أهل الشيعة بعد دخول إيران النادى النووى وأهل أفغانستان ويكون مؤثرا.

* روى مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة ـ دمشق ـ من خيار الأرض يؤمئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون: لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند الله ويفتح ثلث لا يفتنون أبدًا فيفتحون قسطنطينية فبينما يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فيأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته**».

* سفر الرؤيا ١٩/١٨ «**ورأيت ملاكا ينادى الطيور بصفوف عال قائلا هلمى اجتمعى معا إلى وليمة الله الكبرى تعالى والتهمى لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول وفرسانها**».

* قال الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى ـ **سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى تخرج نارا من أرض الحجاز تضىء وأعناق الإبل ببصرى » رواه البخارى ومسلم**.

* قال الصادق المصدوق ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التى لم تكن ترونها**» رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن سمرة.

* قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :«**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه**» (رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة).

* قال صاحب لواء الحمد ﷺ: «**يأتيكم قوم من قبل المشرق عراض الوجوه صغار صغار يطلبون كأنما نبتت أعينهم فى الصخر، كأن وجوههم المجان المطرقة حتى يرابطوا بشط الفرات**» (**رواه ابن أبى شيبة عن عبد الله بن مسعود**.

* قال صاحب العزة تبارك وتعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ﴾[الدخان: ١٠ ـ١٢].

قراءة متأنية للبداية نخرج منها بتحليل واستنتاجات تقودنا إلى المستقبل مع إشارات القرآن الكريم ونبوءات الرسول ﷺ.

* تحالف العرب مع أمريكا والغرب لإسقاط الأيدلوجية الشيوعية التى كانت تهدد الإسلام مثلما كانت تهدد العالم الرأسمالى وانتهت بسقوط الاتحاد السوفيتى وصارت أمريكا القوة الوحيدة فى العالم ولكن سعى أوروبا إلى الوحدة وظهور عملة اليورو كمنافس للدولار والتنامى السريع لقوة الصين وبوادر تحالف بين روسيا وبين الصين بدأ يقلق أمريكا كقوة عظمى.

* فكرت أمريكا بنفس منطقة الإمبراطوريات السابقة ومنها الرومانية وبنفس غرور وطمع آلمانيا فى عهد هتلر وصنعت لنفسها عدوا لتشعر بالخطر.

* المخابرات الأمريكية كما جاء فى الأفلام الأمريكية لا تتورع عن فعل أى شىء بما فى ذلك قتل الأمريكان لتحقيق زيادة الميزانية وتدبير حوادث إرهاب من صنعها لتحقيق أهداف سياسة الإدارة الأمريكية.

* اختراق المخابرات الأمريكية والصهيونية حركات المقاومة بهدف تحقيق أهداف مرجوة فلا يستبعد أن تكون المخابرات الأمريكية قد اخترقت تنظيم القاعدة وأوحت إليه بفكرة ضرب مركز التجارة فى ١١ سبتمبر وساعدت فى التنفيذ بالتعاون مع الموساد أو إحداهما منفردة والهدف نشر العداء ضد العرب (**مسلمين وأقباط**) وإثارة الغضب عليهم لتنفيذ مخططات هدفها المباشر الاستيلاء على مصادر الطاقة وحصار الصين وروسيا وباكستان وإيران تمهيدا لاحتلالهم فى الوقت المناسب وخاصة بعد نجاح نشر الحائط المضاد للصواريخ.

* بدأ **أمريكا بتنفيذ مخططها باحتلال أفغانستان والتمركز فيها ونشر قواعد فى**

جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق.

* الخطوة الثانية كانت بعيدة عن محاربة الإرهاب واستهدفت العراق لاستكمال السيطرة على الطاقة وتحت المرجعية الدينية للمسيحية الصهيونية للتعجيل بظهور مسيح اليهود.

* **بدأت أمريكا تحشد قواتها بصورة مبالغ فيها لاحتلال العراق بالتعاون مع حلفائها وسط إحباط عربى وبذلك تحققت نبوءة الرسول ﷺ «توشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»** وتدبر التشبيه فالدول ستعزم بعضها على وجبة ثمينة ألا وهى البترول ثم يتصارعون عليه مثل أفلام العصابات التى تسعى للحصول على كنز ثم تتنازع عندما تصل إليه.

* **لم يحدد الحديث النبوى الشريف هل سننتصر أم سننهزم وتكملة الحديث أن الله سينزع الرعب من قلوب الأعداء ويكون الوهن والضعف فى قلوبنا.**

والنزع هو أقوى الأسلحة فى المعارك.

فلماذا لم يصرح الرسول ﷺ بأن العرب سيهزمون مع أن ذلك يستنتج من الحديث، ولكن قراءة متأنية للحديث تعطينا الإجابة إلا وهى إجابة لماذا نزع الله عز وجل الرعب من قلوب عدونا وصار الضعف فى قلوبنا وكانت الإجابة لحبنا فى الدنيا وكراهيتنا الموت.

ونفهم من هذه الإجابة أن هناك معارك هائلة ستدور سيهزم فى بعضها المسلمون الذين أحبوا الدنيا وسينتصر فى بعضها آخرون أحبوا الشهادة مثل أبطال فى لبنان وفلسطين.

* **لمن ستكون الغلبة فى النهاية** اقرأ معى هذه الآية الكريمة ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ .... أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ سورة الإسراء ٤-٩.

وإذا طبقنا هذه الآية الكريمة على ما يحدث هذه الأيام سنرى أن المقصود ببنى إسرائيل هو فى الأغلب ليس العصابات الصهيونية فى إسرائيل فقط ولكن أيضا اليمين الصهيونى المتطرف فى أمريكا وذلك بالانتماء الفكرى لبنى إسرائيل وبهذا يكون العلو الكبير لليمين الأمريكى المتضامن والمنفذ لأهداف الصهيونية **ويبلغنا صاحب العزة بهول**

ما سيحدث بأن الله سبحانه وتعالى سيرحم بعض بنى إسرائيل وينجيهم من هذه المعركة الرهيبة مستجيبا لدعواهم بطلب الرحمة والوعد بنبذ العنف والعيش بأمان ويوجه رسالته للمسلمين أن الله سينصر المؤمنين الذى يعملون الصالحات وأجرهم كبير لمن عاش منهم ولمن استشهد.

* وإذا تدبرنا الآية الكريمة سنجدها توجه إلى الصهاينة تقول : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها **وهى إشارة لمبادرتين سلام عرضتا على إسرائيل لتعيش فى سلام إحداهما قام بها الرئيس الراحل أنور السادات وساندها من بعده الرئيس محمد حسنى مبارك وحاول تطويرها والثانية اقترحتها المملكة العربية السعودية وساندتها الدول العربية ورفضتها إسرائيل وساندها فى الرفض اليمين المتطرف الأمريكى وكانت فرصة ثمينة تجنبهم مصيرهم الذى حدده رب العزة والله أعلم.**

تكالب الأمم

* الحديث النبوى الشريف عن تكالب الأمم ينذرنا بمعارك رهيبة وآيات سورة الإسراء تبشرنا بالنصر التى قد نحضرها أو نموت قبلها وما يهمنا الآن أن نقرأ سويا الفترة من بدء تنبؤ رسولنا الكريم بتكالب الأمم والذى نشاهده الآن والاقتراب من وعد النصر فى القرآن الكريم.

* نمت حزينا وأنا أتابع نشرات الأخبار التى تحكى عن تهديد الإدارة الأمريكية أقوى وأغنى دولة فى العالم لأفقر وأضعف دولة فى العالم إلا وهى أفغانستان التى بدا شعبها جائعا مسكينا لا يدرى ماذا يفعل مع هذا الديناصور الأمريكى واستيقظت صباحا على صوت المقرئ فى إذاعة القرآن الكريم يرتل الآية الكريمة من هذه الكلمات ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [١٥ ـ ١٧ سورة الطارق] وفى نفس اليوم كان بداية الغزو الأمريكى لأفغانستان.

●●●●●

خطط والسيناريو المرتقب

أيهما تؤيد **الطماع أم الظالم**؟ هذا السؤال ينطبق تماما على اليمين الأمريكى المتطرف الطامع فى بترول العراق للمحافظة على أن تكون أمريكا الإمبراطورية الوحيدة العظمى فى العالم والظالم هو صدام حسين الذى أفقر شعبه وجلب النحس لجيرانه وللعرب **بالقطع سيختفى صدام حسين** من نظام الحكم ليحكم أو يقتل روى البخارى فى صحيحه ومسلم عن أبى عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل القبلة يقول "**إلا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)** والمقصود صدام حسين الذى سيجلب قرن الشيطان وهو اليمين الأمريكى المتطرف المتحالف مع الصهيونية والله أعلم.

* **تجمع قوات** اليمين المتطرف الأمريكى بأعداد هائلة تفوق متطلبات غزو العراق له مغزى يجب أن نفكر فيه **وبالعودة إلى الخلف سنجد أن التصريحات التى قيلت تكشف المخطط** فقد قال الرئيس بوش رئيس أمريكا: إن الحرب ضد الإرهاب بها جزء لن نراه وسيتم فى الخفاء والمقصود حرب المخابرات التى أعطيت تفويضاً أن تفعل كل شىء بما فى ذلك حق الاغتيال ولتذهب المحاكم ومعها القانون إلى الجحيم فأى حرب هذه دعنا نتصورها وهى بهدف إعادة ترتيب خريطة العالم والخطوة الأولى **ستكون من الشرق الأوسط** وستنقسم إلى حربين **حرب مخابرات لبث الفتن وإثارة الفوضى لتحقيق أهداف محددة** وقوات ضخمة تتدخل فى الوقت المناسب وحرصاً من تدخل الصين أو روسيا أو مجتمعتين **فى فترة ما فى أثناء الحرب**.

* إذن هى حرب فتن وحرب غزوات والأولى تمهد للثانية. فما هى الدول المستهدفة فى كلا الحربين وما أهدافها.

١ ـ **إزالة الأنظمة التى ارتبطت بالاتحاد السوفيتى أو جاءت نتيجة أنظمة سابقة ارتبطت به حتى لو كانت ترتبط بأمريكا الآن ارتباطاً إستراتيجياً.**

٢ ـ إزالة الأنظمة التى أتت بواسطة الاستعمار الأوروبى أو ارتبطت به أو عايشته حتى ترتبط الآن ارتباطاً إستراتيجيا بأمريكا تحت اسم الديمقراطية.

٣ ـ إذن هو تغيير جميع أنظمة الحكم فى **الدول العربية والإسلامية حتى تصبح أنظمة مستنسخة من نظام الحكم فى أفغانستان تسعى لإرضاء إسرائيل واليمين المتطرف**

الأمريكى وتنفيذ المخطط المرسوم للهيمنة الأمريكية العالمية بكل دقة بحب وولاء وطاعة ولا تفكر مجرد التفكير فى المعارضة.

٤ ـ من أهداف الحرب أيضاً تقسيم الدول المؤثرة والكبيرة إلى دويلات صغيرة بلا قوة ولا تأثير يذكر ومن هذه الدول العراق ـ السودان ـ السعودية ـ مصر ـ إيران ـ تركيا ـ لبنان - سوريا.

❖❖❖❖❖

خطط حرب المخابرات المرتقبة

ترتكز هذه الحرب على استقطاب قوى المعارضة إما بالمال والرشاوى أو بالوعود الكاذبة بتسليمهم الحكم فى حالة مساعدتهم على تحقيق أهدافهم ولا مانع من الاتصالات السرية مع أكثر من حزب معارض سواء أكان إسلامياً أم ليبراليا قومياً أم يساريا ووعد كل حزب بأنه الذى ستدعمه وتسانده وتحرضه على نظام الحكم وإثارة الفتن حتى لو تقاتل الجميع ضد الجميع.

ـ فى حالة وصول حزب معارض إلى الحكم سيسانده اليمين المتطرف الأمريكى المتحالف مع الصهيونية وتحريضه على تنفيذ أهداف محددة مع الاستمرار فى تدغيم القوى المعارضة له.

* إثارة الفتن الطائفية والانقسامات في كل بلد بشتى الطرق.

* إثارة حروب إقليمية بين دول المنطقة بهدف إضعافها ومساعدة كل دولة معتدية سرا مع مساعدة أيضاً الدول المعتدى عليها حتى تستنفذ قوة كلا الدولتين.

*** التدخل العسكرى المباشر فى حالة التأكد من ضعف أى دولة وعدم تمكنها من مقاومة الاحتلال وتثبيت نظام جديد يكون على رأسه أحد عملاء المخابرات الأمريكية الذين عاشوا فى أمريكا وليس من العملاء المحليين الذين عاشوا فى المنطقة حتى لا تكون له أية ارتباطات بالدولة التى سيحكمها وليشعر أن اليمين المتطرف هو الذى عينه وهو الذى يحرسه.**

* الاستيلاء المباشر على كل منابع الطاقة (البترول) والصناعات الإستراتيجية فى كل دول المنطقة.

*** يتزامن هذا مع بناء جدار واق من الصواريخ.**

ـ يتزامن هذا المخطط مع مخطط مماثل فى آسيا ودول الاتحاد السوفيتى السابق.

ـ بعد إتمام المخطط يكون سقوط النظام فى الصين وفى روسيا سهلا بالحصار الاقتصادى والتجويع وإثارة القلائل والفتن وذلك **بتشجيع الانفصاليين وإمدادهم بكل وسائل القوة لاستنفاد طاقة وقوة الدول العظمى.**

*** وتنتهى الحرب باخضاع أوروبا للإدارة الأمريكية وقد يتم تفكيك الاتحاد الأوروبى ليعود دولا منفصلة كما كان وكل دولة تبحث عن رضا اليمين الأمريكى.**

* تكون بذلك قد أصبحت أمريكا من خلال اليمين المتطرف المتحالف مع الصهيونية إمبراطورية تحكم الكرة الأرضية لتنتهى مثل كل الإمبراطوريات السابقة.

نماذج من التخطيط للحرب المرتقبة.

* احتلال منابع البترول فى العراق.

* تهديد سوريا باتهامها بإخفاء أسلحة دمار شامل وإثارة الفتن في لبنان .

* المساعدة فى إنشاء دولة كردية تكون شوكة فى ظهر إيران وتركيا والعراق وسوريا.

* منع انشاء دولة شيعية فى العراق حتى لا تكون حليفاً لايران ويتم النفخ فى نيران الفتنة للصراع بين السنة والشيعة والاكراد والتركمان . . . إلخ في الخليج وخاصة فى العراق كبداية.

* تستقر قوات اليمين الصهيونى الأمريكى في العراق وإشعال الصراعات بين السنة وبين الشيعة وبين إيران والاكراد وتهديد تركيا بنفس الصراع دون إشعاله إلا عند الضرورة.

* بعد الملك فهد أطال الله عمره وسلمه من المؤامرات **يتم تحريض أولاده الثلاثة للصراع على السلطة ومساعدة كلا منهم سرا لتقسيم المملكة السعودية إلى ثلاث دول ويتم احتلال منابع النفط وترك المدينة ومكة بعيدة عن الصراع لتكون منطقة حبرة**

للمسلمين يؤدون شعائرهم الدينية حتى لا يتوحد المسلمون دفاعاً عن دينهم وتفشل المخططات.

* بالنسبة لسوريا ولبنان يتم حصارهما مع بث الفتن فى لبنان بين الطوائف المختلفة لتشتعل الحرب الأهلية مرة أخرى أما بالنسبة لسوريا فيتم الاتفاق مع الدروز والمعارضة الدينية لإثارة الفتن واشعال صراعا لا ينتهى.

* **بالنسبة لمصر يتم تحريضها للدخول فى حرب مع ليبيا ـ وقد** فشلت قبل ذلك فى جر الرئيس السادات ومن بعده الرئيس مبارك لإشعال حرب بين مصر وليبيا أثناء القطيعة بين الدولتين بل إن الرئيس مبارك قطع الطريق باحتواء النظام الليبى برئاسة القدافى. وكذلك لم يوافق على الدخول إلى إشعال حرب منسية مع السودان أثناء محاولة الاغتيال الفاشلة باديس أبابا واستغلال نقاط الضعف في النظام لهدمه.

* يتم التأثير على الاقتصاد المصرى مع محاولة إثارة الفتن والتحالف مع القوى والأحزاب المعارضة سرا وإعطاء وعود كاذبة بالمساعدة فى تحقيق أهدافها.

* فى حالة فشل هذه المخططات يتم تدبير عملية إرهابية ضد سفينة تعبر قناة السويس وعمليات إرهابية في سيناء أو عملية فدائية على الحدود بين مصر وإسرائيل لتكون ذريعة لإسرائيل لإعادة احتلال سيناء وعبور قناة السويس وتهديد القاهرة دون مهاجمتها واستنزاف الاقتصاد المصرى وإثارة فتن بين المسلمين والأقباط خاصة فى الصعيد وإثارة فتنة فى النوبة والصحراء الغربية.

* توطين الفلسطينيين المطرودين من الأرض المحتلة بفلسطين فى الصحراء الغربية بمصر وإشعال الصراع بينهم وبين ليبيا وبينهم وبين مصر لتقع بين التهديد الإسرائيلى شرقاً وتهديد الكيان الفلسطينى الجديد غرباً.

* **إشعال الفتن فى الصعيد وتشجيع المتطرفين وإشعال الفتنة الطائفية لإيجاد فاصل** بين السودان ومصر.

- **بالنسبة للسوادان** يتم فصل الجنوب عن الشمال مع احتلال الجنوب.

- **يتم تغيير الأنظمة فى كل دول الخليج التى ساعدت أمريكا** لتتمكن من تغيير الخريطة.

ـ فى خضم الفتن والصراعات المسلحة والفوضى يتم تحقيق حلم إسرائيل بدولة من النيل إلى الفرات.

ـ فى ظروف غامضة يتم تدبير عملية إرهابية لنسف المسجد الأقصى مع محاكمة منفذيها والوعد بإعادة بناء المسجد الأقصى ولكن يتم بناء الهيكل ومحاولة تعديل مكان المسجد الأقصى والتلكؤ فى بنائه لتكون القضية هى سرعة البناء وليس مكانه بعد تدخل الإدارة الأمريكية وتوبيخ إسرائيل لإرضاء المسلمين.

❖❖❖❖❖

إنهم يكيدون كيدا

* هل سيتم المخطط؟

ـ **نعم سينفذ منه جزء قد يكون للأسف غير هين فنحن أمام يأجوج ومأجوج[1] ألا** وهو اليمين المتطرف الأمريكى والصهيونية وبينهما تشابه أنهما من جنسيات مختلفة من كل بقاع الأرض والله أعلم.

ـ **ستحدث انهيارات اقتصادية رهيبة** وتأمل قول المبعوث رحمه للعالمين ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء ـ أى أن الدافع له على تمنى الموت الخوف على دينه بالبلاء وكثرة المحن والفتن وألوان الضراء » [رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة].**

* بالتزامن مع هذه الفتن سيكون تواصل قادة اليمين الأمريكى الصهيونى فى الهجوم بالقول على الإسلام وسينطبق قول الشاعر إنه إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حقود. **فسيزداد إقبال الشعب الأمريكى على القراءة والتعرف على الدين الإسلامى ويزداد عدد المسلمين والمسلمات مثلما حدث مع التتار من قبل.**

* ستزداد حركات المقاومة الشعبية وستتعاون أجهزة المخابرات مع أجهزة مخابرات

(١) إسناده جيد. رواه ابن أبى شيبة فى (المصنف، ١٥/ ١٨٦) وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٢/ ٥٤٦).

معادية للهيمنة الأمريكية حتى لا يستكمل مخططهُ وسينضم بعض الحكام إلى المقاومة ويقودونها لمقاومة المحتل وستختفى بعض الأنظمة.

*** ستشعر الصين وروسيا وبعض البلاد الأوروبية بالخطر عندما وتجد أن مخطط اليمين الأمريكى يتم تنفيذه ووصل إلى إيران التى تدخل النادى النووى ويتم التدخل المباشر فى الحرب بعد مرابطة اليمين الأمريكى الصهيونى على شط الفرات.**

واقرأ معى قول المبعوث للناس كافة ﷺ: « **يأتيكم قوم من قبل المشرق عراض الوجوه صغار صغار يطلبون كأنما نبتت أعينهم فى الصخر كأن وجوههم المجان المطرقة حتى يرابطوا بشط الفرات**» (رواه [1] ابن أبى شيبة عن عبد الله بن مسعود).

* تشتعل حرب رهيبة بين قوات الشرق وقوات أمريكا وبعض دول أوروبا للسيطرة على منابع البترول ولكن من الذى سينتصر تأمل معى قول: «**لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو منه**» (رواه [1] البخارى وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة)

ولاحظ معى أن رسول الله ﷺ لم يقل المسلمين بل قال الناس بما يعنى أنها جنسيات مختلفة.

أما عن مصير الذهب أو البترول فتعال نقرأ حديث رسول الله ﷺ فى نفس الحديث فى رواية يقول: «يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من الذهب فمن حضر فلا يأخذ منه شيئا» (رواه البخارى [2] ومسلم وأبو داود والترمذى).

*** هل تريد أن تعرف مصير البترول الذى يقتتل حوله الشرق وأمريكا والغرب أقرأ**

---

(١) صحيح. رواه البخارى فى (الفتن، باب «٢٤») وأبو داود فى (الملاحم، باب «١٣») والترمذى فى (الجنة، باب «٢٦») وابن ماجة فى (الفتن، باب «٢٥») وأحمد فى «المسند» (٢/ ٦١، ٣٠٦، ٣٣٢، ٣٤٦).

(٢) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الفتن، ح/ ٧١١٩) فتح البارى (١٣/ ٨٤) ومسلم فى (الفتن، ح/ ٣٠، ٣١) وأبو داود (ح/ ٤٣١٣) والترمذى (ح/ ٢٥٦٩، ٢٥٧٠) والمشكاة (ح/ ٥٤٤٢).

(٣) صحيح. متفق عليه. رواه البخارى فى (الفتن، ح/ ٧١١٨) فتح البارى (١٣/ ٨٤) ومسلم فى (الفتن، ح/ ٤٢) وأحمد فى (المسند، ٥/ ١٤٤).

معى حديث رسول الله ﷺ : يقول الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى: سمعت رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى » رواه (٣) البخارى ومسلم.

*** فى هذه المحنة الرهيبة تمكين رجل عاقل أن يعقد هدنة بين الطرفين المتحاربين لإنقاذ البترول من النفاد.**

* خلال الهدنة يخطط اليمين الأمريكى بالتحالف مع الصهاينة للإنقضاض على قوات الشرق الصينية الروسية المدعمة بالمقاومة الإيرانية بالتخطيط لضرب الصين وروسيا بقنابل نووية بغتة كضربة ساحقة لا تستطيع معها أن تقوم لهما قائمة وتصل الخطة إلى المخا ات التركية والمخابرات الأمريكية أو الروسية واقرأ معى حديث رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التى لم تكونوا ترونها» [رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن سمرة].**

* يزداد عدد المسلمين فى أمريكا والغرب ويثورون على اليمين الأمريكى الصهيونى لما أوصلهم إليه من أهوال وخسائر.

- يخرج قائد عسكرى من مكة قد يكون من أهل الجزيزة العربية أو جاء للحج ويخطب فى الناس ويكون له قدرات فذة ويستطيع توحيد القوات فى مصر وسوريا والمقاومة فى باقى بلاد المسلمين ويستطيع الجنود المسلمين فى القوات الأمريكية والغربية أن يقنع عددا ليس بقليل من هذه القوات أن يدخلوا فى الإسلام وينضمون إلى القائد القادم من مكة **بل ويحدث نفس الأمر مع القوات المعادية لأمريكا والغرب.**

* يقود القائد القوات ويهجمون على إسرائيل وتحدث معركة كبرى فى منطقة القدس تنهار خلالها القوات الصهيونية وتكثر الخسائر فيها حتى تكاد أن تفنى عن بكرة أبيها.

*** يوقف القائد القتال بعد عرض الإسرائيليين الاستسلام والرغبة فى العيش بسلام بدون جيش تحت حماية المسلمين مثل اليهود الذين عاشوا فى أمان قبل قيام دولة إسرائيل.**

* وتحدث فتنة يثيرها اليمين الصهيونى فى أمريكا والغرب من جراء هزيمة إسرائيل

وتقع مذابح للمسلمين فى هذه البلاد.

* **يهدد القائد بقطع البترول عن أمريكا والغرب إذا لم توقف المذابح.**

* تأتى خيرات لا حصر لها لبلاد الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب وتأمل معى حديث رسول الله ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه: لا إرب لى فيه ـ لا حاجة لى فيه**» [رواه مسلم كتاب الزكاة عن أبى هريرة].

ويهاجر علماء أمريكا الغرب إلى بلاد الشرق الأوسط طمعا فى المال. (والله أعلم)

❖❖❖❖❖

كيف نواجه الفتن المريرة

* اليقظة من العملاء الذين يحرضون الناس على المظاهرات التى تنتهى إلى الفوضى فالأمة أحوج ما تكون إلى الوحدة والتفكير العقلانى فأى فرقة ستكون وبالا على الجميع فى ظل القوات الأجنبية الرهيبة المتواجدة فى المنطقة.

ـ تلاحم الأنظمة الحاكمة مع الشعوب والقوات المسلحة والأحزاب المعارضة حتى لا تجد الصهيونية منفذا تثير من خلاله الفتن وفتح باب حرية التعبير والحرية السياسية ـ لمزيد من التلاحم.

* الامتناع عن الدخول فى حروب مع الجوار بل السعى إلى تحسين العلاقات مع هذه الدول فهى العمق الإستراتيجى الذى ستنطلق منه المقاومة.

وسلك الإسلام مسلكا يتسم بالواقعية والشمولية وهذه الصورة المثلى للمجتمع الإسلامى وهى واقعية الإسلام وشموليته فى كافة النواحى والمجالات. ولا شك أن الأمن والتعاون من كبريات القضايا التى يتطلع العالم أجمع إلى الوصول للصيغة المثلى لتحقيقهما وترسيخ دعائمهما فى العلاقات الدولية. وللإسلام منهج عظيم سأحاول استعراضه من خلال محورين رئيسيين:

الأول: الإسلام والأمن العالمى ولهذا المحور مجموعة من العناصر وهى:

أولاً: نعمة الإسلام كما تحدث عنها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأوضح مثال

على ذلك كفار قريش الذين امتنعوا عن الإسلام ولم يدخلوا فى دين الله بحجة خوفهم من اعتداء القبائل العربية عليهم إذا هموا بالدخول إلى الإسلام، وفى هؤلاء نزل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وفى السورة التى سميت بسورة «قريش» يتوجه الأمر الإلهى إليهم مطالباً إياهم بعبادة الله وحده لا شريك له فهو الذى كفل لهم الرخاء الاقتصادى والأمن الشامل من كل خوف. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ - ٤]. وفى موضع ثالث يمتن المولى عز وجل عليهم أيضاً بنعمة الأمن والاطمئنان حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. والأمن من أهم عوامل قيام الحضارة وازدهارها ويتجلى هذا فى حديث القرآن الكريم عن حضارتى ثمود وسبأ ففى قصة ثمود يتحدث القرآن الكريم عن مظاهر حضارتهم التى من أعظمها وأكبرها قيامهم بنحت الجبال واتخاذها بيوتا فيقول جل شأنه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وتؤكد الكثير من الآيات القرآنية أن «الأمن» مشروط بوجو «الإيمان» يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الانعام: ٨٢] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. ونص الآية الكريمة واضح فى إفادة تحقيق «الاستخلاف» و «التمكين» و «الأمن» بعد وجود الإيمان والعمل الصالح.

وفى القرآن الكريم آيات عديدة تفيد هذا المعنى.. ومن ذلك قوله تباركت أسماؤه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]. وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] وقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

ويقول النبى ﷺ: «**إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله» قالوا: خبرنا من هم يارسول الله نعمل بأعمالهم قال:« هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس**» ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(١). [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

فالإيمان يحقق لصاحبه الأمن الكامل فى الدنيا والآخرة .. حتى ليظل الأمن والاطمئنان مصاحباً للمؤمن بعد دخوله الجنة...

يقول الله تعالى: ﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ**﴾ [الحجر: ٤٦].

ويقول: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾ [الدخان: ٥٥].

ويقول: ﴿**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾ [سبأ: ٣٧]. كما أن ضياع «الأمن» يكون بضياع «الإيمان» لأن الانحراف عن المنهج الإلهى والهدى الربانى من أعظم أسباب فقدان الأمن وأكبر عوامل الانهيار الحضارى ... وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: ١١٢].

وفى قصة ثمود الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأمن والتقدم المادى: حينما انحرفوا عن الصراط السوى وتنكبوا سبل الهداية والرشاد حل بهم العذاب فتبدل الأمن خوفاً وزالت الحضارة فى غمضة عين قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الحجر: ٨٣ ـ ٨٤] وقال سبحانه: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ**﴾ [هود: ٦٧ ـ ٦٨].

---

(١) صحيح. أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٠/٢٧٦ - ٢٧٧) من حديث أبى مالك الأشعرى. وقالك رواه كله أحمد والطبرانى بنحوه ورجاله وثقوا.

وكذلك فى قصة سبأ:. حينما بطر القوم بنعمة الله تعالى وانحرفوا عن الجادة كانت العاقبة المريرة والنهاية الوخيمة التى صورها القرآن الكريم فى قول المولى عز وجل: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ [سبأ: ١٦ - ١٧] وقوله سبحانه: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [سبأ: ١٩].

هذا طرف يسير من حديث القرآن الحكيم عن «الأمن» كنعمة من أعظم نعم الله عز وجل على عباده يحرص المؤمنون على العيش فى ظلها... وقد كان الاهتمام الأول لخليل الله إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حينما دعا ربه فى البلد الحرام أن قال - كما حكى عنه القرآن الكريم: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ [البقرة: ١٢٦].

مما يدل على أهمية نعمة الأمن وعظم شأنها.

ثانياً: منهج الإسلام فى تحقيق دعائم الأمن: يقوم المنهج الإسلامى فى تحقيق الأمن وتوطيد دعائمه على عدة أسس من أهمها وأعظمها: ترسيخ مبدأ الإخاء البشرى والمساواة الإنسانية: حيث ينظر الإسلامى الحنيف إلى المجتمع البشرى باعتباره وحدة واحدة فالناس جميعاً ينتسبون إلى أصل واحد فلا فضل لجنس على جنس ولا لشعب على شعب ولا لأمة على أمة فى أصل الخلقة والنشأة بل الكل سواء والتكريم الإلهى للإنسان يشمل بنى آدم جميعاً قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولا شك أن لهذا المبدأ أثره البالغ فى توطيد دعائم الأمن. إذ أن استحضار معنى الأخوة الإنسانية كفيل بالقضاء على النزاعات المادية عند من يقدر هذا المعنى حق قدره - يقول الله عز وجل - ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى معلقاً على هذه الآية الكريمة: **يا أيها**

الناس يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً المتفرقون شعوباً وقبائل إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا ولا تفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا.

يا أيها الناس! والذى يناديكم هذا النداء هو الذى خلقكم من ذكر وأنثى. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل... إنها ليست التناحر والخصام. إنما هى التعارف والوئام فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطبائع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات فتنوع لا يقتضى النزاع والشقاق بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر المعانى من حساب فى ميزان الله.

إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ويعرف به فضل الناس: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات فى الأرض وترخص جميع القيم المادية التى يتكالب عليها الناس... ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع وخلقهم من أصل واحد.. كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته لواء التقوى فى ظل الله تعالى.

كما أن الإسلام يحرم الأسباب المؤدية للنزاعات والحروب وهذه الحروب فى أغلبها ترجع إلى دوافع مادية دنيئة والإسلام الحنيف فى سعيه لتحقيق الأمن وتثبيت أركانه حارب كل هذه الدوافع وقطع عليها الطريق حتى لا تبلغ غايتها فى إيقاد نيران الحروب التى تأتى على الأخضر واليابس.

وتلتهم جميع منجزات الحضارة الإنسانية. وهنا تتجلى عظمة الإسلام فهو لا ينتظر حتى تقوم المعركة ويلتهب الميدان وإنما يواجه الموقف منذ البداية للقضاء على النزاعات ووأدها فى مهدها.

*** وكذلك علينا استمرار مواجهة الفتن المريرة بالتنظيم الدقيق للإمداد والتموين (غذاء - دواء وغيرها من وسائل المعيشة) ومساعدة الدول الغنية الدول الفقيرة.**

- حضن العلماء وعدم البخل فى تشجيع البحث العلمى فالحاجة أم الاختراع وقد

اقتربت عالمة ذرة مصرية قبل ذلك من اختـراع سلاح ردع نووى من معادن رخيصة وقد يخترع أحد العلماء سلاحاً للردع فى هذه المحنة.

* قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فاحرص على التزود بالإيمان والأخلاق الكريمة والرجوع إلى الله تكن من الذين وعدهم الله بالنصر.

* تزود بالعلم عن كيفية مقاومة المحتل من كتب المقاومة الشعبية.

ومنها **كتاب أبطال الموت** من سلسلة بطولات مصرية حقيقية إعداد عـميد م نبيل خالد دار ابن لقمان للنشر والتوزيع توزيع مؤسسة الأهرام بمصر.

أكثر من الدعـاء بالنصر لقواتنا مستـعينا بكتب الأدعية ومنها الدعـاء المبارك للنصر على الأعداء من سلسلة فى ظلال الشعراوى الإسلامية.

إعداد نبيل خالد توزيع مؤسسة الأهرام بمصر.

ـ نق قلبك من كل آفة وكن صادقاً من نفـسك ومع الناس وأكثر الدعاء **وقد روى أبو أمامة رضى الله عنه عن كيفية مواجـهة الفتن قال: « قيل يا رسول الله فما يعيش الناس يومئـذ؟ قال ﷺ التـسبـيح والتحمـيد والتكبـير يجـرى عليه مـجرى الطعـام والشراب»** صحـيح رواه ابن مـاجه [1] وابن خـزيمة عن أبى أمامـة رضى الله عنه فى صحـيحـة الألبانى.

الخاتمة

لقد توكلت على الله وكان لى شرف المحاولة فى كتابة ما سلف من كتاب **(مستقبل الأمة)** وهو جهد لا يذكر لأن الجهد الحقـيقى إنما هو جهد القارئ أو القارئة فى تدبر ما كتب فقد ألقيت حـجرا فى الماء الراكد لنساهم جميعاً فى اكـتشاف ما تحت الماء هل هو تمساح قاتل أم أحـجار ثمينة فمـصيرنا واحد إن شـئنا اقتربنا من الله فهـو وحده القوى القادر خالق القوة وإن شـئنا عشنا بلا سند وفى الحالتين ستنتهى حيـاتنا عاجلاً أم آجلاً

(١) صحيح. رواه ابن ماجه (ح/ ٢٨٠) والنسائى فى (الزكاة، باب ٤١٥) وابن حبان (ح/ ٢٣٣٦) وصححه ابن خزيمة.

بالموت ليحاسبنا الواحد القهار ماذا فعلنا؟

فالله وحده أعلم بما سيحدث وعليه سيكون فعلنا لحماية أوطاننا من الأخطار الخارجية وتظهر معادن الأخيار ومعادن الأشرار الذين جاءوا ليتعجلوا نهاية العالم طمعا فى خير لن يفوز به أحد مثلما نشاهد فى أفلامهم عندما يسعى الأبطال للانفراد بكنز ثمين وتكون النهاية الغير سعيدة لهم ويقولون يا ليتنا وقت لا ينفع الندم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ صدق الله العظيم [سورة البقرة ٢٨٦] .

معد كتاب مستقبل الأمة

نبيل خالد

❖❖❖❖❖

الدال على الخير كفاعله

مهما طبع ونشر هذا الكتاب فلن يكون بالكمية الكافية ليقرأه كل الناس ولذلك ندعو:

كل غيور على دينه

وكل حريص على الحق وسلام البشرية

أن يساهم بإعادة هذه النسخة بعد أن يقرأها لغيره لتعم الفائدة ويسمح بنشر جزء أو ملخص أو كل الكتاب بالصحف والمجلات ووسائل الإعلام مع مناقشة ما جاء به أو بدون.

وأسألك الدعاء لكل من ساعد أو ساهم فى إخراج أو نشر أو انتشار هذا الكتاب بكلمة أو جهد أو عمل أو مال أو بقلبه أو على أى وجه آخر.

ولا حول ولا قوة إلا بالله

التعريف بالمؤلف

نبيل خالد

مؤلف كتاب صرعة الرعب

* عضو اتحاد كتاب مصر.
* عضو نادى القصة.
* عضو جمعية الأدباء المصريين.
* عضو منظمة العفو الدولية.
* عضو جمعية المحاربين.
* عضو اتحاد الناشرين المصريين
* له مؤلفات توزع في جميع أنحاء العالم وقد ترجمت أعماله وقام بشرائها منظمات وجامعات عالمية.
* تحولت مجموعة من قصصه إلى أفلام سينمائية (أهمها فيلم: هدى ومعالي الوزير) وإلى مسلسلات تليفزيونية (أهمها ترويض الشرسة/ حكايات طريفة) تذاع بمختلف المحطات العربية.
* كتب التحقيقات الصحفية (سياسية / أدبية/ عسكرية) بجريدة الرأى العام الكويتية/ البلاغ الدولية/ الميدان)
* ـ حصل على جائزة أدب الحرب.
* حاصل على بكالوريوس علوم عسكرية.

ت: ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧

●●●●●